

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب الأَخاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء العاشر

المطبعة

طبعة دار الكتب المصرية

١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء العاشر

من كتاب الأغاني

٢
٩

أخبار دريد بن الصمة ونبه

هو دُرَيْدُ بن الصَّمَّة . وأسم الصَّمَّة ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة ، وقيل علقمة ، بن خُزاعة بن غِزْيَةَ بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأما أبو عبيدة فقال : هو دُرَيْدُ بن الصَّمَّة ، وأسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقمة ولم يذكر معاوية . وقال ابن سلام : الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة .

ودريد بن الصَّمَّة فارس شجاع فحل ، وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفُرسان . وقد كان أطول الفُرسان الشعراء غزواً ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمنهم نقييةً عند العرب ، وأشعرهم دريد بن الصَّمَّة .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصَّمَّة سيّد بني جُشَم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفراً ميمون النقيية ، وغزنا نحو مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك

(١) يلاحظ بأدنى تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا الاسم .

الإسلام فلم يُسلم، وخرج مع قومه في يوم حنينٍ مُظَاهِرًا للشركين، ولا فضلَ فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمناً به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالكُ بن عوفٍ من قتل مشُركته، وخالفه لئلا يكون له ذكر، فقتلَ دُرَيْدٌ يومئذٍ على شركه . وخبره يأتي بعد هذا .

قتل يوم حنين

وكان لدريد إخوة وهم عبد الله الذي قتلته غطفانُ، وعبدُ يثوثَ قتلته بنو مُرة، وقيسُ قتلته بنو أبي بكر بن كلاب، وخالدُ قتلته بنو الحارث بن كعب، أمهم جميعاً رَيْحَانَةُ بنت معد يكربَ الزبيديّ أخت عمرو بن معد يكربَ كان الصمة سبها ثم تزوجها فأولدها بنيه . وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره :

إخوته

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ * يورقني وأصحابي هُجُوعُ

إذا لم تَسْطِيعْ شيئاً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

$\frac{3}{9}$

١٠

وكان لدريدُ ابنٌ يقال له سلمة، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعريّ بسهم فأصاب ركبته فقتله وأرتجز فقال :

ابن وبنته شاعران

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ * إِنْ سَمَّادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَةٌ

* أَضْرِبْ بِالسَّيْفِ رَعُوسَ الْمُسَلِّمَةِ *

وكانت لدريد أيضاً بنتٌ يقال لها عَمْرَةُ [وكانت] شاعرة، ولها فيه مراثٍ كثيرة .

١٥

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزازي قال : حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني بأخبار

شعره في الصبر على النوائب

(٢) أبو عامر الأشعري هو ابن عم أبي موسى

(١). في أ، ح، م : « أمرا » .

(٣) سمادير اسم أم سلمة امرأة دريد بن الصمة .

الأشعري، وقد كان هذا الحادث يوم حنين .

(٤) الزيادة عن ح .

له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكركم في مواضعهم ، وأخبرني أيضا بجنه محمد بن خلف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد بينت رواية كل واحد منهم في موضعها ، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة حيث يقول :

تقول ألا تبكي أخاك ! وقد أرى * مكان البكا لكن بينت على الصبر
لمقتل عبد الله والها لك الذي * على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر
وعبد يغوث أو خليلي خالد * وعز مصاباً حثو قبر^(١) على قبر
أبي القتل إلا آل صمة لهم * أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر
فلما ترينا ما نزال دماؤنا * لدى واتي شقي بها آخر الدهر
فإننا لثم السيف غير نكيرة * ونلحمه حيناً وليس بذى نكر^(٢)
يغار علينا وارين فيشتقى * بنا إن أصبنا ، أو نغير على وثر
بذلك قسمنا الدهر شطرين قسمة * فما ينقضي إلا ونحن على شطر

٥

١٠

وأخبرني ابن عمار قال : حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأسدي عن صاعد مولى الكيث بن زيد يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة ، وذكر هذه الأبيات .

١٥

قال أبو عبيدة : فأما عبد الله بن الصمة فإن السبب في مقتله إنه كان غزاً غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية فظفر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له

يوم اللوى ومقتل
أخيه عبد الله
وما رناه به من
الشعر

(١) في أ : « حتى قبر » يقال : حثوت عليه التراب أحثوه حثوا وحثيته أحثيه حثياً ، والياء أصل .

(٢) لجه (من باب فتح) : أطعمه اللحم . وفي الصحاح : « ولا تقل ألجه والأصمعي بقوله » .

- أخوه دُرَيْدُ : يا أبا فُرْعَانَ — وكانت لعبد الله ثلاثُ كُنَى : أبو فُرْعَانَ ، وأبو ذُفَّافَةَ ، وأبو دُؤَافَى ، وكلُّها قد ذَكَرَها دُرَيْدٌ في شعره — : نَشَدْتُكَ اللهُ أَلَّا تَنْزِلَ فَإِنَّ غَطْفَانَ ليست بغافلةٍ عن أموالها ، فَأَقْسَمَ لَا يَرِيْمُ حَتَّى يَأْخُذَ مِرْبَاعَهُ وَيَنْقَعَ نَقِيعَهُ ^(١) ، فَيَأْكُلَ وَيُطْعِمَ وَيَقْسِمَ الْبَقِيَّةَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ سَطَعَتِ الدَّوَاخِنُ ، إِذَا بَغْيَارٌ قَدْ أَرْفَعَ أَشَدَّ مِنْ دُخَانِهِمْ ، وَإِذَا عَبَسَ وَفَزَارَهُ وَأَشْجَعُ قَدْ أَقْبَلْتُ فَقَالُوا لِرَيْسِهِمْ ^(٢) :
- ٥ انظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ فَقَالَ أَرَى قَوْمًا جَمَادًا كَأَنَّ سَرَابِيلَهُمْ قَدْ غُمِسَتْ فِي الْجَادِي ^(٣) قَالَ : تِلْكَ أَشْجَعُ ، لَيْسَتْ بِشَيْءٍ . ثُمَّ نَظَرَ فَقَالَ : أَرَى قَوْمًا كَأَنَّهُمُ الصَّبَّيَانُ ، أَسْتَتُّهُمُ عِنْدَ آذَانِ خَيْلِهِمْ . قَالَ : تِلْكَ فَزَارَةٌ . ثُمَّ نَظَرَ فَقَالَ : أَرَى قَوْمًا أَدْمَانًا كَأَنَّمَا يَحْمِلُونَ ^(٤) ^(٥) الْجِبَلَ بِسَوَادِهِمْ ، يَخْدُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ خَدًّا ، وَيَجْرُونَ رِمَاحَهُمْ جَرًّا ، قَالَ :
- ١٠ تِلْكَ عَبَسَ وَالْمَوْتُ مَعَهُمْ ! فَتَلَا حَقُّوا بِالْمُنْعَرَجِ مِنْ رُمَيْلَةِ اللَّوَى فَأَقْتَتَلُوا فَقَتَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قَارِبٍ وَهُمْ مِنْ بَنِي عَبَسَ عَبْدَ اللهِ بْنِ الصَّمَّةِ فَتَنَادَوْا : قُتِلَ أَبُو ذُفَّافَةَ ! فَعَطَفَ دُرَيْدٌ فَذَبَّ عَنْهُ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا وَجُرِحَ دُرَيْدٌ فَسَقَطَ فَكَفُّوا عَنْهُ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ قُتِلَ ، وَأَسْتَنْقَذُوا الْمَالَ وَنَجَا مِنْ هَرَبٍ . فَمَرَّ الزَّهْدَمَانِ وَهُمَا مِنْ بَنِي عَبَسَ ، وَهُمَا زَهْدَمٌ وَقَيْسُ أَبْنَا حَزْنِ بْنِ وَهَبِ بْنِ رَوَاحَةَ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُمُ الزَّهْدَمَانِ تَغْلِيًّا لِأَشْهُرِ الْأَسْمِينِ عَلَيْهِمَا ، كَمَا قِيلَ الْعُمَرَانِ لِأَبْنَى بَكْرٍ وَعَمْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وَالْقَمَرَانِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ .
- ١٥ قَالَ دُرَيْدٌ : فَسَمِعْتُ زَهْدَمًا الْعُمَيْرِيَّ يَقُولُ لَكَرْدَمِ الْفَزَارِيِّ إِنِّي لَأَحْسَبُ دُرَيْدًا حَيًّا

(١) المرباع بكسر أوله : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس في الجاهلية .

(٢) تقع الشيء في الماء وغيره ينقعه (من باب فتح) فهو نقيع ، ومثله ألقعه . نبذه : أى اتخذ

منه النبذ . (٣) الربيضة : الطليعة . (٤) الجادى : الزعفران .

٢٠ (٥) الأدمان : جمع آدم على مثال سودان وجران . والآدم من الناس : الأسمر .

(٦) فى ج ، م : « الأرض » . (٧) يخدون : يشقون .

فَأَنْزَلَ فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ، قَالَ : قَدْ مَاتَ ، قَالَ : أَنْزِلْ فَأَنْظُرْ إِلَى سَبْتِهِ هَلْ تَرْمِزُ؟ قَالَ دُرَيْدٌ :
فَسَدَدْتُ مِنْ حِتَارِهَا أَى مِنْ شَرَجِهَا ، قَالَ فَنَظَرَ فَقَالَ : هِيَاتِ ، أَى قَدْ مَاتَ ، فَوَلَّى
عَنِّي ، قَالَ وَمَالٌ بِالزَّجِّ فِي شَرَجِ دُرَيْدٍ فَطَعَنَهُ فِيهِ فَسَالَ دَمٌ كَانَ قَدْ أَحْتَقَنَ فِي جَوْفِهِ ،
قَالَ دُرَيْدٌ فَعَرَفْتُ الْخَلْقَةَ حِينَئِذٍ فَأَمْهَلْتُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَشَيْتُ وَأَنَا ضَعِيفٌ
قَدْ تَفَنَّى الدَّمُ حَتَّى مَا أَكَادُ أَبْصُرُ ، بَخِرْتُ بِجَمَاعَةٍ تَسِيرُ فَدَخَلْتُ فِيهِمْ ، فَوَقَعْتُ بَيْنَ
عُرْقُوبَيْنِ بَعِيرٍ طَعِينَةٍ ، فَتَفَرَّ الْبَعِيرُ فَنَادَتْ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَأَتَسَبَّتُ لَهَا فَأَعْلَمَتِ
الْحَيَّ بِمَكَانِي ، فُغْسِلَ عَنِّي الدَّمُ وَزُوْدْتُ زَادًا وَسِقَاءً فَتَجَوْتُ ، وَزَعَمَ بَعْضُ
الْعَطْفَانِيِّينَ أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ فَزَارِيَّةً وَأَنَّ الْحَيَّ كَانُوا عَلَيْهِمْ بِمَكَانِهِ فَتَرَكُوهُ فِدَاوَتُهُ الْمَرْأَةَ
حَتَّى بَرَأَ وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ ، قَالَ : ثُمَّ جَعَّ كَرْدَمٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي عَبَسَ ، فَلَمَّا
قَارَبُوا دِيَارَ دُرَيْدٍ تَسَكَّرُوا خَوْفًا ، وَمَرَّ بِهِمْ فَأَنْكَرَهُمْ ، فَعَمِلَ يَمْشِي فِيهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ
مِنْهُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ كَرْدَمٌ : عَمَّنْ تَسْأَلُ ؟ فَدَفَعَهُ دُرَيْدٌ ، وَقَالَ : أَمَّا عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ
فَلَا أَسْأَلُ أَبَدًا ، وَعَانَقَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ فَرَسًا وَسِلَاحًا ، وَقَالَ لَهُ : هَذَا بِمَا فَعَلْتَ بِي
يَوْمَ اللَّوَى .

وَقَالَ دُرَيْدٌ يَرِثِي أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ :

أَرَيْتُ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ * بَعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ
وَبَانَتْ وَلَمْ أَحْمَدِ إِلَيْكَ جَوَارَهَا * وَلَمْ تَرْجُ مِنَّا رِدَّةَ الْيَوْمِ أَوْغِدِ

(١) السبة بالضم : الاست . وترمز (بمحذوف إحدى نائبيها) : تضطرب وتتحرك .

(٢) الحتار بالكسر : ما أحاط بالشيء كختار الغراب والمنخل .

(٣) يقال : نَزَفَ الدَّمُ فَلَنَا فَهُوَ مَنزُوفٌ وَنَزِيفٌ أَى سَالَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ حَتَّى يَضَعِفَ .

(٤) فِي ١ ، ٢ : « قَيْسٌ » .

(٥) بَعَاقِبَةٌ أَى بَآخِرَةٌ .

وهي طويلة وفيها يقول :

- أعاذلني كلَّ امرئ وأبْنُ أمِّه * متاعُ كراد الرَّاكِبِ المِترودِ
أعاذل إن الرِّزَّهَ أمثالُ خالِدٍ^(١) * ولا رِزَّهَ تما أَهْلَكَ المِرءُ عن يدِ
تَصَحَّتْ لعارضٍ وأصحاب عارض * ورَهْطُ بَنِي السُّوداءِ والقَوْمُ شُهْدَى^(٢)
فقلتُ لهم ظُنُّوا بِالْقَى مَدَجَّج * سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ
أمرُهُمْ أَمْرِي بِمُتَعَرِّجِ اللَّوَى * فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
فلما عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقْدَ آرَى * غَوَايَتِهِمْ وَأَنْتَى غَيْرُ مَهْتَدِ^(٤)
وهل أنا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ^(٥) إِنْ غَوَتْ * غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أُرْشَدِ
دعاني أنى وإلخيلُ بِنِي وَبِينِهِ * فلما دعاني لم يَجِدْنِي بَقْعُدُ^(٦)
تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدْتَ الْخَيْلَ فَارَسًا * فقلتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرِّدَى
فإن يَكْ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ * فليَمْ يَكْ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

٥
٩

- (١) ذكر المؤلف فيما مر إخوة دريد وذكر منهم خالدا وعبد الله . والتصریح بهذا الاسم في هذا الشعر الذي قاله دريد في رثاء أخيه عبد الله خاصة يدل على أن عبد الله وخالدا وطارضا (المذكور في البيت التالي) ثلاثة أسماء لشخص واحد وقد صرح بذلك شارح الحماسة ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال : « عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء عارض وعبد الله وخالدا ، وثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى وأبا ذفاة وأبا فرعان أو أبا فرغان » . (٢) رهط بنى السوداء . يعنى بهم أصحاب أخيه عبد الله . والقوم شهدى أى شهدى . (٣) ظنوا أى أيقنوا أو معناه ما ظنكم بالفين من الأعداء راصدين لكم بريقونكم . والمدجج : التام السلاح ، من المدجة وهى شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شئ ، والمدجج يسترقفه بالسلاح . وسراتهم : أشرافهم وساداتهم . والفاريسى المسرد حتى به الدرور المتابعة الخلق في نسجها . (٤) كذا في ح والحماسة . وفي سائر الأصول : « أو » . (٥) غزيرة : قبيلة من هوازن . وهي رهط الشاعر . (٦) القعدد كقنفذ : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

ولا برماً إذا الرياحُ تناوحتُ * برطبِ العِضاهِ والهشيمِ المعضدِ^(١)
 نظرتُ إليه والرماحُ تنوشه^(٢) * كوقع الصياصى فى النسيج الممددِ^(٣)
 فطاعتُ عنه الخيلَ حتى تبددتُ * وحتى علانى أشقرُ اللون مُزبد^(٤)
 فما رمتُ حتى خرقتنى رماحهم * وغودرتُ أكبوا فى القنا المتقصد^(٥)
 قتالِ أمرى وأسَى أخاه بنفسه * وأيقن أن المرءَ غيرُ مُخلد
 صبور على وقع المصائب حافظ * من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد

فى بعض هذه الأبيات غناء وهو :

صوت

تمثل على عليه
السلام بشعره

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
 فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى * غوايتهم وأنتى غير مهتد
 وهل أنا إلا من غزية إن غوث * غويت وإن ترشد غزية أرشد

١٠

الغناء ليحيى المكيّ ثانى ثقيلى بالسبابة فى مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، وذكره
 إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين
 على بن أبى طالب رضى الله عنه عند منصرفه من صفين .

(١) البرم : الضجر . وتناوحت الرياح هبت صبا مرة وشمالا مرة وجنوبا مرة ، وذلك آية
 الجذب . والعضاه : كل شجرة عظم وله شوك . والهشيم : الثبت اليابس المتكسر . والمعضد : المقطع
 بالمعضد . (٢) تنوشه : تناوله . والصياصى : جمع صيصية وهى شوك الحائك التى يسوى بها
 السداة واللحمة . (٣) هذه رواية الأصول وفيه إقواء . ورواية الحامسة ،

١٥

فطاعتُ عنه الخيل حتى تنفست * وحتى علانى حالك اللون أسودى
 قال التبريزى : ويرى أسود على الإقواء . وأسودى يريد أسوديا كما قيل فى الأحمر أحمر وفى الدقار
 دقارى ثم خففت به النسب بحذف إحداهما . (٤) المتقصد : المتكسر .

٢٠

حدَّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي قال حدَّثنا حسين بن نصر بن
مُزَاحِم قال حدَّثنا عمر بن سعيد عن أبي مخنف عن رجاله أن علياً عليه السلام لما
اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحكمين وتفرقت الخوارج وقالوا له أرجع عن أمر
الحكمين وتب وأعترف بأنك كفرت إذ حكمت ، ولم يقبل ذلك منهم ، وخالفوه
وفارقوه تمثّل بقول دُرَيْد :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
الآبيات :

قال أبو عبيدة : كانت لعبد الله بن الصمة ثلاثة أسماء وثلاث كنى : عبد الله
ومعبد وخالد ، ويكنى أبا ذُفَافَة وأبا فُرْعَانَ وأبا أَوْقَى . أخوه عبد الله
وأسماءه وكناه

وقال دُرَيْد :

أبا ذُفَافَة مَنْ لِلخَيْلِ إِذْ طُرِدَتْ * فَأَضْطَرَّهَا الطَّمَنُ فِي وَعْثٍ وَإِيحَافٍ^(١)
يَا فَارَسَ الْخَيْلِ فِي الْهَيْجَاءِ إِذْ شُغِلَتْ * كَلَّتِ الْيَدَيْنِ دُرُورًا غَيْرَ وَقَافٍ

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن
يونس أنه كان يقول : أفضّل بيت قالته العرب في الصبر على النواذب قول دُرَيْد
ابن الصمة : له أفضل بيت
في الصبر على
النواذب

قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ * مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء عن الزبير عن أبي المهاجر ، وذكر مثله أبو عمرو
الشيباني ، أن أُمَّ مَعْبَدٍ التي ذكرها دُرَيْد في شعره هذا كانت امرأته فطلقها ، لأنها
عاتبه زوجته
أم معبد على مكانه
أخاه فطلقها وقال
شعرا

(١) الوعث هنا : الطريق الخشن الغليظ العسر . والإيحاف : سرمة السير .

رأته شديد الجزع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته ، فطلقها وقال فيها :

أرث جديد الجبل من أم معبد * بعاقبة وأخلفت كل موعِد
وبانت ولم أحمد اليك جوارها * ولم ترج من ردة اليوم أو غد

$\frac{6}{9}$

فقلت له أم معبد : بئس والله ما أثبتت علي يا أبا قرّة ! لقد أطعمتك مأدومي ، وبشئت مكثومي ، وأثبتك بأهلاً غير ذات صرار وما استقرمت قبلك إلا من حَيْض .

وقال أبو عبيدة في خبره : بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبت أخاه فطلقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك :

أعبد الله إن سبتك عرسى * تقدّم بعض لمي قبل بعض
إذا عرس أمرئ شمت أخاه * فليس فؤاد شائته بمحض^(٢)
معاذ الله أن يشتمن رهطى * وأن يملك ابن إبرامى ونقضى

١٠

حارب غطفان يوم
القدير طالباً بثأر
أخيه وقال شعرا

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال :
أغار دريد بن الصمة بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان يطالبهم بدمه ، فاستقراهم^(٤)
حيّاً حياً ، وقتل من بني عيس ساعدة بن مرّة ، وأمر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب ،
أسره مرّة بن عوف الجشمي . فقالت بنو جشم : لو فاديناها ! فأبى ذلك دريد عليهم ،
وقتله بأخيه عبد الله ، وقتل من بني فزارة رجلاً يقال له حزام وإخوة له ، وأصاب

١٥

(١) الباهل في الأصل : الناقة لاصرار عليها ، تريد أنها أباحت نفسها . (٢) كذا في حد ،
واستقرمت المرأة : قضيت بالقرم (فتح أوله واسكان ثانيه) أى عابحت ذلك الموضع منها ليضيق
ويستحصف ، وربما تعالج بحب الزبيب ونحوه تضيق به منعها . (٣) فؤاد حمض : فاسد
متغير . (٤) استقراهم : تنبهم . (٥) فاداه : أطلقه وقيل فديته . وفي القرآن الكريم
(وإن يأتوكم أسارى فنادوهم وهو محرم عليكم إنراجهم) .

٢٠

جماعة من بنى مرة ومن بنى ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان ، وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم وفي من قُتل فيه منهم يقول :

تأبَّد من أهله معشر * بجو سويقة فالأصفر^(١)
 فزع الحليف إلى واسط * فذلك مبدى وذا محضر^(٢)
 فأبلغ سليمي وألفانها * وقد يعطف النسب الأكبر^(٣)
 بأنى ثارت بإخوانكم * وكنت كأني بهم مخفر^(٤)
 صبحنا فزارة سمر القنا * فهلا فزارة لا تضجروا
 وأبلغ لديك بنى مازن * فكيف الوعيد ولم تقرروا
 فإن تقتلوا فتية أفردوا * أصابهم الحين أو تظفروا
 فإن حراما لدى معري * وإخوته حولهم أشر
 ويوم يزيد بنى ناشب * وقبل يزيدكم الأكبر
 أنرنا صريح بنى ناشب * ورهط لقيط فلا تفخروا
 تحم الضاع^(٥) بأوصالهم * ويلقحن منهم ولم يقبروا

(١) تأبَّد : أنفر . ومعشرو وجو سويقة والأصفر أسماء مواضع .

(٢) الجزع : منعطف الوادى . والحليف وواسط : موضعان .

(٣) ألفانها : قومها المجتمعون حولها ، مفردة لف بالكسر .

(٤) أخفروه : نقض عهده وغلده . والهمزة فيه لازالة أى أزال خفارتة كاشكاه إذا أزال شكواه .

(٥) يشير إلى ما هو معروف عن الضبع من أنها إذا لقيت قتيلا بالعراء وورم وانتفخ غرموله تأتيه قتركة وتقضى حاجتها منه ثم تأكله (راجع نهاية الأرب ج ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية والحيوان لملاحظ طبع مصر ج ٥ ص ٤٠) .

ويقول في ذلك أيضا دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى :

جَزِينَا بَنَى عَبَسَ جَزَاءً مَوْقَرًا * بِمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الدَّنَائِبِ^(١)
ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بذى الرِّمِّثِ والأَرَطَى عِيَاضَ بَنٍ نَاشِبِ^(٢)
قتلنا بعبد الله خيرَ دَاثِهِ * ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بِنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

قال أبو عبيدة : أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن الصمة هذا فقال : كاد

دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء إلى آدم . فلما بلغ المنشد قوله :

ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكُضُنَا * بذى الرِّمِّثِ والأَرَطَى عِيَاضَ بَنٍ نَاشِبِ

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلا حتى يدركه .

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضا في هذه الواقعة :

قتلنا بعبد الله خيرَ لِدَاثِهِ * وخيرَ شبابِ الناسِ لوَضَمَ أجمَعَا
ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بِنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ * مِنِّيهِ أَجْرَى إِلَيْهَا وَأَوْضَعَا^(٣)
فَتَى مِثْلَ مَتَنِ السِّيفِ يَهْتَرُ لِلنَّدَى * كَعَالِيَةِ الرَّيْحِ الرُّدْيِيِّ أَرْوَعَا

وقال ابن الكلبي : قالت رَيْحَانَةُ بنت معد يكرب لدريد بن الصمة بعد حوله من

مَقْتَلِ أَخِيهِ : يَا بَنَى إِنْ كُنْتَ عَجَزْتَ عَنْ طَلَبِ النَّارِ بِأَخِيكَ فَاسْتَعِنْ بِخَالِكَ وَعَشِيرَتِهِ .

من زُبَيْدٍ ، فَأَيْفَ مِنْ ذَلِكَ وَحَلَفَ لَا يَكْتَحِلُ وَلَا يَدَّهْنُ وَلَا يَمْسُ طَبِيًّا وَلَا يَأْكُلُ

لَحْمًا وَلَا يَشْرَبُ نَحْمًا حَتَّى يُدْرِكَ نَارَهُ ، فَفَزَا هَذِهِ الْغَزَاةُ وَجَاءَهَا بِذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ فَقَتَلَهُ

بِفَنَائِهَا ، وَقَالَ : هَلْ بَلَغْتُ مَا فِي نَفْسِكَ ؟ ! قَالَتْ : نَعَمْ مُتَّعْتُ بِكَ ! وَرَوَيْ عَنِ ابْنِ

الْكَلْبِيِّ رَيْحَانَةَ فِي هَذَا الْمَعْنَى آيَاتٌ لَمْ تَحْضُرْ وَقَدْ كَتَبْتُ خَبَرَهَا .

أغسرت أمه بالاستعانة بأخواله في نار أخيه فأبى وقتل ذؤاب بن أسماء .

(١) الدَّنَائِبُ يوم من أيام الحرب المشهورة (راجع الأغاني ج ٥ ص ٣٥ — ٦٣ طبع دار الكتب

المصرية) . (٢) ذو الرمث : موضع . والرمث والأرطى نباتان . (٣) أجرى إليها قصد إليها .

أخوه قيس بن
الصمة ومقتله

وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دُرَيْد فإنه أخوه قَيْسُ بن الصَّمَّة، قتله بنو أبي بكر
أبنِ كَلَّاب . وكان السبب في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَمَاز عن
أبي عُبَيْدَة، أنه غزا في قومه بنى نُزَاعَة من بنى جُشَم، فأغاروا على إبلِ لبني كَعْب
ابن أبي بكر بن كَلَّاب، فأنطلقوا بها . وخرج بنو أبي بكر بن كَلَّاب في طلبها حتى
إذا دنوا منهم قال عمرو بن سُفْيَان الكِلَابِي، وكان حازماً عاقلاً، امكثوا، ومضى .
هو متذكراً حتى لقي رجلاً من بنى نُزَاعَة فسلم عليه وأستسقاء فسقاء وأنسب له هلالياً،
فسأله عن قومه وأين مرعى إبلهم، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتهم،
نفخه الرجل بكل ما أراد، فرجع إلى قومه وقد عرف بُغْيَتَهُ، فصبح القوم فظفرت بهم
بنو كَلَّاب وقتلوا قَيْسَ بن الصَّمَّة، وذهبوا بإبل بنى نُزَاعَة وأرتجعوا لإبلهم . وكان
يقال لعمرو بن سُفْيَان ذو السيفين، لأنه كان يلقى الحرب ومعه سيفان خوفاً من
أن يخونه أحدهما . وإياه عني دُرَيْدُ بن الصَّمَّة بقوله :

إِنَّ أَمْرًا بَاتَ عَمْرُو بَيْنَ صِرْمَتِهِ * عَمْرُو بن سُفْيَانُ ذو السَّيْفَيْنِ مَغْرُورُ
يَا آلَ سَفْيَانٍ مَا بَالِي وَبِالْكُؤُ * هَلْ تَتَّهِنُونَ وَبَاقِي الْقَوْلِ مَا ثُورُ؟
يَا آلَ سَفْيَانٍ مَا بَالِي وَبِالْكُؤُ * أَتَمَّ كَبِيرٌ فِي الْأَحْلَامِ عُصْفُورُ
هَلَّا نَهَيْتُمْ أَخَاكُمْ عَنْ سَفَاهَتِهِ * إِذْ تَشْرِبُونَ وَغَاوِي الْخَمْرِ مَدْحُورُ؟
لَا أُعْرِفَنَّ لِمَّةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةً * تَدْعُو كَلَابًا وَفِيهَا الرَّحْجُ مَكْسُورُ
لَنْ تَسْبِقُونِي وَلَوْ أَمَهَلْتُمْ شَرَفًا * عُقْبَى إِذَا أَبْطَأَ الْفُحْجُ الْخَصَائِيرُ (٦)

- (١) في ب، س، ح : «زائرا» وهو تحريف . (٢) في ب، س : «أموالم» .
(٣) الصرمة بكسر الصاد : القطيع من الأبل والغنم اختلف في عدده .
(٤) في ب، س : «أهملكم» . (٥) الفحج بضم الفاء وسكون الحاء : جمع الفحج أو فجاء،
وصف من الفحج بفتح الفاء والحاء وهو تباعد ما بين أوساط الساقين من الرجل والداية .
(٦) الخصاصير : جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره .

خبر الحرب بين
بنى عامرو بنى
جشم وبين أسد
وغطفان

وأخبرنا بغير ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال :

أغار بنو عامر بن صمصمة وبنو جشم بن معاوية على أسد وغطفان ، وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذى اللثية متساندين ^(١) ، فدريد على بنى جشم ابن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بنى عامر . فقال عبد الله بن الصمة لأخيه :

إني غير مُعطيك الرياسة ، ولكن لي في هذا اليوم شأن . ثم اشتبك عبد الله وشراحيل ابن سفيان ، فلما أغار القوم أخذ عبد الله من نعم بنى أسد ستين وأصاب القوم ما شاءوا . وأدرك رجل من بنى جذيمة عبد الله بن الصمة فقال له عبد الله بن الصمة : أرجع فإني كنتُ شاركتُ شراحيل بن سفيان ، فإن استطاع دريد

فليأتِه وليأخذ مالى منه . وأقام دريد في أواخر الحى فقال له عمرو : أرتحل بالناس قبل أن يأتِكَ الصراخ ^(٢) ، فقال : إني أنتظر أخى عبد الله . حتى إذا أطل عليه قال له : إن أخاك قد أدرك فوارس من الحليفيين يسوقون بظعنهم فقتلوه . فأنطلقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل ^(٣) : إن عبد الله أنبأني ولم يكذبني قط أن له شركة مع شراحيل فادؤا إلينا شركته . فقالوا له : ما شاركناه قط .

فقال دريد : ما أنا ببارككم حتى أستحلفكم عند ذى الخلصة (وثن من أوثانهم) . فاجابوه إلى ذلك وحلفوا ، ثم جاء عبد الله بغنيمة عظيمة بفأوه ينشدونه الشرك . فقال لهم دريد : ألم أحلفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قُتل . فقالوا : ما حلفنا وجعلوا ينشدون عبد الله أن يعطيهم ، فقال : لا ، حتى يرضى دريد ، فأبى أن يرضى فتوعدوه أن يسرقوا إبله . فقال دريد في ذلك :

(١) التساند : التعاضد . (٢) الصراخ : صوت الاستغاثة .

(٣) بالتأمل في سياق هذه القصة يلاحظ أن هذه الكلمة زائدة .

هل مثلُ قَلْبِكَ في الأَهْوَاءِ معذُورٌ * والحُبُّ بعدَ مَشِيْبِ المرءِ مغرُورٌ

وذكر الأبيات التي تقدّمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها :

إذا غلبتم صديقًا تَبْطِشُونَ به * كما تهْدَمُ في الماءِ الجَمَاهِيرُ^(١)
وأنتُمْ مَعْشَرٌ في عِرْقِكُمْ شَنْجٌ^(٢) * بَزَخُ الظهورِ وفي الأَسْنَاهِ تأخيرُ
قد علم القومُ أنّي من سَرَاتِهِمْ * إذا تَقَبَّضُ في البطنِ المَدَاكِيرُ^(٣)
وقد أَرُوْعُ سَوَامِ القومِ ضاحِيَةً * بالجُرْدِ يَرْكُضُهَا الشَّعْتُ المَغَاوِيرُ^(٤)
يَجْلِنُ كُلَّ هِجَانٍ صَارِمٍ ذَكَرٍ * وتحتهم شُرْبُ قُبِّ مَضَامِيرٍ^(٥)
أَوْعَدْتُمُو إِيْلِي كُلًّا سَمِينُهَا * بنو غَزِيَّةٍ لَا مِيلَ وَلَا صُورُ^(٦)

وأما عبدُ يَغُوثَ بنُ الصَّمَّةِ وخبرُ مقتله فإنه كان ينزل بين أظهرِ بني الصّادرِ
فقتلوه . قال أبو عبيدة في خبره : قتله يُجَمِّعُ بنُ مُزَاحِمٍ أخو شُجْنَةَ بنِ مُزَاحِمٍ وهو
من بني يَرْبُوعَ بنِ غَيْظَ بنِ مُرَّةٍ . فقال دُرَيْدُ بنُ الصَّمَّةِ :
أَبْلَغُ نَعِيًّا وَأَوْفَى إِنْ لَقِيْتَهُمَا * إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمٌّ

فما أُنْحَى بِأُنْحَى سَوْءٍ فَيَنْقُصُهُ * إِذَا تَقَارَبَ بِأَبْنِ الصَّادِرِ الْقِسْمِ

أخوه عبد يغوث
ومقتله وما رثاه
به

(١) الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

- (٢) العرق : الأصل . والشنج : التقبض والتقلص ، والبزخ : تقاعس الظهر عن البطن ، وقيل
هو خروج الصدر ودخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرياسة . (٣) الجرد : جمع
أجرد وهو الفرس القصير الشعر . والشعث جمع أشعث وهو المغفر الرأس المتلبد الشعر . والمغاوير جمع مغوار
وهو المقاتل الكثير الغارات . (٤) الهجان : الكريم . (٥) كذا في ح . وفي سائر
الأصول : « كرم » . (٦) الشرب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس ، والقب : جمع أقب
وهو من الخيل الدقيق النجصر الضامر البطن . (٧) الصور : جمع أمبور وهو المائل .
وفي ح ، أ ، م « ولا عور »

ولن يزال شهاباً يُستضاء به * يَهْدِي الْمَقَانِبَ مالم تَهْلِك الصَّمَمُ^(٢)
 عارى الأشاجع معصوبٌ بِلَمَّتِه * أَمْرُ الزَّعَامَةِ ، في عِرْنَيْنِه شَمَمُ^(٣)

قال أبو عبيدة : أما قوله "أو نديي خالد" ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن
 بنى الحارث بن كعب غزرت بنى جشم بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت
 بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عني . وقال غير أبي عبيدة : خالد بن الحارث الذي^(٤)
 عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلته أحسن (بطن من
 شنوءة) ، وكان دريد بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم وأستاق إبلهم وأموالهم
 وسبي نساءهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يصب أحد ممن كان معه إلا خالد بن
 الحارث عمه ، رماه رجل منهم بسهم فقتله ؛ فقال دريد بن الصمة يرثيه :
 يا خالدًا خالد الأيسار والنأدي * وخالد الرئح إذ هبت بصراد^(٥)
 وخالد القول والفعل المعيش به * وخالد الحرب إذ عصت بأزراد^(٦)
 وخالد الركب إذ جد السفار بهم * وخالد الحى لما ضن بالزاد

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) الصمم : جمع صمة وهو الشجاع . ولعله عني قومه .

(٣) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل هي عروق ظاهر الكف
 واحداها أشجع . والعرين : الأنف .

(٤) كذا في الأصول . ولعله : « خالد الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث ... الخ » .

(٥) الصراد : القيم الرقيق لا ماء فيه .

(٦) كذا في أ ، م . والأزاد : جمع زرد وهي الدرع المزودة ؛ سميت بذلك لأنها وتداخل
 بعضها في بعض . وفي سائر الأصول : « غصت بأوراد » . والأوراد : جمع ورد . والورد من معانيه
 القطيع من الطير والجيش على التشبيه به .

وقال أبو عبيدة: قال دُرَيْدٌ يَرْتِي أَخَاهُ خَالِدًا :

- أُمِّمَ أَجْدَى عَافِي الرُّزْءِ وَأَجْشَمِي * وَشُدِّي عَلَى رُزْءِ ضُلُوعِكَ وَأَبَايِي
حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى فِي حَيَاتِهَا * كَمَثَلِ أَبِي جَعْدٍ فَعُودِي أَوْ أَجْلِسِي
أَعْفَ وَأَجْدَى نَائِلًا لِعَشِيرَةٍ * وَأَكْرَمَ مَخْلُودٍ لَدَى كُلِّ مَجْلِسِ^(١)
وَأَلْبَنَ مِنْهُ صَفْحَةً لِعَشِيرَةٍ * وَخَيْرًا أَبَا ضَيْفٍ وَخَيْرًا مَجْلِسِ
تَقُولُ هَلَالٌ خَارِجٌ مِنْ غَمَامَةٍ * إِذَا جَاءَ يَجْرِي فِي شَلِيلٍ وَقَوْنَسٍ^(٢)
يَشُدُّ مَتَوْنِ الْأَقْرَبِينَ بِهَاؤُهُ * وَيُخَيِّثُ نَفْسَ الشَّائِي الْمُتَعَسِّ
وَلَيْسَ بِمَكْجَابٍ إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهُ * نَوْرِي إِذَا مَا أَدْبَلُوا فِي الْمُعْرَسِ^(٣)
وَلَكِنَّهُ مِذْلَاجٌ لَيْلٍ إِذَا سَرَى * يُنْدُ سُرَاهُ كُلَّ هَادٍ مُمْلَسٍ^(٤)
هذه رواية أبي عبيدة .

١٠

- وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن عمِّه عن العباس بن هشام عن أبيه أن
خالد بن الصِّمَّةَ قُتِلَ فِي غَارَةٍ أَغَارَتْهَا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى بَنِي نَصْرٍ بِنِ مَعَاوِيَةَ
فِي يَوْمٍ يُقَالُ لَهُ يَوْمُ ثَيْلٍ، فَأَصَابُوا نَاسًا مِنْ بَنِي نَصْرٍ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ بَنِي جُثَمَ فَلِحَقْوِهِمْ،^(٦)
وَرَأَيْسَ بَنِي جُثَمَ يَوْمَئِذٍ مَالِكُ بْنُ حَزْنٍ، فَاسْتَنْقَذُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ غَنَائِمَ بَنِي
نَصْرٍ، فَأَصَابُوا ذَا الْقُرْنِ الْحَارِثِيَّ أَسِيرًا وَقَفَّوْا عَيْنَ شَهَابِ بْنِ أَبَانَ الْحَارِثِيَّ بِسَهْمٍ،
١٥

يوم ثيل

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . (٢) الشَّلِيلُ : الْغَلَالَةُ تَلْبَسُ تَحْتَ الدَّرْعِ . وَالْقَوْنَسُ

أَعْلَى بِيضَةِ الْحَدِيدِ، وَقِيلَ مَقْدَمُ الْبِيضَةِ . (٣) الْمَكْجَابُ : الْكَثِيرُ النَّظَرِ إِلَى الْأَرْضِ .

(٤) يَنْدُ : يَشْرُدُ وَيَنْفِرُ . (٥) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مَحْرَقَةٌ عَنْ «عَمَلَسَ» وَهُوَ

الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ عَلَى الْمَفْرَأِ أَوْ الْقَوِيُّ عَلَى السَّيْرِ السَّرِيعِ، وَمِثْلُهُ «الْعَمْرَسُ» .

(٦) لَمْ يَجِدْ يَوْمًا بِهَذَا الْأَمِّمْ فَيُارَاجَعْنَا مِنْ مَصَادِرٍ . وَفِي يَاقُوتَ : «ثَيْلٌ بِالْفَتْحِ ثُمَّ السَّكُونِ مَاءٌ قَرِيبُ النَّبَاجِ كَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ مَشْهُورَةٌ» .

٢٠

وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ خَالِدُ بْنُ الصَّمَّةِ وَكَانَ مَعَ مَالِكِ بْنِ حَزْنٍ، وَأَصَابَتْ بَنُو جُشَمٍ مِنْهُمْ نَاسًا، وَكَانَ رَئِيسُ بَنِي الْحَارِثِ بْنُ كَعْبٍ يَوْمَئِذٍ شَهَابُ بْنُ أَبَانَ، وَلَمْ يَشْهَدْ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا قَتَلُوا ذَا الْقَرْنِ بِخَالِدِ بْنِ الصَّمَّةِ، وَلَمَّا قُدِّمَ لِنُضْرَبِ عُنُقِهِ، صَاحَ بِأَوْسِ بْنِ الصَّمَّةِ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، وَلَمْ يَكُنْ أَوْسٌ حَاضِرًا، فَلَمْ يَنْفَعِهِ ذَلِكَ وَقُتِلَ. فَلَمَّا قَدِمَ أَوْسٌ غَضِبَ وَقَالَ: أَقَتَلْتُمْ رَجُلًا اسْتَجَارَ بِأَسْمَى! فَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ فِي ذَلِكَ:

(١)
تُبَّتْ أَوْسًا بَكَى ذَا الْقَرْنِ إِذْ شَرِبَا * عَلَى عُكَاظٍ بِكَاءَ غَالٍ مَجْهُودَى
لَمَّا حَلَفْتُ بِمَا جَمَعْتُ مِنْ نَسَبٍ * وَمَا ذُبَحْتُ عَلَى أَنْصَابِكَ الشُّودِ
لَتَبْكِيَنَّ قَتِيلًا مِنْكَ مُقْتَرِبًا * لَمَّا رَأَيْتُكَ تَبْكِي لِلْأَبَاعِيدِ

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَزَائِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَصَّةُ زَوَاجِهِ
وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ النَّحْوِيُّ الضَّرِيرُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ
بِامْرَأَةٍ رَجَدَهَا
الْأَعْرَابِيِّ قَالَ:

تَزَوَّجَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ أَمْرَأَةً فَوَجَدَهَا ثِيَابًا، وَكَانُوا قَالُوا لَهُ إِنَّهَا بَكْرٌ، فَقَامَ عَنْهَا
قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا، وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَأَقْبَلَ بِهَ إِلَيْهَا لِيَضْرِبَهَا، فَتَلَقَّتهُ أُمُّهَا لَتُدْفَعَهُ عَنْهَا،
فَوَقَّفَ يَدَيْهَا (أَيَّ حَزْمًا وَلَمْ يَقْطَعْهُمَا)، فَنَظَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَهِيَ مَعْصُوبَةٌ فَقَالَ:

أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عَصَبَتَ يَدَيْهَا * وَمَا إِنْ تَعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ
فَأَبْقَاهُنَّ أَنْ لَمْ يَنْ جَدًّا * وَوَأَقِيَّةَ كَوَاقِيَةِ الْكَلَابِ
قَالُوا: يَرِيدُ أَنْ الْكَلْبُ يُصْبِيهِ الْجُرْحُ فَيَلْحَسَ نَفْسَهُ فَيَبْرَأَ.

ما جرى بينه وبين
عياض الثعلبي

قال أبو عبيدة وأبن الأعرابي جميعا في هذه الرواية : أسردريد بن الصمة
عيلضا الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه . ثم إن دريدا أتاه بعد
ذلك يستثنيه . فقال له : إيت رحلك حتى أبعث اليك بثوابك ؛ فأنصرف دريد .
فبعث اليه بوطي نصفه لبن ونصفه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلا حتى
أغار على بني ثعلبة ، وأستاق إبل عياض ، وأفلت عياض منه جريحا ؛ فقال دريد
في ذلك من قصيدة :

فإن تنج يدعي عارضاك فإننا * تركنا بنيك للضبايع وللرخيم^(١)
جزيت عياضا كفره وعقوقه * وأخرجته من المدفأة^(٢) الدهم^(٣)
الآهل أتاه ماركنا سراتهم * وما قد عقرنا من صفي ومن قرم^(٤)

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :
هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جعدان التيمي تيم قريش فقال :
هل بالحوادث والأيام من نجيب * أم بآبن جعدان عبد الله من كليب^(٥)
است حميت وهي في عكم ربته * في يوم حر شديد الشر والهرب^(٦)
إذا لقيت بني حرب وإخوتهم * لا يأكلون عطين^(٧) الجلد والأهبط^(٨)
لا ينكحون ولا تشوي^(٩) رماحهم * من الكفا ذوى الأبدان والجلب^(١٠)

هجا عبد الله بن
جعدان ثم مدحه .

- (١) أنعم عليه : أطلقه . (٢) الوطب : سقاء اللبن يتخذ من جلد . (٣) الرخم :
(بضم الراء وسكون الخاء) : جمع رجمة (بفتح الراء والخاء) . وهي طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه
مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . (٤) المدفأة : الإبل الكثيرة الأوبار والشعوم .
(٥) الصفي : الناقة الغزيرة اللبن . والقرم : الفعل . (٦) الحميت : المتين . والعكم (بكسر
العين وسكون الكاف) : المدلل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالعكام أى الحبل . ويلاحظ أن هذا الشطر
غير واضح . (٧) العطين : الجلد المدبوغ . (٨) تشوي : تصيب الشوى ولا تقتل . والشوى :
الأطراف . (٩) الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . والجلب : جمع جبة وهي هنا الدرع أيضا .

فَأَقْعُدْ بِطِينًا مَعَ الْأَقْوَامِ مَا قَعَدُوا * وَإِنْ غَزَوْتَ فَلَا تُبْعِدْ مِنَ النَّصَبِ
فَلَوْ تَقَفْتُكَ وَسَطَ الْقَوْمِ تَرُصِدُنِي * إِذَا تَلَبَّسَ مِنْكَ الْعِرْضُ بِالْحَقِيبِ
وَمَا سَمِعْتُ بِصَقِيرٍ ظَلَّ يَرُصِدُهُ * مِنْ قَبْلِ هَذَا يَجْنِبُ الْمَرْجَ مِنْ خَرَبِ

قال : فلقبه عبد الله بن جُدعان بُعَظَ خِيَاهُ وقال له : هل تعرفني يا دُرَيْد ؟ قال
لا . قال : فلم هجوتني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتك
لأنك كنتَ امرأً كريماً ، فأحببتُ أن أضع شعري موضعه . فقال له عبد الله : لئن
كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ ؛ وكساه وحمله على ناقة برجلها . فقال دُرَيْد يمدحه :

إِلَيْكَ ابْنُ جُدْعَانَ أَعْمَلْتُمَا * خَفَفَةً لِلْسَرَى وَالنَّصَبِ
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تُتَلَقِيَ أَمْرًا * جَوَادَ الرِّضَا وَحَلِيمَ الْغَضَبِ
وَجَلَدًا إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْ بِهِ * يُعِينُ عَلَيْهَا بِجَزْلِ الْخَطَبِ
رَحَلْتُ الْبِلَادَ فَمَا إِنْ أَرَى * شَيْبَةَ ابْنِ جُدْعَانَ وَسَطَ الْعَرَبِ
سِوَى مَلِكٍ شَايَخٍ مَلَكُهُ * لَهُ الْبَحْرُ يُجِيرِي وَعَيْنُ الذَّهَبِ

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام موقوفاً عليه لم يتجاوزهُ الى غيره ،
وحديثي حبيب بن نصر المهلبى وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالوا حدثنا عمر بن
شبة عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا
أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني الحرابي عن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن
بكر قال حدثني علي بن المغيرة عن أبي عبيدة ، وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان

نقل في الخنساء
ورخطها فأمتممت
وتهاجيا

(١) ثقفه : صادفه . (٢) العرض هنا : الجسد ، والحقب شيء تتغذاه المرأة تعلق به

معاليق الحلى تشده على وسطها . يريد اذا صادفك وسط القوم لبست لبسة النساء واستخفيت .

(٣) بكذا في الأصول . ولعله « المرخ » وهو شجر مريع الوري يقتدح به . (٤) إلخرب : ذكر
الحباري ، وقيل الحبارى كلها .

١١
٩

١٥

٢٠

قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة^(١) عن أبي عمرو الشيباني، وأخبرني
عمي قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي^(٢)، وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم
في هذا الموضع، أن دُرَيْدَ بن الصَّمَّة مرَّ بالحنْشاء بليت عمرو بن الشَّريد، وهي
تَهَنَّا بغيراً لها وقد تبدلت حتى فرغت منه، ثم نَضَتْ عنها ثيابها فأغتسلت ودُرَيْدَ بن
الصَّمَّة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته؛ فأنصرف إلى رَحْله وأنشأ يقول :

حَيُّوا مُمَاضِرَ وَأَرْبَعَا صَحْبِي * وَفَقُّوا فَإِنْ وَقَفَكُمْ حَسْبِي

أَخْنَأْسُ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ * وَأَصَابَهُ تَبَلُّلٌ مِنَ الْحُبِّ

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ * كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْتُقِي جُرْبُ

مَبْدَلًا تَبْدُو مُحَاسِنُهُ * يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ^(٣)

مَتَحَسِّرًا نَضَحَ الْهِنَاءُ بِهِ * نَضَحَ الْعَيْبَرِ بِرَيْطَةِ الْعَصَبِ^(٤)

فَسَلِّمْهُمْ عَنِّي خُنَأْسُ إِذَا * عَصَّ الْجَمِيعَ الْخَطْبُ مَا خَطْبِي

— قالوا: وَتَمَاضِرُ اسْمُهَا. وَالْحَنْشَاءُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهَا — فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى أَيْبَاهَا نَخَطُهَا^(٥)

إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ أَبُوهَا: مَرْحَبًا بِكَ أَبَا قُرَّةَ! إِنَّكَ لِلْكَرِيمِ لَا يُطْعَنُ فِي حَسْبِهِ، وَالسَّيِّدُ لَا يُرَدُّ

عَنْ حَاجَتِهِ، وَالْفَعْلُ لَا يُقَرَّعُ أَنْفَهُ. — وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ خَاصَّةً مَكَانَ "لَا يُطْعَنُ فِي حَسْبِهِ"

"لَا يُطْعَنُ فِي عَيْبِهِ"^(٦) — وَلَكِنْ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ فِي نَفْسِهَا مَا لَيْسَ لغيرها، وَأَنَا ذَا كُرْكُ لَهَا

(١) الذي في ج ٤، ١: «... وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو نوبة... الخ».

(٢) في ١، ٤ م هنا زيادة، هي: «وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي».

(٣) الهناء: القطران. والنقب (بضم النون وتسكين القاف أو فتحها): القطع المتفرقة من الحرب.

والواحدة نقبة، وقيل هي أول ما يبدو من الحرب. (٤) في ب، س: «الطوبى». والطب (بالضم

وبضتين): القطن. (٥) في الأمل ج ٢ ص ١٦١ طبع دار الكتب المصرية أنه خطها إلى

أخيها معاوية. (٦) كذا في الأصول. ولعلها: «في غيبه» بالعين المعجمة.

وهي فاعلة . ثم دخل اليها وقال لها : يا خنساء ، أذاك فارس هوازن وسيد بني جشم
 دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ، ودريد يسمع قولها . فقالت : يا أبت ،
 أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غدا .
 فخرج اليه أبوها فقال : يا أبا قرّة قد امتنعت ، ولعلها أن تجيب فيما بعد . فقال :
 قد سمعت قولكما ، وأنصرف . هذه رواية من ذكرت . وقال ابن الكلبي : قالت
 لأبيها : أنظرني حتى أشاور نفسي ، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها :
 انظري دريدا إذا بال ، فإن وجدت بوله قد حرق الأرض ففيه بقية ، وإن وجدته
 قد ساح على وجهها فلا فضل فيه . فأتبعته وليدتها ثم عادت اليها فقالت : وجدت
 بوله قد ساح على وجه الأرض ، فأمسكت . وعاود دريد أباه فعاودها فقالت له
 هذه المقالة المذكورة ، ثم أنشأت تقول :

أنخطبني ، هيلت ، على دريد * وقد أطردت سيد آل بدر^(٢)
 معاذ الله ينكحني حبركي * يقال أبوه من جشم بن بكر^(٣)
 ولو أمسيت في جشم هديا * لقد أمسيت في دنس وفقر^(٤)

فغضب دريد من قولها وقال يهجوها :

وقالك الله يا بنة آل عمرو * من الفتيان أمثالي ونفسي
 فلا تلدي ولا ينكحك مثلي * اذا ما ليلت طرقت بنحس

(١) يقال : فلان هامة اليوم أو غدا إذا شاخ وأشرف على الموت .

(٢) أطردت : أمرت بطرده . (٣) الحبركي : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين ،

والأنثى منه حبركة . وقد ورد هذا البيت في اللسان هكذا :

ولست بمرضع ثديي حبركي * قصير الشبر من جشم بن بكر

(٤) الهدى : العروس .

لقد علم المراضعُ في جُمادى * إذا استعجلنَ عن حَزِّ بنهس^(١)
 بأنِّي لا أَيْتُ بغير لحم * وأَبْدَأُ بالأرامل حين أُمسي
 وأَنْتِ لا يَنْتَالُ الحَيُّ ضَيْفِي^(٢) * ولا جَارِي يَيْتُ خَبِيثَ نفس
 إذا عَقِبَ القُدورِ تَكُنَّ مَالاً^(٣) * تَحْتُ حَلَائِلَ الأَبْرَامِ عِرسِي
 وَأَصْفَرَّ من قِدَاحِ النَّبْعِ ضَلَبٌ * خَفَى الوَسْمُ في ضَرْسٍ وَلَمِيس^(٤)
 دَفَعْتُ إلى المَفِيزِ إذا اسْتَقْلُوا^(٥) * على الرُّجَاتِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ^(٦)
 فَإِنِ اكْدَى فَنَامِكَةً تُودِي^(٧) * وَإِنِ آرَبِي فَإِنِّي غَيْرُ نَكْسٍ^(٨)
 وَتَرْعَمُ أَنْتِ شَيْخٌ كَبِيرٌ * وَهَلْ خَبَرْتُهَا أَنِي أَبْنُ أَمِيس

(١) الحز: القطع. والنهس: تمزق ما على العظم وانزاعه بمقدم الأسنان. (٢) رواية الأماي:

١٠ * وَأَنْتِ لا يَهْر الضيف كَلِي *

أى لا ينجح في وجهه لأنه به. (٣) كذا في ح. وفي سائر الأصول: «تكن ملاي»

وهو تحريف. ورواية هذا الشطر في الأماي واللسان (في مادة برم): «إذا عقب القدور عددن مالا».

وعقبة القدر: ما التزق بأسفلها من تابل وغيره. وتحت: تعجل، يقال حته دراومه إذا عجل له النقد.

وقد وردت هذه الكلمة في الأصول «تحب» والتصويب عن اللسان. يريد أنه إذا اشتد القحط وعدت

١٥ عقب القدور مالا عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. والأبرام: الثام، الواحد: برم، وهو

في الأصل الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. (٤) ضرس السهم: عجمه. (٥) المفيض:

الضارب بالقداح. (٦) في الأصول: «الزكبان» والتصويب عن الأماي؛ ويرى فيه:

دفعت إلى النجى وقد تحاجوا * على الرجات مطلع كل شمس

قال أبو علي قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعي: هذا غلط؛ إنما هو مغرب كل شمس،

٢٠ لأن الأيسار إنما يتيامرون بالعشيات. (٧) اكدى: أخفق ولم يصب.

(٨) كذلك في الأصول. ويلاحظ أنه لم يرد في كتب اللثة إلا التامك بدون هاء التأنيث.

والتامك: الناقة العظيمة السنام أو السنام نفسه. والنكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

تريد شربث^(١) القدمين شئنا * يُيادر بالجدائر كل كرس
وما قصرت يدي عن عظيم أمر * أهُمُّ به ولا سَهْمِي بِنَكْس
وما أنا بالمزجي حين يسمو * عظيم في الأمور ولا بوهس^(٢)
قال : فقيل للنساء : ألا تُجيبينه ؟ فقالت : لا أجمع عليه أن أردّه وأهجوّه .

٥ أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَاز عن أبي عبيدة قال : لما أَسَنَ دُرَيْدُ
جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت ، ووكّلوا به أمةً تحمّده ، فكانت إذا أرادت أن
تُبْعِدَ في حاجة قيّده بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت
يأدر يد ؟ فأنشأ يقول :

أصبحتُ أفذف أهداف المنون كما^(٣) * يرمي الدريئة أدنى فؤوة الوتر^(٤)
في منصف من مدى تسعين من مائة * كرمية الكاعب العذراء بالجر^(٥)
في منزل نازح مالحى منتبذ * كمرّبط العير لا أدعى الى خبر^(٦)

(١) الشربث : الفليظ . والشثن : الفليظ أيضا . والكرس : ما تكرس أى صار بعضه فوق بعض .
والجدائر : جمع جذيرة وهى الحظيرة . وقدرواه أبو على فى الأمالى :
تريد أفيحج الرجلين شئنا * يقطع بالجديرة كل كرس

١٥ وقال : وروى :

تريد شربث الكفين شئنا * يقطع بالجدائر كل كرس
(٢) المزجي من القوم : المزج وهو الملتصق بالقوم وليس منهم ، والرجل الناقص المروءة ، والدون من
كل شيء ، والبخيل . والوهس : الدليل الموطوء . (٣) فى ا ، م : « السنين » . وفى ح :
« المئين » . (٤) الدريئة : حلقة يتعلم عليها الرامي ، قال عمرو بن معد يكرب :

ظللت كائن للرماح دريئة * أقاتل عن أبناء جرم وفرت
(٥) فى اللسان : « الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . وجرّاه : زهّماه . وهذيل تسمي
الزمنين الفوقتين . (٦) منصف الشيء : وسطه

آخر أيامه وشعره
بشد أن أسن
ضعف جسمه

كأنتي نَحْرٌ قُصِّتْ قَوَادِمُهُ * أَوْجُهُ مِنْ بُغَاثٍ فِي يَدَيَّ خَصِرِ^(٢)
يَمْضُونَ أَمْرَهُمْ دُونِي وَمَا فَقَدُوا * مَنِّي عَزِيمَةَ أَمْرِ مَا خَلَا كِبَرِي
وَنَوْمَةً لَسْتُ أَقْضِيهَا وَإِنْ مَتَعْتُ^(٣) * وَمَا مَضَى قَبْلُ مِنْ شَأْوَى وَمِنْ عُمَرِي
وَأَنْتِي رَأَيْتِي قَبْلُ حُبِسْتُ بِهِ * وَقَدْ أَكُونُ وَمَا يُمَشَى عَلَى أَثَرِي
إِنْ السَّيِّئِينَ إِذَا قَرَّبَنَ مِنْ مَائَةٍ * لَوْ يَنْ مِرَّةً^(٤) أَحْوَالٍ عَلَى مِرَرٍ

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَمَازْدُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : قَالَتْ امْرَأَةٌ
دَرِيدٌ لَهُ : قَدْ أَسْنَنْتَ وَضَعُفَ جِسْمِكَ وَقُتِلَ أَهْلُكَ وَفَنِيَ شَبَابُكَ ، وَلَا مَالُ لَكَ
وَلَا عُدَّةٌ ، فَعَلَى أَيْ شَيْءٍ تَعُولُ إِنْ طَالَ بِكَ الْعُمْرُ أَوْ عَلَى أَيْ شَيْءٍ تُخَلِّفُ أَهْلَكَ إِنْ
قُتِلَتْ ؟ فَقَالَ دَرِيدٌ :

صوت

١٠

أَعَاذَلُ إِنَّمَا أَفَنَى شَبَابِي * رَكُوبِي فِي الصَّرِيحِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى كُلِّ جَسْمِي * وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ النَّجَادِ
أَعَاذَلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ * أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالٍ يَلَادِ
أَعَاذَلُ عُدَّتِي بَدَنِي وَرُغْمِي * وَكُلُّ مَقْلَصٍ شَكْسِ الْقِيَادِ
وَيَقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي * وَيَقْنَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

١٥

هذا الشعر رواه أبو عُبَيْدَةَ لَدَرِيدٍ ، وَغَيْرُهُ يَرْوِيهِ لَعَمْرُؤُ بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ ، وَقَوْلُ
أَبِي عُبَيْدَةَ أَصَحُّ . لَا بِنَ مُحَمَّدٍ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْخِنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ^(٦)

(١) الخرب : ذكر الحباري . (٢) كذا في الأصول . ولعلها « هصر » . ويقال ليث هصور .
وهصر (ككتف) وهصر (كصرد) . (٣) متعت : طابت . (٤) المرة : طاقة الحبل .
(٥) البدن هنا : الدرع . وفرس مقلص (بكسر اللام) : طويل القوائم منضم البطن .
(٦) في الأصول هنا . « ولا بن محرز ... الخ » .

٢٠

عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانه أن لأبن سُرَيْج فيها ثانی ثقیل بالبصر . وخط
المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب في هذين اللحنين :

أريد حياته ويريد قتلى * عَذِيرَكَ من خليلك من مُرَادٍ^(١)
ولو لاقيتني ومعى سلاحي * تكشف شحم قلبك عن سواد

وقال أبو عبيدة فيما رويناه عن دَمَاز عنه : قتل بنو ربوع الصمة أبا دريد
فقدرا، وأسرُوا ابن عم له؛ ففزاهم دريد بن نصر فوقع بنو ربوع وبني سعد جميعا،
فقتل فيهم . وكان فيمن قتل عمار بن كعب؛ وقال فيهم :

دعوتُ الحى نصرًا فاستهلوا * بُشْبَانِ ذوى كَرَمٍ وشيب
على جُرْدٍ كأمثال السَّعَالِ * وَرَجُلٍ مِثْلِ أُمِيَّةِ الكَثِيبِ^(٢)
فما جَبَنُوا وَلَكِنَّا نَصَبْنَا * صَدُورَ الشَّرْعِيَّةِ للقلوبِ^(٣)
فَهِكْ فَأَدْرَنْ مِنْ كَابٍ صَرِيحٍ * يُمِجُّ يَجِيعَ جَائِفَةٍ ذُرْبِ^(٤)
وتلكم عادة لبني رباب * إذا ما كان موتٌ من قريب
فأَجَلُّوا والسَّوَامُ لنا مُبَاحٌ * وكلُّ كَرِيمَةٍ خَوْءٍ عَرُوبٍ
وقد ترك ابن كعب في مكر * حَيْسًا بين ضَبْعَانِ وذيب

قال أبو عبيدة : وكان الصمة أبو دريد شاعرا، وهو الذى يقول في حرب الفجار كان أبوه شاعرا
التي كانت بينهم وبين قریش :

(١) في ب، م : «جاءه» . (٢) كذا في أكثر الأصول . وفي م ، ن : «أمية»
ولا معنى لها . فلم الصواب «أهيلة» جمع هيال وهو ما انحال من الرمال .
(٣) الشرعية : الطويلة، يريد الرماح . (٤) الجائفة : الطعنة التي تنفذ الى الجوف .
وذئوب : طويلة الشر والأذى؛ ومثله قولهم : يوم ذئوب إذا كان طويل الشر لا يتقضي .

لَا بَتَ قُرَيْشٍ غَدَاةَ الْعَقِيدِ * بَقِ أَمْرًا لَهَا وَجَدَتْهُ وَيَبِلَا
 وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَهَوَجِ الْأَقْبِ * ^(١) يعلو النجاد وَيَمْلَأُ الْمَسِيلَا
 وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَةً * ^(٢) وَرَمَحَا طَوِيلَا وَسِيفَا صَقِيلَا
 وَمُحْكَمَةً مِنْ دُرُوعِ الْقِيُو * نَ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا حَصِيلَا

٥ قال : وكان أخوه مالك بن الصَّمَّةَ شاعرا ، وهو القائل يَرْتِي أَخَاهُ خَالِدَا :
 وكان أخوه مالك شاعرا

أَبْنِي غَزِيَّةَ إِنْ شِلُّوا مَا جَدَّا * ^(٣) وَسَطَ الْبُيُوتِ السُّودِ مَدْفَعُ كَرَكِ ^(٤)
 لَا تَسْقِنِي بِيَدَيْكَ إِنْ لَمْ أَلْتَمِسْ * ^(٥) بِالْخَيْلِ بَيْنَ هَبُولَةٍ فَالْقَرْقَرِ

١٤ تحالف معاوية
 ٩ ابن عمرو بن الشريد
 ورناء
 أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عُبَيْدَةَ قال :

تَحَالَفَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ وَتَوَاتَفَا إِنْ هَلَكَ أَحَدُهُمَا أَنْ
 يَرْتِيَهُ الْبَاقِي بَعْدَهُ ، وَإِنْ قُتِلَ أَنْ يَطْلُبَ بَنَاهُ . فَقُتِلَ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ ،
 قَتَلَهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ بْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّي . فَرَنَاهُ دُرَيْدُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَلَا هَبَّتْ تَلُومٌ بَغِيرَ قَدِيرٍ * وَقَدْ أَحْفَظْتَنِي وَدَخَلْتَ سِتْرِي
 وَإِلَّا تَتْرَكِي لَوَيْ سَقَاهَا * تَلُمُكَ عَلَيْهِ نَفْسُكَ غَيْرَ عَصْرِ

وفيها يقول :

١٥ فَإِنَّ الرُّزَاةَ يَوْمَ وَقَفْتُ أَدْعُو * فَلَمْ أَسْمَعْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو
 وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لَأَتَاكَ يَسْعَى * حَيْثُ السَّعْيُ أَوَّلَاتُكَ يَجْرِي
 بِشَيْكَةٍ حَازِمٍ لَا غَمَزَ فِيهِ * ^(٦) إِذَا لَيْسَ الْكُفَاةُ جُلُودَ نَمِرٍ ^(٧)

(١) الأتي : السيل لا يدرى من أين أتى . (٢) الخيفانه : القرس .

(٣) الشلو : بالكسر هتا : الجسد . (٤) كرك : علم على عدة مواضع .

(٥) هبولة والقرقر : موضعان . (٦) الشكة : السلاح . (٧) يقال : لبست

فلان لفلان جلد النمر إذا تنكر له . وكانت ملوك العرب إذا جلسيت لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت
 بقتل من تريد قتله .

عرفت مكانه فعمطت زورا^(١) * وأين مكان زور يابن بكر
على إريم وأحجار يقال^(٢) * وأغصان من السلمات سمر
وبنيان القبور أتى عليها * طوال الدهر شهرا بعد شهر

أخبرني عبد الله بن مالك الحنوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي^(٣) قال :
وقف عارض الجشمي على دريد وقد خرف وهو عريان وهو يكمم كرم بطحاء

بين رجله يلعب بذلك ؛ بفعل عارض يتعجب مما صار إليه دريد . فرفع رأسه
دريد إليه وقال :

كأنتي رأس حصن^(٤) * في يوم غيم ودجن^(٥)
يا ليتني عهد زمن^(٦) * أنقض رأسي وذقن^(٧)
كأنتي قل حصن^(٨) * أرسل في حبيل عنن^(٩)
أرسل كالظبي الأرنب^(١٠) * ألصق أذنا بأذن

قال : ثم سقط ؛ فقال له عارض : إنهض دريد ! فقال :

لا نهض في مثل زمان الأول^(١١) * محن الساق شديد الأعصيل^(١٢)
ضخم الكراديس^(١٣) نخيص الأشكل^(١٤) * ذى حنجر رحب وصلب أغدل

(١) الزور في اللغة : الجمل القوي ، ولعله هنا اسم جملة . (٢) الإرم : حجارة تنصب عليها في المفازة .
(٣) البطحاء هنا : الحصى الصغار . (٤) حصن : اسم جبل . (٥) الدجن : جمع دجنة وهي الظلمة .
(٦) الأرنب : النسيط . (٧) التحنيط : احديداب في وظيفي يدي القوس ، وهو مما يوصف صاحبه .
بالشدّة . والأعصل : المعوج الصلب من كل شيء ، ومنه ناب أعصل أي معوج شديد ؛ قال أوس بن حجر :
* رأيت لها نابا من الشر أعصلا * وفي الأصول : « أعصل » بالضاد وهو تصحيف .
(٨) الكراديس : جمع كردوس وهو كل عظم تام ضخم . (٩) ليس في كتب اللغة إلا الشاكلة
بمعنى الخاصرة وهي المرادة في هذا الشعر . (١٠) كذا في جميع الأصول ؛ والمراد به ليس وأصحا .

حديث عارض
الجشمي عنه وقد
خرف

٥

١٠

١٥

٢٠

خرج في حرب
حنين وهو شيخ
ونصح مالك بن
عوف نخالته

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن
الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله قال :

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقام بها خمس عشرة ليلة يقصر^(١)
وكان فتحها في عشر لياليتين من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : وحدثني

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما سمعت به هوازن جمعها مالك بن عوف
النصري ، فاجتمعت اليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع اليه من قيس إلا هوازن
وناس قليل من بني هلال ، وغابت عنها كعب وكلاب ، فجمعت نصر وجشم وسعد
وبنو بكر وثقيف واحتشدت ، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير فان ليس فيه
شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مجربا ، وفي ثقيف في الأحلاف

قارب بن الأسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحارث ، وجماع أمر
الناس الى مالك بن عوف . فلما أجمع مالك المسير حط مع الناس أموالهم وأبناءهم
ونساءهم . فلما نزلوا بأوطاس^(٢) اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة^(٣) في شجاره
يقاد به . فقال لهم دريد : بأي واد أتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخيل ،
ليس بالحنن الضرس ولا السهل الدهس^(٤) . مالي أسمع رغاء الإبل ونهيق الحمير وبكاء
الصغير ونغاء الشاء ؟ ! قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم .
فقال : أين مالك ؟ فدعي له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ،
وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام ! . مالي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء
الصبيان ونغاء الشاء ؟ ! قال : سقت مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم . قال :

١٥
٩

(١) قصر الصلاة : أن يترك من ذوات الأربع ركعتين ويصلي ركعتين .

(٢) أوطاس : واد بديار هوازن . (٣) الشجار : مركب أصغر من المودج .

(٤) الضرس : الصعب . (٥) الدهس : اللين السهل .

ولم ؟ قال : أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم . قال :
فانقض به ووبخه ولامه ، ثم قال : راعى ضاين والله (أى أحق) ! وهل يرد المنهيم
شيء ! إنما إن كانت لك لم يتفكك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك
فوضحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال : لم يشهدا
أحد منهم . قال : غاب الحد والحد ! لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب
وكلاب ! ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا . فمن شهدا منهم ؟ قالوا : بنو عمرو
ابن عامر وبنو عوف بن عامر . قال : ذاك الحدان من عامر لا ينفعان ولا يضران .
ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً .
أرفعهم إلى أعلى بلادهم وعليا قومهم ثم ألق القوم بالرجال على متون الخيل ، فإن
كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك
ولم تفضح في حريمك . قال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ! إنك قد تحرفت وتحرف
رايك وعلمك ، والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا الله ف حتى يخرج
من وراء ظهري — فيفس على دريد أن يكون له في ذلك اليوم ذكر ورأى —
فقالوا له : أطعناك وخالفنا دريداً . فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه .
ثم قال : ١٥

يَالَيْتَنِي فِيهَا جَدَعُ * أَخْبُ فِيهَا وَأَضَعُ
أَقُودَ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ * كَأَنَّهُ شَأْءُ صَدَعُ

قال : فلما أقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم آنهزم المشركون فأتوا الطائف ومعه
مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة^(٤) ، وتبع خيل

٢٠ (١) الجلع : الشاب الحدث . (٢) بيضة القوم : أصلهم وجميعهم . (٣) في السيرة :
« تمتع بلادهم » . (٤) نخلة : المراد هنا نخلة إيمانية ، وهى واد يصب فيه يدعان (اسم واد)
وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين (معجم البلدان لياقوت) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك نخلة، فأدرك ربيعة بن ربيع السلمي أحد بني يربوع بن سمائل بن عوف دريد بن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به فإذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام. فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة ابن ربيع السلمي . فأنشأ دريد يقول :

وَيْحَ ابْنِ أَكْكَ مَاذَا يُرِيدُ * مِنَ الْمُرْعِشِ الذَّاهِبِ الْإِدْرِيدِ
فَأُقْسِمُ لَوْ أَنَّ بِي قُوَّةٌ * لَوَلَّتْ فَرَائِصُهُ تُرْعَدُ
وَبِالْهَلَفِ نَفْسِي أَلَّا تَكُونَ * مَعِيَ قُوَّةُ الشَّارِخِ الْأَمْرَدِ^(٤)

- ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يُغن شيئا . فقال له : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القرباب فأضرب به وأرفع عن العظام وأخفص عن الدماغ، فإنني كذلك كنتُ أفعل بالرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد ابن الصمة، فرب يوم قد منعت فيه نساءك ! . فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته بالسيف سقط فأنكشف ، فاذا عجائه وبطن يخذه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراء^(٥) . فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت له : لقد أعتق قتيلك ثلاثاً من أمهاتك . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري ، فهزمهم

(١) في الأصول : « مماك » والتصويب من السيرة لابن هشام والقاموس . (٢) كذا في السيرة . وفي الأصول : « أنها » . (٣) كذا في الأصول . وفي مختصر الأغاني : « تكمة » . وقد جاء في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٨٥٢) أن ربيعة بن ربيع هذا يقال له ابن الدغنة وهي أمه فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لدغة . (٤) كذا في مختصر الأغاني . وفي سائر الأصول : « الشاخ » والشارخ : الشاب . . (٥) العجان : الدبر ، وقيل هو ما بين الدبر والقبل . (٦) فرس عري : غير مسرج ، وصف بالمصدر ، ثم جعل اسماً بجمع ف قيل خيل أعراء . ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عري .

الله جل وعز وفتح عليه . فيزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله (يعني أبا عامر) .

فقالت عمرة بنت دريد ترثيه :

بجزي عنا الإله بني سليم * وأعقبهم بما فعلوا عقاق^(١)
وأسقانا إذا سرننا إليهم * دماء خياريهم يوم التلاق^(٢)
فرب منوه بك من سليم * أجيب وقد دعاك بلا رماق^(٣)
ورب كريمة أعتقت منهم * وأخرى قد فككت من الوثاق

وقالت عمرة ترثيه أيضا :

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا * وظل دمي على الخدين يتدر^(٤)
لولا الذي قهر الأقوام كلهم * رأت سليم وكعب كيف تأمر^(٥)
إذا لصبّحهم غيبا وظاهرة * حيث استقر نواهم بحفّل ذفر^(٦)

١٠

ونسخت من كتاب مترجم بأنه نسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره
عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي :

كان دريد بن الصمة يوما يشرب مع نفر من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذؤافة —
وكان يكنى بأبي ذؤافة وأبي قرة — أينجو بنو الحارث بن كعب منك وقد قتلوا

١٥

استحنه قومه على
الأخذ بنار أخيه
خالد بن
الحارث فقال شعرا
وأجابه عبد الله
ابن عبد المदान

(١) في لسان العرب والسيرة لابن هشام : «وعقبهم» بدل «وأعقبهم» . وعقاق (بالبناء على الكسر) :
العقوق . (٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يمك الرمي . (٣) في ١ ، م : «ينحدر» .
وفي سيرة ابن هشام : « فظل دمي على السربال ينحدر » . (٤) كذا في السيرة لابن هشام . وقد جاء
في لسان العرب (في مادة «غيب») : «ومن كلامهم لأضربنك غب الحمار وظاهرة الفرس ؛ فقب الحمار
أن يرعى يوما ويشرب يوما ، وظاهرة الفرس أن يشرب كل يوم نصف النهار» . وفي الأصول :
«عناو ظاهرهم» وهو تحريف . (٥) كذا في السيرة . والذفر : المتغير الراحة ؛ يقال : كتيبة
ذفراء أي لأنها سبكة من الحديد وصدنه . وفي الأصول : «زفر» بالزاي وهو تحريف .

٢٠

أحاك خالداً ! ؟ فقال لهم : إن القوم جَمْرَةٌ مَذْجٌ^(١) ، وهم أكفاءُ جُشَمَ ، ولا يَجْمَلُ بي هجاؤهم . فَأَحْفَظُوهُ بِكَثْرَةِ الْقَوْلِ وَأَغْضِبُوهُ ، فقال :

يا بني الحارثِ أتمَّ مَعَشَرٌ * زَنْدُكُمْ وَاِرٍ فِي الْحَرْبِ بِهِمْ^(٢)
ولكم خَيْلٌ عَلَيْهَا فِتْيَةٌ * كَأَسْوَدِ الْغَابِ يَحْمِيْنَ الْأَجَمَ
ليس في الْأَرْضِ قَبِيلٌ مِثْلُكُمْ * حِينَ يَرْفُضُ الْعِدَا غَيْرَ جُشَمَ
لَسْتُ لِلصَّمَّةِ إِنْ لَمْ آتِكُمْ * بِالْحَنَازِيدِ تَبَارَى فِي الْجُمُ^(٣)
فَتَقَرُّ الْعَيْنُ مِنْكُمْ مَرَّةً * بَانِبَعَاثِ الْحُرِّ نَوْحًا تَلْتَدِمُ^(٤)
وَتُرَى نَجْرَانُ مِنْكُمْ بَلْقَعًا * غَيْرَ شَمَطَاءَ وَطْفَلٍ قَدِ يَمُ^(٥)
فَأَنْظُرُوهَا كَالسَّعَالِي شُرْبًا * قَبْلَ رَأْسِ الْحَوْلِ إِنْ لَمْ أُخْتَرَمْ

قال : فَنَمِي قَوْلُهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ ، فَقَالَ يُجِيبُهُ :

نُبِّئْتُ أَنَّ دُرَيْدًا ظَلَّ مُعْتَرِضًا * يُهْدِي الْوَعِيدَ إِلَى نَجْرَانٍ مِنْ حَضْنِ^(٦)
كَالْكَلْبِ يَعْوِي إِلَى بَيْدَاءٍ مُقْفِرَةٍ * مِنْ ذَا يُوَاعِدُنَا بِالْحَرْبِ لَمْ يَحْنِ^(٧)
إِنْ تَلَقَى حَيَّ بَنِي الدِّيَّانِ تَلَقَّهِمْ * شَمُّ الْأَنْوَفِ إِلَيْهِمْ عِزَّةُ آلِيْنِ^(٨)
مَا كَانَ فِي النَّاسِ لِلدِّيَّانِ مِنْ شَبِيهِ * إِلَّا رُعِينٌ وَإِلَّا آلُ ذِي يَزَنَ

١٧
٩

- (١) يقال : بنو فلان جَمْرَةٌ ، إذا كانوا أهل منعة وشدة . والجَمْرَةُ : كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون إلى أحد ، تكون القبيلة نفسها جَمْرَةً تصبر لقراع القبائل ، كما صبرت عبس لقبائل قيس . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو نمير بن عامر ، وطفئت منهم جمرتان : طفتت ضبة لأنها حالفت الرباب ، وطفئت بنو الحارث لأنها حالفت مذحج ، وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف . (٢) بهم : جمع بهمة وهو الشجاع . (٣) الحنازيد : جياد الخيل ، واحدها خنذيد . (٤) تلتدم : تضرب صدرها في النياحة . (٥) السعالي : الفيلان ، واحدها سعلاة . والشرب : جمع شارب وهو الضامر . (٦) حضن : جبل . (٧) لم يحن : لم يهلك . (٨) في الأصول : «غرة» بالراء المهملة وهو تصحيف .

أَغْمَضُ جَفَوْنِكَ عَمَّا لَسْتَ نَائِلَهُ * نحن الذين سبَقْنَا النَّاسَ بِالْدَمَنِ
نَحْنُ الَّذِينَ تَرَكْنَا خَالِدًا عَطْبًا * وَسَطَ الْعَجَاجِ كَأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَكُنْ
إِنْ تَهْجُنَا تَهْجُ أَنْجَادًا شَرِاحِمَةً * بِيضَ الْوُجُوهِ مَرَّافِدًا عَلَى الزَّمَنِ
أَوْرَى زِيَادًا لَنَا زَنْدًا وَوَالِدُنَا * عَبْدُ الْمَدَانِ وَأَوْرَى زَنْدَهُ قَطَنٌ^(٣)

رده أسماء بن زنباع
عن ظعينة زينب
وطعته فأصاب عينه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي
قال :

أغار دريد بن الصمة في نفر من أصحابه ، فمروا بأسماء بن زنباع الحارثي ومعه
ظعينة زينب ، فأحاطوا به ليستروعها من يده ، فقاتلهم دونها فقتل منهم وجرح ،
ثم اختلف هو ودريد طعنتين : فطعنه دريد فأخطاه ، وطعنه أسماء فأصاب عينه ،
وأنهزم دريد ولحق بأصحابه ؛ فقال دريد في ذلك :

شلت يميني ولا أشرب معتقة * إذ أخطأ الموت أسماء بن زنباع

قال : وهي قصيدة .

قصته مع أنس بن
مذركة الخثعمي
وزيد بن عبد
المدان وشعره
في ذلك

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته يأثره عن محمد بن السائب
الكلبي قال :

جاور رجل من ثمالة عبد الله بن الصمة ، فهلك عبد الله وأقام الرجل
في جوار دريد . وأغار أنس بن مذركة الخثعمي على بني جشم ، فأصاب ماله
التمالي وأصاب ناسا من ثمالة كانوا جيрана لدريد ؛ فكف دريد عن طلب القوم
وشغل بحرب من يليه ، وقال بلاره ذلك : أمهلني عامي هذا . فقال التمالي : قد
أمهلتك عامين . وخرج دريد ليلة لحاجته وقد أبطأ في أمر التمالي ، فسمعه يقول :

(١) كذا في الأصول ، وهو غير واضح . (٢) الشراحة : جمع شرح وهو القوى والطويل .

(٣) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

- كسالك دُرَيْدُ الدَّهْرَ ثَوْبَ خَزَايَةٍ * وَجَدَعَكَ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ أَنَسَ
 دَبَّحَ الْخَلِيلَ وَالسُّمَرَ الطَّوَالَ خَلَّعِيمَ * فَمَا أَنْتَ وَالرُّمَحُ الطَّوِيلُ وَمَا الْفَرَسُ
 وَمَا أَنْتَ وَالْفَزْوُ الْمُتَابِعَ لِلْعِدَا * وَهَمَّكَ سَوَى الْعَوْدِ وَالْدَّلْوِ وَالْمَرْسِ^(١)
 فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَيًّا لَرَدَّهَا * وَمَا أَصْبَحْتُ لِمَلِي بِبَجْرَانَ مُتَحَبِّسَ
 وَلَا أَصْبَحْتُ صِرَيسِي بِأَشَقَى مَعِيشَةٍ * وَشَيْخٌ كَبِيرٌ مِنْ ثُمَالَةٍ فِي تَعَسَ
 يُرَاعِي نَجْوَى اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ هَجْمَةٍ * إِلَى الصَّبْحِ مَحْزُونًا يُطَاوِلُهُ النَّقَسُ
 وَكُنْتُ وَعَبْدُ اللَّهِ حَيًّا وَمَا أَرَى * أَبَالِي مِنَ الْأَعْدَاءِ مَنْ قَامَ أَوْ جَلَسَ
 فَأَصْبَحْتُ مَهْضُومًا حَزِينًا لِفَقْدِهِ * وَهَلْ مِنْ نَكِيرٍ بَعْدَ حَوْلَيْنِ تَلْتَمِسُ

- قال : فضاق دُرَيْدٌ ذَرْعًا بِقَوْلِهِ ، وشاور أُولَى الرَّأْيِ مِنْ قَوْمِهِ ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَرْحَلْ
 إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ ؛ فَإِنَّ أَنَسًا قَدْ خَلَّفَ الْمَالَ وَالْعِيَالَ بِبَجْرَانَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
 بَيْنَ خَتَمٍ ، وَإِنْ يَزِيدٌ يَرُدُّهَا عَلَيْكَ . فَقَالَ دُرَيْدٌ : بَلْ أَقْدَمَ إِلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِدْحَةً ثُمَّ
 أَنْظَرَ مَا تَوَقَّعِي مِنَ الرَّجْلِ ، فَقَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى يَزِيدَ :

- بَنِي الدِّيَّانِ رُدُّوا مَالَ جَارِي * وَأَسْرَى فِي كُبُورِهِمُ الثَّقَالِ^(٢)
 وَرُدُّوا السَّبْيَ إِنْ شَتَمَ بَنِي * وَإِنْ شَتَمَ مُقَادَاةً بِمَالِ
 فَاتَمَّ أَهْلُ عَائِدَةٍ وَفَضِيلِ * وَأَيَّدَ فِي مَوَاهِبِكُمْ طَوَالَ
 مَتَى مَا تَمْنَعُوا شَيْئًا فَلَيْسَتْ * حِبَائِلُ أَخْذِهِ غَيْرَ السُّؤَالِ
 وَحَرْبُكُمْ بَنِي الدِّيَّانِ حَرْبٌ * يَغْصُ الْمَرْءُ مِنْهَا بِالزُّلَالِ
 وَجَارَتْكُمْ بَنِي الدِّيَّانِ بَسْلٌ^(٣) * وَجَارَكُمْ يُعَدُّ مَعَ الْعِيَالِ
 حَدًّا عَبْدُ الْمَدَّانِ لَكُمْ حِذَاءً * مُخَصَّصَةَ الصَّدُورِ عَلَى مِثَالِ

- ٢٠ (١) العود : المسن من الابل . والمرس : الحبل ، والمراد هنا حبل الاستقاء .
 (٢) في ١ ، ٣ ، ٤ ، ح : « فِي كُبُورِكُمْ » . (٣) البسل : الحرام .

بَنِي الدِّيَّانِ ابْنُ بَنِي زِيَادٍ * هُمْ أَهْلُ التَّكْرُمِ وَالْقَعَالِ
فَأَوْلُونِي بَنِي الدِّيَّانِ خَيْرًا * أَقْرِ لَكُمْ بِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي

قال : فلما بلغ يزيد شعره قال : وجب حق الرجل ! فبعث اليه أن يقدم علينا .
فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه . فقال له دريد يوماً : يا أبا النضر ، إني رأيت
منكم خصلاً لم أرها من أحد من قومكم : إني رأيت أبنيتكم متفرقة ، ونتاج خيلكم
قليلًا ، وسرحكم يحمى معتمًا ، وصبيانكم يتضاغون من غير جوع . قال : أجل ! أما
قلة نتاجنا فيتاج هوازن يكفيننا . وأما تفرق أبنيتنا فللغيرة على النساء . وأما بكاء
صبياننا فإننا نبدأ بالخليل قبل العيال . وأما تمسينا بالنعم فكأن فينا الغرائب والأرامل ،
تخرج المرأة إلى ما لها حيث لا يراها أحد . قال : وأقبلت طلائعهم على يزيد ، فقال
شيخ منهم :

أَنْتَكَ السَّلَامَةُ فَارْعَ النَّعْمَ * وَلَا تَقْلِلِ الدَّهْرَ إِلَّا نَعْمَ
وَسَرِّحْ دُرَيْدًا بُنْعَمَى جُشْمَ * وَإِنْ سَأَلَكَ الْمَرْءُ أَحَدَى الْقُحْمِ^(٢)

فقال له دريد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعنا لا تسرح ولا نصطح حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظلمكم من جعلكم جمرة مدحج . وردّ يزيد عليه الأسارى
من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سلني ما شئت ، فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . فقال
دريد في ذلك :

مَدَحْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَّانِ * فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ قَتَى مُمْتَدَحٍ
إِذَا الْمَدْحُ زَانَ قَتَى مَعْشِيرٍ * فَإِنَّ يَزِيدَ يَزِينُ الْمَدْحَ
حَلَلْتُ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ * فَأَوْرَى زَنَادَى لَمَّا قَدَحَ

٢٠ (١) تضاعى من الطوى : تضوّد من الجوع وصاح . (٢) القنم : جمع قنمة وهي الأمر
التي لا يكاد يركبها أحد .

وردّ النساءَ بأطهارها * ولو كان غيرُ يزيدٍ فضّح
 وفكّ الرجالَ وكلُّ امرئٍ * إذا أصلح الله يوماً صلح
 وقلتُ له بعد عتق النساءِ * وفكّ الرجالَ وردّ اللّقح^(١)
 أحرّلى فوارس من عامرٍ * فأكرم بنفحته إذ نفّح
 وما زلتُ أعرف في وجهه * بكرى السؤالَ ظهورَ الفرح
 رايتُ أبا النضر في مذجٍ * بمنزلة الفجر حين اتّضح
 إذا قارعوا عنه لم يُقرّعوا * وإن قدّموه لكيشٍ نطّح
 وإن حضّر الناس لم يُخزهم * وإن وآزنوه بقرين ربح
 فذاك فتاها وذو فضلها * وإن نأج بفخار نبّح

١٩
٩

- ١٠ قال وقال ابن الكلبي : خرج دريد بن الصّمة في فوارس من قومه في غزاة له ، فلقّيه مُسهر بن يزيد الحارثي ، الذي فقأ عين عامر بن الطفيل ، يقود بأمراته أسماء بنت حزن الحارثية . فلما رآه القوم قالوا : الغنيمة ، هذا فارسٌ واحد يقود طعينةً ، وخليقٌ أن يكون الرجل قرشياً . فقال دريد : هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به بالطعينة ؟ فانتدب إليه رجلٌ من القوم فحمل عليه ، فلقّيه مُسهر فأختلفا طعنتين بينهما ، فقتله مُسهر بن الحارث . ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيل صاحبه ؛ حتى قتل منهم أربعة نفر . وبقي دريد وحده فأقبل إليه ؛ فلما رآه ألقى الخطام من يده إلى المرأة وقال : خذِي خطامك ؛ فقد أقبل إلى فارس ليس كالفرسان الذين تقدّموه ؛ ثم قصد إليه وهو يقول :

قصته مع مسهر
ابن يزيد الحارثي
وشعره

١٥ : أما ترى الفارس بعد الفارس * أردهم عاملٌ رح يابس

(١) اللّقح : جمع لقحة وهي الناقة الحلوب .

فقال له دُرَيْد : من أنتَ لله أبوك؟ قال : رجلٌ من بني الحارث بن كعب . قال : أنتَ الحَصِينُ؟ قال لا . قال : فالمُحَجَّلُ هَوْدَةَ؟ قال لا . قال : فمن أنتَ؟ قال : أنا مُسَهْرُ بْنُ يَزِيد . قال : فانصرف دُرَيْد وهو يقول :

أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى مَاءُ عَيْنِكَ يَهْمِلُ * كَمَا أَنَّهُلَ نَحْرُزُ مِنْ شُعَيْبٍ مُشْشَلٍ^(١)
وماذا تُرَجِّي بالسَّلامَةِ بعد ما * نَأَتْ حَقَبٌ وَأَبْيَضَ مِنْكَ الْمَرْجَلُ^(٢)
وحالت عَوَادِي الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * وَحَرْبٌ تَعْلَلُ الْمَوْتَ صِرْفًا وَتُهْمِلُ
قِرَاهَا إِذَا بَاتَ لَدَى مُقَاضَةٍ * وَذُو خَصَلٍ نَهْدُ الْمَرَائِلِ هَيْكَلُ^(٣)
كَيْشِ كَتَيْسِ الرَّمْلِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ * ضَرِيبُ الْخَلَايَا وَالنَّقِيعُ الْمَعْجَلُ^(٤)
عَتِيدٌ لِأَيَّامِ الْحُرُوبِ كَأَنَّهُ * إِذَا أَنْجَابَ رَيْعَانُ الْعَبَاجَةِ أَجْدَلُ^(٥)
يُجَابِوْنَ بِحُرْدَا كَالسَّرَاحِينِ صُمْرًا^(٦) * تُرُودُ بِأَبْوَابِ الْبُيُوتِ وَتَصْهَلُ
عَلَى كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَطْلَتْ بِفَارَةٍ * وَلَا مِثْلَ مَا لَاقَى الْحِمَاسُ وَزَعْبَلُ^(٧)

— الْحِمَاسُ وَزَعْبَلُ : قَبِيلَتَانِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ —

غَدَاةَ رَأُونَا بِالْغَبْرِيفِ كَأَنَّنَا * حَيٍّ أَدْرَقَتْهُ الصَّهْبَا مَتَهَلَّلُ^(٨)
بِمُشْعَلَةٍ تَدْعُو هَوَازِنَ ، فَوْقَهَا * نَسِيحٌ مِنَ الْمَاضِي لَامٌ مَرْفَلُ^(٩)

- ١٥ (١) شلشل الماء : قطار . (٢) المِرجَل : الشعر؛ يقال : رجل الشعر إذا مرهه .
(٣) المُقَاضَةُ هنا : الدرع . وذو خصل : يريد فرسا . والمراكل : جمع مركل وهو حيث تصير رجلك من الدابة؛ يقال فرس نهْد المراكل أى واسع الجوف . والهيكَل : الضخم . (٤) الكَيْش : السريع .
(٥) الضريب : اللين . والخلايا : جمع خلية وهي الناقة المخلاة للجب . يريد أن هذا الفرس معتنى به .
(٦) الأجدل : الصقر . (٧) كذا في ح . وفي سائر الأصول «بحارب» وهو بحريف .
٢٠ (٨) السراحين : الذئاب واحدها سرحان . (٩) كذا في الأصول . ولعلها المزيف أو نحو ذلك .
(١٠) الحبي : السحاب المتراكم . وفي الأصول : «حي» بياض . (١١) الماضى :
الدروع اللينة السهلة . واللاثم : الدروع ، واحدها لامة . والمرفل : المسنن .

لدى مَعْرِكَةٍ فيها تركنا سَرَاتِهِمْ * يُنَادُونَ، منهم مُوثِقٌ وَمَجْدَلٌ
نَجْدٌ جِهَارًا بالسيفِ رَعْسَهُمْ * وَأَرْمَا حُنَا مِنْهُمْ تَعْلٌ وَتَهْلٌ
تَرَى كُلَّ مَسُودِّ الْعِذَارَيْنِ فَارِسٍ * يُطِيفُ بِهِ نَسْرٌ وَعَرَفَاءُ جِيَالٌ

- قال مؤلف هذا الكتاب : هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة
كلُّها، والتوليد بين فيها وفي أشعارها، وما رأيت شيئاً منها في ديوان دريد بن الصِّمَّة
على سائر الروايات. وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير؛ فإنه ذكر فيه ما لحق دريداً
من الهُجْنَةِ والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتِلَ معه وأنصرافه منفرداً، وشعر دريد
هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببنى الحارث وقتل أمثالهم؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبي.
وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه.

٢٠
٩

- ١٠ (١) كذا في ج. والعرفاء : الضيع؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبتهما. وجيال : من أسماء الضيع أيضاً،
معركة بنير ألف ولام. وقال كراع : الجيال، فأدخل عليها الألف واللام، وشاهده قول العجاج :
يدعن ذا الثروة كالمجبل * وصاحب الإقتار لحم الجبال
وفي سائر الأصول : «وغربان جبال» وهو محريف.

أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني

— دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب —

وشئ من أخباره مع المغنين وغيرهم يصلح لما هاهنا

راسل عبيد الله
ابن عبد الله بن
طاهر في أمر النغم
العشر حتى فهمها
وجمعها في صوت

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
أن المعتضد بعث إليه — لما صنعت جاريته شاحي اللحن الذي يجمع النغم العشر —
بظبي وحبيب جاريتي أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذتا اللحن عنه ونقلناه
إليه وألقناه على جواريه . قال : ولم يزل يرأسني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر
النغم العشر ويسألني عنها وأشرحها له ، حتى فهمها جيّدا وجمعها في صوت صنعه
في شعر دريد بن الصمة :

يا ليتني فيها جدع * أخبّ فيها وأضع

وألقاه عليهما حتى أدّاه إلى مستعلماً بذلك هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا ،
فعرّفته صحته ودلّته على ذلك حتى تيقّنه فسرّ بذلك ؛ وهو لعمري من جيّد الصنعة
ونادرها . وقد صنع المعتضد ألحانا في عدّة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء
والمحدثين وعارضهم بصنعتهم فأحسن وشاكل وضاهى ، فلم يعجز ولا قصر ولا آتى
بشيء يُعتذر منه . فمن ذلك أنه صنع في :

أما القطاة فإني سوف أنعتها * نعتا يوافق نعتي بعض ما فيها

لحنا من الثقيل الأول بالبصر في نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرّور
يغنيّه ، فكان من أحسن ما صنّع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك

القدماء والمُحدثين في صنعتهم مثل مَعْبَدٍ ونَشِيطٍ ومالك وابن مُحَرِّزٍ وسِنَانٍ وعُمَرُ الوادِى
وأَبْنِ جَامِعٍ وإِبْرَاهِيمَ وابْنَهُ إِسْحَاقَ وَعَلَوِيَّهٖ . وَأَظْرَفُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَعَ فِي :
تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَحْرَى لَمَّا جَهَدَتْهُ * وَبَيَّنَّ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

- لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى^(١)، وَقَدْ صَنَعَ قَبْلَهُ أَبْنُ سُرَيْجٍ لَحْنًا هُوَ مِنَ الْأَلْحَانِ الثَّلَاثَةِ
الْمُخْتَارَةِ مِنَ الْغِنَاءِ كُلِّهِ، فَمَا قَصَّرَ فِي صِنْعَتِهِ وَلَا تَجَزَّزَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ فِيهَا؛ هَذَا بَعْدَ أَنْ
صَنَعَ إِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي عَارِضَ أَبْنِ سُرَيْجٍ بِهِ فِي لَحْنِهِ، فَمَا أَمْتَنَعَ مِنْ
أَنْ يَتَلَوَّ مِثْلَ هَذَيْنِ وَلَا نَظِيرَ لِهَآ فِي الْقَدَمَاءِ وَالْمُحْدَثِينَ، ثُمَّ جَوَّدَ غَايَةَ التَّجْوِيدِ فِيهَا
أَتَّبَعَهُمَا بِهِ وَعَارِضَهُمَا فِيهِ . هَذَا مَعَ أَصْوَاتٍ لَهُ صَنَعَهَا تُزَاهِي الْمَائِةَ صَوْتًا، مَا فِيهَا^(٢)
سَاقِطٌ وَلَا مَرْدُودٌ، وَسَآذُكَرٌ مِنْهَا مَا يَصْلُحُ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
وَمِنْ نَادِرِ صِنْعَةِ الْمُعْتَضِدِ :

١٠

صوت

- أَنَّاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقْبَ بَعْدَهَا * وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عِزَامُهُ
الشَّعْرَ لإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَالْغِنَاءُ لِلْمُعْتَضِدِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ . هَذَا بَيْتٌ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ شَعْرٌ، وَإِنَّمَا كَتَبَ بِهِ فِي رِسَالَةٍ عَنِ الْمُعْتَصِمِ^(٣) إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ
فَقَالَ فِي فَصْلِ مِنْهُ : « وَإِنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِكَ أَنَّاةٌ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقْبَ
بَعْدَهَا وَعِيدًا، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عِزَامُهُ » . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ رَأَى أَنَّهُ شَعْرٌ وَأَنَّهُ بَيْتٌ نَادِرٌ
فَأَخْرَجَهُ فِي شَعْرِهِ .

$$\frac{٢١}{٩}$$

(١) فِي ١، م : « الثَّانِي » . (٢) تُزَاهِي : تَضَاهَى . وَزَهَاءُ الشَّيْءِ : قَدْرُهُ .

(٣) فِي ج : « عَنِ الْمُعْتَضِدِ » .

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

- ٥ إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، وكان صول رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد
ابن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به
صول لينصره فصادفه قد قُتل. وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية
ويكتب على سهامه: صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن
عبد الملك، فأغتاظ وجعل يقول: وَيْلِي عَلَى ابْنِ الْغَلَاءِ! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة
نبيه! ولعله لا يَفْقَهُ صَلَاتَهُ! وكان ابنه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية
ودُعِيتا. وقد كان بعض أهلهم آذعوا أنهم عرب وأن العباس بن الأحنف خالهم.
وأما صول فإن خالد بن خدّاش ذكر عن أهله قالوا: كان صول وفير ورؤ أخوين
١٠ مَلَكًا على جُرجان، وكانا تركيَّين تمجّسا وتشبّها بالفرس. فلما حضر يزيد بن المهلب
جُرجان أمتنهما، فأسلم صول على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم العَقْرِ. وكان محمد
ابن صول يُكنى أبا عمارة، أحد الدعاة، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مقاتل
ابن حَكِيم الْعَتَكِيِّ وعِدَّة آخَرِينَ. وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا
من وجوه الكُتّاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدّهما تقدّمًا، وكان إبراهيم آدبهما
١٥ وأحسنهما شعرا، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسقط رذله، ثم يُسقط الوسط،
ثم يسقط ما يُسبِقُ إليه، فلا يدعُ من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يدعُ منها إلا بيتًا
أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

كان يقول الشعر
ثم يختاره

(١) في الأصول «خراش» بالراء. وقد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.
(٢) هو عقربا بل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب (أنظر الحاشية رقم ١ ص ٢٢ ج ٩
من الأغاني طبع دار الكتب المصرية). (٣) كذا في الأصول. ولعله: «ويكنى أبا عمارة الخ».
(٤) هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (أنظر الكلام عليه في تاريخ الطبري
ق ٢ ص ٢٠٠١ — ٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠١٦ طبعة أودبا).

ولكنَّ الجوادَ ابا هشام * وفى العهدِ مأمونُ المغيَّب
وهذا ابتداء يدلُّ على أن قبله غيره؛ وقوله فى أخيه :

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى * وصار له من بين إخوته مالٌ

وهذا أيضا ابتداء يدلُّ على أنَّ قبله غيره . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع
ذى الرِّاستين، اتَّصلا به فرفع منهما . وتنقل إبراهيمُ فى الأعمال الجليلة والدواوين إلى
أن مات وهو يتقلد ديوان الضياع والنققات بسرَّ من رأى فى سنة ثلاث وأربعين
ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم^(١)
قال سمعت دُعِيلاً يقول :

لو تكسَّب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا فى غير شيء . قال : ثم أنشدنا له ،
وكان يستحسن ذلك من قوله :

إِنَّ امرأَ ضَنٍّْ بمعروفه * عَنى لمبذولٌ له عذرى

ما أنا بالراغب فى عُرفه * إن كان لا يرغب فى شكرى

وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده
وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يهجوهُ ؛ فمن قوله فيه :
١٥

أبا جعفرٍ خَفَّ خَفْضَةً بعد رُفْعَةٍ * وقصَّرَ قليلاً عن مَدَى غُلَوائِكا

لئن كان هذا اليومُ يوماً حَوَيْتَهُ * فإنَّ رجائى فى غِدِّ كرجائِكا

وله فيه أيضا :

دَعوتُكَ فى بَلَوَى المِتِّ صرُوفُها * فأوقدت من ضِغْنٍ على سَعيرِها

فإِنِّى إذا أدعوك عند مُلِمَّةٍ * كداعيةٍ عند القبورِ نَصيرِها
٢٠

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أحمد بن داود » .

هجاؤه محمد بن
عبد الملك الزيات
وتشفية بموته

وقال فيه لما مات :

لما أتاني خبر الزيات * وأنه قد صار في الأموات

* أيقنتُ أن موته حياقي *

أخبرني بحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما أنحرف محمد بن عبد الملك
الزيات عن إبراهيم تمامه الناس أن يلقوه ، وكان الحارث بن بسخر صديقا له
مصافيا ، فهجره فيمن هجره من إخوانه ؛ فكتب إليه :

تغير لي فيمن تغير حارث * وكم من أخ قد غيرته الحوادث

أحارث إن شورك فيك فطالما * غنينا وما بيني وبينك ثالث

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي .

ومن جيد قول إبراهيم بن العباس وفيه غناء :

صوت

خلّ النفاق لأهله * وعليك فالتمس الطرية

وأذهب بنفسك أن ترى * إلّا عدوا أو صديقا

الغناء لأبي العيث بن حدون ، ثقيل أول .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : كان إبراهيم
ابن العباس يهوى قينة بسر من رأى ، فكان لا يكاد يفارقها . بفلس يوما للشرب
ومعه إخوان له ، ودعا جماعة من جواري القيان ، ودعاها فأبطأت ، فتتخص عليهم
يومهم لما رأوا من شغل قلبه بتأخرها ، ثم وافت فسرّى عنه وطابت نفسه وشرب
وطرب ، ثم دعا بدواة فكتب :

ألم ترنا يوما إذ نأت * فلم تأت من بين أترابها

وقد غمرتنا دواعي السرور * بإشغالها وبإلهابها

قصة عشقه
لقينة وانكاشه
لتأخرها وشعره فيها

١٥

٢٠

وَمَدَّتْ عَلَيْنَا سَمَاءَ النِّعَمِ * وَكُلُّ الْمُنَى تَحْتَ أَطْنَابِهَا^(١)
وَنَحْنُ قُتُورٌ إِلَى أَنْ بَدَتْ * وَبَدْرُ الدُّجَى بَيْنَ أَثْوَابِهَا
فَلَمَّا نَأَتْ كَيْفَ نُكَّا لَهَا * وَلَمَّا دَنَتْ كَيْفَ صِرْنَا بِهَا
وَأَمْرٌ مِنْ حَضَرَ فَقَرَأَ عَلَيْهَا الْآيَاتِ؛ فَتَجَنَّتْ وَقَالَتْ: مَا الْقِصَّةُ كَمَا وَصَفْتَ،
وَقَدْ كُنْتُمْ فِي قَصْفِكُمْ مَعَ مَنْ حَضَرَ، وَإِنَّمَا تَجَلَّمْتُ لِي لَمَّا حَضَرْتُ. فَانْشَأَ يَقُولُ:

يَا مَنْ حَنِينِي إِلَيْهِ * وَمَنْ فَرَّادِي لَدَيْهِ
وَمَنْ إِذَا غَابَ مِنْ يَدِهِ * نَهْمٌ أَسْفَتْ عَلَيْهِ
إِذَا حَضَرْتُ فَمَا مِنْهُ^(١) * نَهْمٌ مَنْ أَصْبُو إِلَيْهِ
مَنْ غَابَ غَيْرُكَ مِنْهُمْ * فَأَمْرُهُ فِي يَدَيْهِ

٢٣
٩

١٠ قال: فرضيتُ عنه، وأتممتنا يومنا على أحسن حال.

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
حدثني إبراهيم بن العباس - قال حدثني به دُعَيْلٌ أيضًا فكانا متفقين في الرواية - قال:
كُنَّا نَطْلُبُ جَمِيعًا بِالشَّعْرِ، فَخَرَجْنَا وَكُنَّا فِي تَحْجِيلٍ، فَابْتَدَأْتُ أَقُولُ فِي الْمَطْلَبِ
ابن عبد الله بن مالك:

أجازه دُعَيْلٌ
في شمر

١٥ * أَمَطَّلِبُ أَنْتَ مُسْتَعْدِبٌ *

فقال دُعَيْلٌ:

* لَسَمَّ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتِلُ *

فقلت:

* فَإِنْ أَشْفِ مِنْكَ تَكُنْ سَبَّةً *

فقال دُعَيْلٌ:

٢٠

* وَإِنْ أَعْفُ عَنْكَ فَمَا تَفْعَلُ *

(١) الأطناب: جمع طناب: وهو حبل طويل يشد به مرادق البيت.

روى له الأخفش
أبياتا كان يفضلها
ويستجدها

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يفضلها ويستجدها :
أميل مع الذمام على ابن أمي * وأخذ للصدّيق من الشقيق
وإن ألفيتني حُرًّا مُطاعا * فإنك واجدي عبدَ الصديق
أُفرِّق بين معروفٍ ومَنّى * وأجمع بين مالى والحقوق

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البَغل قال حدثني عمي قال :

(١)
اجتاز محمد بن عليّ برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّي ديار
مُضر فلم يتلقّه ، ونزل الرِّقّة فلم يصل إليه ولم يبرّه ، وخرج عنها فلم يُشيعه . فلامه إخوانه
وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلمه .
فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه :

أبداً مُعتَذِرٌ لا يُعذّر * ورَكُوبٌ للتي لا تُغفّر
ومُلَقٌّ بمساوٍ كُلِّها * منه تبدو وإليه تصدّر
هي من كل الورى مُنكَرٌ * وهي منه وحده لا تُنكر

كان يهوى جارية
اسمها « سامر »
أهدت له جاريّتين

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال :

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنّين بسُرّ من رأى يقال لها
سامر ، وشهر بها ، فكان منزله لا يخلو منها . ثم دُعيت في وليمة لبعض أهلها فعابت عنه
أياماً ثم جاءت ومعهما جاريّتان لمولاتها ، وقالت له : قد أهديتُ صاحبتيّ إليك عَوْضاً من
مَغْيبي عنك ؛ فأنشأ يقول :

(١) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ق ٣ ص ١٤٩٩) . وفي معجم الادباء لياقوت في الكلام على

إبراهيم بن العباس : « محمد بن علي بن برد الخيار » بالزاي .

صوت

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة * قد حسن الله أولاهن وأخراها
ما كنت فيمن إلا كنت واسطة * وكن دونك يمنها ويُسراها

الغناء لسلسل مولى بنى هاشم ، ثانی ثقيل بالوسطى مطلق . وليس لسلسل خبر يدون
ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دُون له حديث . وذكر حبش أنه
لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالي . وسلسل هذه كانت من أحسن الناس وجهها
وغنائها ، وكانت لبعض المغنين بالبصرة ، وكان محمد بن حرب هذا يتعشقها ولم تكن
مولاته . فأخبرني الحرابي بن أبي العلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال
حدثني حماد بن إسحاق قال : أتى أبان بن عبد الحميد الشاعر رجلا بالبصرة وله
قينة يقال لها سلسل ، فصادف عندها محمد بن قطن الهلالي وعثمان بن الحكم بن صخر
الثقفى فقال :

فنت سلسل قلب ابن قطن * ثم ننت با بن صخر فافتن
فاتيت اليوم كي أنقذهم * فإذا نحن جميعا في قرن

فاظن الغلط وقع على حبش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهم أنها مولاة محمد
ابن حرب .

أخبرني عمي ووكيع قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عيسى
ابن عبد الرحمن قال :

خرج إبراهيم بن العباس ودعبل بن علي وأخوه رزين في نظرائهم من أهل
الأدب رجالة إلى بعض البساتين في خلافة المأمون ، فلقبهم قوم من أهل السواد من
أصحاب الشوك ، فاعطوهم شيئا وركبوا تلك الحمير ، فأنشأ إبراهيم يقول :

ذهابه مع دعبل
ورزين ودكهم
حمير أهل الشوك
وشعرهم في ذلك

أَعِضَتْ بِعَدَحَلِ الشَّوْ * كِ أَحْمَالًا مِنْ الْحَرْفِ^(١)
نَسَاوَى لَا مِنْ الصَّنْبَا * ءِ بِلْ مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ

فَقَالَ رَزِينُ :

فَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى ذَاكَ * تَوَوَّلُونَ إِلَى قَصِيفِ
تَسَاوَتْ حَالُكُمْ فِيهِ * وَلَمْ تَبْقُوا عَلَى خُسْفِ

فَقَالَ دِغِيلُ :

وَإِذَا فَاتَ الَّذِي فَاتَ * فَكُونُوا مِنْ بَنِي الظَّرْفِ
وَمُرُوا تَقْصِفِ الْيَوْمَ * فَإِنِّي بَائِعُ خُنِّي

فَانْصَرَفُوا مَعَهُ فَبَاعَ خُفَّهُ وَأَنْفَقَهُ عَلَيْهِمْ .

١٠ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْإِسْكَافِيُّ :

كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنٌ قَدْ يَفَعُ وَتَرَعَرَعَ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِهِ فَأَعْتَلَّ عِلَّةً لَمْ تَطُلْ وَمَاتَ؛
فَرَنَاهُ بِمَرَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَجَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا. فَمَا رَنَاهُ بِهِ قَوْلُهُ :

كَنْتُ السَّوَادَ لَمُفْلَتِي * فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمْتُ * فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

فِيهِ رَمْلٌ لِابْنِ الْقَصَّارِ . وَمِنْ مَرَاتِهِ لِيَاهُ قَوْلُهُ :

وَمَا زِلْتُ مُدْ لَدُّ أُعْطِيْتُهُ * أَدَانَعُ عَنْهُ حِمَامَ الْأَجَلِ
أَعُوذُهُ دَائِبًا بِالْقُرَانِ * وَأَرْمِي بِطَرْفِي إِلَى حَيْثُ حَلَّ
فَأَصْحَتْ يَدِي قَصْدُهَا وَاحِدٌ * إِلَى حَيْثُ حَلَّ فَلَمْ يَرْتَحِلْ

٢٠ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلَةَ قَالَ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ : قَدْ أَنْحَلْتَ
نَفْسَكَ وَرَضِيتَ أَنْ تَكُونَ تَابِعًا أَبَدًا لِاِقْتِصَارِكَ عَلَى الْقَصْفِ وَاللَّعْبِ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

(١) كَذَا فِي الْأُمُولِ .

إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ * حَيْثُ حَلَّتْ تَنَاهَتْ
أَنَا مَذْكُوتٌ فِي التَّصَرُّفِ لِي حَالٌ سَاعَتِي

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني ابن السَّيِّحِي قال :
وَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ لِأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ ثُلُثَ مَالِهِ ، وَوَهَبَ لِأَخْتِهِ الثَّلَاثَ
الْآخِرَ ، فَسَارَ مَسَاوِيًّا لَهَا فِي الْحَالِ ؛ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

وهبه أخوه عبد الله
ثلث ماله وأخته
الثلاث الآخر وشعره
في ذلك

وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ لَمَّا حَوَى الْغَنَى * وَصَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ مَالٌ
رَأَى خَلَّةً مِنْهُمْ تُسَدُّ بِمَالِهِ * فَسَاهَمَهُمْ حَتَّى آسَوَتْ بِهِمُ الْحَالُ
وَهَذَا مِمَّا عَيَّبَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَوْلُهُ أَبْتَدَاءَ "وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ" . وَقَدْ كَرَّرَهُ فِي شِعْرِهِ فَقَالَ :

وَلَكِنْ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ * وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
يَطِيءُ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ * وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخَطُوبِ
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ اخْتِيَارُهُ شِعْرَهُ وَإِسْقَاطُهُ مَا لَمْ يَرْضَهُ مِنْهُ .

٢٥
٩

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : لَمَّا غَزَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَنِ الْأَهْوَازِ فِي أَيَّامِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَايَ أَعْتَقَلَ بِهَا وَأَوْذَى ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ الْوِزَارَةِ صَدِيقَهُ ،
وَكَانَ يُؤْمَلُ مِنْهُ أَنْ يُسَاحِمَهُ وَيُطْلِقَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

عزله عن الأهواز

فَلَوْ إِذْ تَبَا دَهْرٌ وَأَنْكَرَ صَاحِبٌ * وَسُلْطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرُ
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بَنَجْوَةٍ * وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ
وَلَمَّا لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مَجْدًا * لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخُوزِيرُ

فَأَقَامَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَصِيدِهِ وَتَكْشِيفِهِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ كُلَّ مَكْرُوهٍ ، وَأَنْفَرَجَتْ الْحَالُ
بَيْنَهُمَا عَلَى ذَلِكَ ، وَهَجَاهُ إِبْرَاهِيمَ هَجَاءً كَثِيرًا .

أرسل ابن الزيات
أبا الجهم للنكاية به

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الباقي أو الطالقاني قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال :

وجه محمد بن عبد الملك بأبي الجهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشف إبراهيم ابن العباس ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يعرفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافر لا يُبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

وأقبلت تسعى إلى واحد * ضاراً كأنني قتل الرسولا
تركت عبيد بن طاهر * وقد ملئوا الأرض عرضاً وطولا
فسوف أدين بترك الصلاة * وأصطيح الخمر صرفاً شمولاً
فكان محمد لعصيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم ، إنما إبراهيم قار ، ونسبه إليه .

مدح المتوكل بيتين
وغنى بهما جعفر
ابن رفة

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال : قد مدحت أمير المؤمنين المتوكل بيتين ، فغنّ فيهما وأشعهما ، ودعاني بطيب كثير فأعطانيه ، وخلع عليّ خلعة سريّة ، فغنّيت فيهما . والبيتان :

صوت

١٥

ما واحد من واحد * أولى بفضل أو مروءة
من أبوة وجده * بين الخلافة والنبوة
وأشعتهما وغنى فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صلة سنية .
لحن جعفر بن رفة في هذين البيتين رمل بالنص

مدح الرضا لما
عقدت ولاية العهد
فأجازه

أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي :
أن إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا لما عقد له المأمونية وولاه
العهد، فأنشده قوله :

أزالت عزاء القلب بعد التجليد * مصارع أولاد النبي محمد

— صلى الله عليه وسلم — فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه . فلم
تزل عند إبراهيم ، وجعل منها مهوور نسائه ، وخلف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره .

٢٦
٩

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العباس بن القرات والباقراني قال :
كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقا لإبراهيم بن العباس ، فأنسخه
شعره في مدح الرضا ، ثم ولي إبراهيم بن العباس في أيام المتوكل ديوان الضياع ، فعزله
عن ضياع كانت بيده بخلوان ، وطالبه بمال وجب عليه ، وتباعد بينهما . فقال إسحاق
لبعض من يثق به : قل لإبراهيم بن العباس : والله لئن لم يكف عما يفعله في لأخرجن
قصيدته في الرضا بنحطه إلى المتوكل . فاحجم عنه إبراهيم وتلافاه ، ووجه من أرتبع القصيدة
منه وجعله على ثقة من أنه لا يظورها ، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به .

أذى إسحاق ابن
أخي زيدان فهذه
فكف عنه

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال :

نادرته في ثقيل

١٥ رآكبت إبراهيم بن العباس ، فلقينا رجلا كان إبراهيم يستثقله ، فسلم عليه . فلما
مضى قال : يا أبا إسحاق إنه جرئ . فقلت : ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد .
فضحك وقال : إنما أردت قول الشاعر :

تسائل عن أخي جرم * ثقیل والذى خلقه

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن السخي قال حدثني الحسن بن عبد الله
الصولي قال :

كتابه في شفاقة
لرجل الى بعض
إخوانه

٢٠

(١) كذا في جميع الأصول هنا . وقد جاء في صفحة هـ في جميع الأصول أيضا : « أحمد بن السخي » .
وليس لدينا ما يرجح لأحدى الروايتين .

كتب عمي إبراهيم بن العباس شفاعاً لرجل إلى بعض إخوانه : فلان ممن يزكو شكره ، ويحسن ذكره ، ويعني أمره ، والصنيعه عنده واقعة موقعها ، وسالكة طريقها .

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحق * إصابة شكر لم يضع معه أجر

أخبرني عمي عن أبي العيناء قال :

مدحه عبيد الله
ابن يحيى عند
المتوكل

كان عبيد الله بن يحيى يقول للمتوكل : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم بن العباس فضيلة خباها الله لك ، وذخيرة دخرها لدولتك .

وذكر عن علي بن يحيى :

طلب اليه المتوكل
وصف القدر
الابراهيمية
ومجونهما في ذلك

أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القدر الإبراهيمية ، وكان ابتدئها فكتب له صفتها ، وكتب في آخرها في ذكر الأباير :

”ووزن داني“ ونسي أن يكتب من أي شيء . فلما وصلت إليه الصفة اغتاظ ثم قال لعلي بن يحيى : احلف بحياقي أن تقول له ما أمرك به ، ففعل . فقال له : قل وزن داني من أي شيء ؟ أمن بظرك أمك ! قال علي بن يحيى : فدخلت إليه فقلت : إني جئتكم في رسالة عزير علي أن أؤدبها ، فقال : هاتها ، فأدبها . قال : فأرجع إليه وقل له عني : ياسيدي ، إن علي بن يحيى أخى وصديق وقد أدب الرسالة ، فإن رأيت أن تجعل وزن الداني من بظرك أمي وبظرك أمي جميعاً تفضلت بذلك . فقلت : قبلك الله ! وأنا أئش ذنبي ! قال : قد أدبت الرسالة وهذا جوابها . فدخلت إلى المتوكل فقال : إيه ما قال لك ؟ فقلت : قبلك الله ما جئتكم به ! وأخبرته بالجواب ، فضحك حتى خفص برجله وجعل يشرب عليه بقية يومه . وإذا لقيته قال لي : يا علي ، وزن داني أئش !

فأقول : لعنة الله على إبراهيم .

داعب الحسن بن
وهب وشعره
في ذلك

٢٧
٩

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال :
« دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس ؛ فقال له : أركب وأجيثك عشيًا
فلا تنتظرنى بالغداة ، فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن في شربه فسكر ونام ، وجاء إبراهيم
فراه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

رُحْنَا إِلَيْكَ وَقَدْ رَاحَتْ بِكَ الرِّاحُ * وَأَسْرَعَتْ فِيكَ أَوْتَارُ وَأَقْبَاحُ
قال : وحدثني محمد بن موسى قال :

نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له :

عَيْنَاكَ قَدْ حَكَّنَا مَيْدَ * نَتَكُفُّ كَيْفَ كُنْتَ وَكَيْفَ كَانَا

وَلَبَّ عَيْنٍ قَدْ أَرَدَ * لَكَ مَيِّتَ صَاحِبَهَا عَيْنَانَا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتًا وطالبه بمثله ؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه
بأربعين بيتًا . وأبيات إبراهيم :

أَبَا بَعْلَى خَيْرُ قَوْلِكَ مَا * حَصَّلَتْ أَنْجَعَهُ وَمُخْتَصَرَهُ

مَا عِنْدَنَا فِي الْبَيْعِ مِنْ خَبَرٍ * لَأُسْتَقِلَّ بِوَاحِدٍ عَشْرَهُ

أَنَا أَهْلُ ذَلِكَ غَيْرَ مُخْتَشِمٍ * أَرْضَى الْقَدِيمَ وَأَقْنِي أَثَرَهُ

هَذَا نَحْنُ وَفَيْتُكَ أَرْبَعَةً * وَالْأَرْبَعُونَ لَدَيْكَ مُسْتَظَرَّهُ

أخبرني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال :

سمعت إبراهيم بن العباس وقد ليس سواده يومًا يقول : يا غلام هاتِ ذلك السيف
الذي ماض الله به أحدًا قط غيري .

كان يستقل ابن
أخيه وحكايات
عنه في ذلك

قال : وسأل يوما عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس ف قيل له :

هو مشغول بطبيب ومُنَجَّم عنده ، وكان يستقله ، فقال قل له يا غلام : والله مالك
في الناس طبع ؛ ولا في السماء نجم ، فمالك تكلف هذا التكلف .

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السخي قال :

أمر إبراهيم بن العباس أن يجمع كل أعور يمر في الطريق ، بجمعهم ووقفهم
ويخرج ومعه طلاس ، فلما رأى العور مجتمعين قال لطلاس : كلهم مثلك ، فترك هذا
الصلف فإنه داعية إلى التلف .

أخبرني الصولي قال حدثني ميمون بن موسى قال :

قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس : تعال حتى نعد البغضاء ، قال : ابدأ بي
أولاً من أجل ابن أختي طلاس ثم ثن بمن شئت .

أخبرني الصولي قال قال جعفر بن محمود :

أمر الحسن بن
مُحَمَّدُ بِأَمْرِ فَأَبْطَأَ
فِيهِ فَقَالَ شَعْرًا

ركبت بين يدي إبراهيم بن العباس . فأمر الحسن بن مُحَمَّدُ بِأَمْرِ فَأَسْتَبْطَأَهُ فِيهِ

فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ :

مُعْجِبٌ عِنْدَ نَفْسِهِ * وَهُوَ لِي غَيْرُ مُعْجِبٍ
إِنْ أَقْلٌ لَا يَقْلُ نَعَمْ * عَاتِبٌ غَيْرُ مُعْتَبٍ
مَوْلَعٌ بِالْخِلَافِ لِي * عَامِدًا وَالتَّجَنُّبِ
قَلْتُ فِيهِ بَضْدًا مَا * قِيلَ فِي أُمِّ جُنْدُبٍ

يريد قول امرئ القيس :

”خَلِيلِي مُرَائِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ“

أى فانا لا أريد أن أمر بك .

قال وأخبرني الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال :

تَنَادَرُ بَابُنَ الْكَلْبِيِّ
عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ لَمَّا
جَاءَ كِتَابُهُ

كان المتوكل قد ولّى ابن الكلبى البريد ، وأحلفه بالطلاق ألا يكتمه شيئاً
من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه . فكتب إليه يوماً أن أمر أنه

٠ - (١) هو الحسن بن محمد بن الجراح . تولى ديوان الضياع للمتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا . (انظر الكلام عليه في تاريخ الطبري : ق ٣ ص ١٤٣٥ و ١٤٤٤ - ١٤٤٧ و ١٤٤٨ - ١٤٤٩) .

٢٨
٩

خرجت مع حُبَّتْهَا في نُزْهَةٍ، وَأَنْ حُبَّتْهَا عَرَبَدَتْ عَلَيْهَا بِفِرْحَتِهَا فِي صُدْغِهَا. فَقَرَأَهُ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ الْعَبَّاسِ عَلَى الْمُتَوَكَّلِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ صَحَّفَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ ، إِنَّمَا هُوَ :
”بِرَحَّتْهَا فِي سُرْمِهَا“^(١) ، فَضَحِكَ الْمُتَوَكَّلُ وَقَالَ : صَدَقْتَ . مَا أَظُنُّ الْقِصَّةَ إِلَّا هَكَذَا . قَالَ :
وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ الْكَلْبِيِّ هَذَا مِنَ الْعَرَبِ ، إِنَّمَا كَانَ أَبُوهُ يُقَلَّبُ ”كَلْبُ الرَّحْلِ“
فَقِيلَ لَهُ الْكَلْبِيُّ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ :

استطافه محمد بن
عبد الملك الزيات

كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْتَعِظُفُهُ : كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَقَدْ
بَلَغْتَ الْمُدِيَّةَ الْحَزْنَ ، وَعَدَّتِ الْأَيَّامُ بِكَ عَلَيَّ ، بَعْدَ عَدَوِي بِكَ عَلَيْهَا ، وَكَانَ أَسْوَأَ
ظَنِّي وَأَكْثَرَ خَوْفِي ، أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا ، وَتَكُفَّ عِنْدَ أَذَاهَا ، فَصَرْتَ عَلَيَّ أَضْرَّ
مِنْهَا ، وَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنِ نُصْرَتِي خَوْفًا مِنْكَ ، وَبَادَرَ إِلَى الْعَدُوِّ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ .
وَكَتَبْتُ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخْ بَنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ * رِصَاحَبَ أَيْنَا غَلَبَا
صَدِيقُ مَا أَسْتَقَامُ فَإِنْ * نَبَا دَهْرٌ عَلَيَّ نَبَا
وَتَبْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِهِ * فَعَادَ بِهِ وَقَدْ وَثَبَا
وَلَوْ عَادَ الزَّمَانُ لَنَا * لَعَادَ بِهِ أَخَا حَدِيبَا

قَالَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَمِنْتُ وَدَّكَ لَقُلْتُ ؛ وَلَكِنِّي أَخَافُ مِنْكَ عَتْبَا
لَا تُصَفِّفْنِي فِيهِ ، وَأَخْشَى مِنْ نَفْسِي لِأَمَّةٍ لَا تُحْتَمَلُهَا لِي . وَمَا قَدْ قُدِّرَ فَهُوَ كَائِنْ ،
وَعَنْ كُلِّ حَادِثَةٍ أُحْدِثُ . وَمَا أَسْتَبَدَلْتُ بِحَالَةٍ كُنْتُ فِيهَا مَغْتَبِطًا حَالَةً أَنَا فِي مَكْرُوهِهَا
وَأَلَمِهَا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ أَنْتَى فَرِزَعَتْ إِلَى نَاصِرَى عِنْدَ ظَلِيمٍ لِحَقْنِي ، فَوَجَدْتُ مِنْ يَظْلِمُنِي
أَحَقَّ نِيَّةً فِي ظُلْمِي مِنْهُ ، وَأَحَدُ اللَّهِ كَثِيرًا . ثُمَّ كَتَبَ فِي أَسْفَلِهَا :

(١) الحبة : المحبوبة . (٢) في الأصول : « صرمها » بالصاد . وهو تحريف .
(٣) كذا في معجم الأدباء لياقوت . وفي الأصول : « المحزة » .

وكنْتَ أُنخى بلِحاءِ الزمانِ * فلما نَبَا صرْتَ حَرْبًا عَوَانًا
وكنْتَ أَذْمُ اليك الزمانَ * فأصبحتُ فيكَ أَذْمُ الزمانا
وكنْتَ أَعْدُكَ للنسائبات * فأصبحتُ أطلبُ منك الأمانا

أخبرني الصُّوليّ قال أخبرني الحسين بن فُهم قال :

هـ
عبد الملك وكان قد
أغرى به الواثق

كان محمد بن عبد الملك قد أغرى الواثق بإبراهيم بن العباس ، وكان إبراهيم
يعاتبه على ذلك ويُداريه ، ثم وقف الواثق على تحامله عليه فرفع يده عنه وأمر أن
يُقبل منه ما رفعه ، وردّه الى الحَضْرَةِ مَصُونًا ، فلما أحسَّ إبراهيمُ بذلك بسط
لسانه في محمد ، وحسُن ما بينه وبين ابن أبي دُوَادٍ ^(١) . وهجا محمد بن عبد الملك هجاءً
كثيراً ؛ منه قوله :

قَدَرْتَ فلم تَضُرْ عدوّاً بقدرَةٍ * وثُمْتَ بها إخوانَكَ الذُّلَّ والرَّغْمَا
وكنْتَ مليئاً بالتي قد يعافها * من الناس من يابى الدَّنيئة والذِّمَّا

١٠

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا ابن السَّخَيّ قال حدّثني الحسين بن عبد الله قال :
سمعتُ إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام الطائي وقد أنشده شعراً له
في المعتصم : يا أبا تمام ، أمراءُ الكلام رعيّةٌ لإحسانك . فقال له أبو تمام : ذلك
لأنّي أستضيء بك وأردُّ شريعَتَكَ .

١٥

اعتذر له إبراهيم
ابن المدبر عن أخيه
فقال شعرا

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال سمعتُ إبراهيم بن المدبر يقول :
جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخى أحمد بن المدبر شيء ، وكان يودّني
دون أخى ؛ فَلَقِيْتُهُ فَأَعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ عَنْهُ ؛ فَقَالَ لِي : يا أبا إسحاق :

٢٩
٩

(١) يعنى بهذا أن محمد بن عبد الملك كان يعادى أحمد بن أبي دواد ويهجوّه . (انظر خبر ذلك مفصلاً

في ج ٢٠ ص ٥١ من الأغاني طبع بلاق) .

صوت

خَلَّ التَّفَاقَ لِأَهْلِهِ * وَعَلَيْكَ فَاتِّمَسَّ الطَّرِيقَا

وَأَذْهَبَ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى * إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا

الغناء لأبي العَبَّاسِ .

أخبرني الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ :

احتال على المتوكل
لينجي بعض عماله
من العقوبة

انصرف إبراهيم بن العباس يوما من دار المتوكل فقال لنا : أنا والله مسرور
بمنعموم منه . فقلنا له : وما ذاك أعزك الله ؟ قال : كان أحمد بن المذَّبر رفع إلى
ير المؤمنين أن بعض عُمَايَ اقْتطع مالا ، وصدق في الذي قاله ، وكنت قد رأيت
هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوت له ، وضحك إلى فقال لي :
إن أحمد قد رفع علي عاملك كذا وكذا فأصدقني عنه ؛ فضاقت عليَّ الحُجَّةُ ، وخفتُ
أن أحقق قوله إن أعترفت ، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود عليَّ الغرم ، فعدلت عن
الحُجَّةِ إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك :

صوت

رَدَّ قَوْلِي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَ * وَأَطْبَاعَ الْوُشَاةِ وَالْعُدَا لَا

أُتْرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صَدُودٍ * وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالَ

قال : لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم ! رَوَّ هَذَا الشَّعْرَ بَنَانًا حَتَّى يُغْنِيَنِي
فِيهِ . فقلت : نعم يا سيدي على آلِ بَطَالِبَ صَاحِبِي يَقُولُ أَحْمَدُ . فقال للوزير : تقبل
قِرْلَ صَاحِبِهِ فِي الْمَالِ . فُسِرْتُ بِالظَّفَرِ ، وَأَغْتَمِمْتُ لِبُطْلَانِ هَذَا الْمَبَالِ وَذَهَابِهِ
بِثَلِّ هَذِهِ الْحِيلَةِ ، وَلَعَلَّهُ قَدْ جُمِعَ فِي زَمَنِ طَوِيلٍ وَتَعَبٍ شَدِيدٍ .

سرق ابن دريد
وابن الرومي من
شعره

أَنشَدْتُ عَمِّي رَحِمَهُ اللَّهُ أَبَيَاتَا لَبْنِ دُرَيْدٍ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ :

يَا مَنْ يُقْبَلُ كَفِّ كُلِّ مُخَوِّقٍ * هَذَا ابْنُ يَحْيَى لَيْسَ بِالْمُخَرَّاقِ

قَبْلُ أَنَامَلَهُ فَلَسْنُ أَنَامِلًا * لَكِنَّهُمْ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

فَقَالَ : يَا بَنِيَّ هَذَا سَرَقَهُ هُوَ وَابْنُ الرُّومِيِّ جَمِيعًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ؛ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَمْدَحُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ * تَقَاصَرُ عَنْهَا الْأُمَلُ

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى * وَظَاهَرُهَا لِلْقَبِيلِ

وَبَسْطُهَا لِلْغِنَى * وَسُطُوْهُهَا لِلْأَجَلِ

وَسَرَقَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خِصَاصِيَّةٍ وَمَدَلَّةٍ * وَالْحُرُّ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَرَبًا

فَأَمْدُدْ إِلَى يَدَا تَعَوُّدِ بَطْنِهَا * بَلَدَ النَّدَى وَظَهْوَرُهَا التَّقْيِيلُ

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا يَقُولُ :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ أَشْعَرَ الْمُحَدِّثِينَ . قَالَ : وَمَا رَوَى ثَعْلَبٌ شِعْرَ كَاتِبٍ قَطُّ

غَيْرَهُ . قَالَ : وَكَأَنَّهُ يَسْتَحْسِنُ كَثِيرًا قَوْلَهُ :

لَنَا لِبَلِّ كَوْمٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا ^(١) * وَيَقْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا

فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا * وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا

جَمِّي وَقَرِّي فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا * وَأَيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حَقِّ فَنَائُهَا

ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا لِبَعْضِ الْأَوَائِلِ لَأَسْجِدُ لَهُ .

قال ثعلب إنه كان
أشعر المحديثين

٣٠
٩

(١) الكوم : الابل الضخمة المنظمة السنام ، الواحد أكوام والأثني كوما .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت الحسن بن سہل مدح الحسن بن سہل

ابن رجاء يقول :
كُنَّا بِقِيمِ الصُّلَحِ أَيَّامَ بَنِي الْمَأْمُونِ بِيُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ؛ فَقَدِمَ إِبْرَاهِيمُ
ابن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سہل فأنشده :

لِيَهْنِكَ أَصْهَارُ أَذَلَّتْ بِعَزِّهَا * خَدُودًا وَجَدَّعَتِ الْأَنْوَفَ الرَّوَاعِمَا
جَمَعَتْ بِهَا الشَّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ * وَحَزَّتْ بِهَا لِلْأَكْرَمِينَ الْأَكْرَامَا
بَنُوكَ عَدَّوْا آلَ النَّبِيِّ وَوَارِثُوهُ * خِلَافَةَ وَالْحَاوُونَ كَسْرِي وَهَاشِمَا
فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : ” شَيْئَتُنَا أَعْرِفَهَا مِنْ أَنْزَمٍ “ أَيْ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ تَمْدَحُنَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا جَزَاءَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ؛ فَمَا الْكَثِيرُ مِنْ فَعَلْنَا بِكَ بِجَزَاءٍ لِلْيَسِيرِ مِنْ حَقِّكَ .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال :
أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قِيْنَةِ أَسْمَهِ سَامِرٍ كَانَ يَهْوَاهَا فَفَضِبْتُ عَلَيْهِ :
وَعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلِيهِ * وَعَلَّمْتَكُمْ صَبْرِي عَلَى ظُلْمِكُمْ ظُلْمِي
وَأَعْلَمَ مَا لِي عِنْدَكُمْ فَيُرْدَنِي * هَوَايَ إِلَى جَهْلٍ فَأَقْصِرُ عَنْ عِلْمِي

قال شعرا في قينة
سميها ” سامر “
كانت يهواها
ففضببت عليه

أخبرني الصُّبُولِيُّ قَالَ :
سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يَقُولُ : لَا يُعْلَمُ لِقَدِيمٍ وَلَا مُجَدِّدٍ فِي قِصْرِ
الَّيْلِ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

شعره في قصر
الليل

(١) فَمِ الصُّلَحِ : نَهْرٌ كَبِيرٌ فَوْقَ وَاسِطِ عَلَيْهِ مَدَّةٌ قَرِيبٌ وَفِيهِ كَانَتْ دَارُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ . (مَعْيَمُ الْبِلَادِ لِإِيَاقُوتَ) .

(٢) هَذَا مِثْلُ ، قَالَ أَبُو أَنْزَمٍ الطَّائِي وَكَانَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ أَنْزَمُ ؛ قِيلَ : كَانَ عَاقِفَاتٍ وَتَرَكَ بَنِينَ ،

فَوَثِرُوا يَوْمًا عَلَى جَدِّهِمْ فَأَدَمُوهُ ، فَقَالَ :

إِنْ بَنَى ضَرْجُونِي بِالْأَدَمِ * شَنْشَتُهُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنْزَمِ
* مِنْ يَلْقَى آسَادَ الرِّجَالِ يَكَلِّمُ *

وليلة من الليالي الزهري * قابلت فيها بدرها ببدر
لم تك غير شفيق وبجر^(١) * حتى تولت وهي يكر الدهر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن بشر المرندى قال :
كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دؤاد ، فلما خرج من عنده لقيه محمد
ابن عبد الملك الزيات وهو خارج من داره ؛ فتبين إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم
يخاطبه في العاجل بشيء . فلما أنصرف إلى منزله كتب إليه :

دعني أوأصل من قطع * ست يراك بي إذ لا يراكا
إني متى أجز لهج * رك لا أضربه سواكا
وإذا قطعك في أخيد * لك قطعك فيك غداً أحاك
حتى أرى متقسماً * يومى لذا وغدى لذاكا

١٠

أخبرني الصولي قال حدثني أبو العيناء قال :
كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً ، فنقط من القلم نقطة مفسدة
فمسحها بكمه ؛ فتعجبت من ذلك ؛ فقال : لا تعجب ، المال فرع والقلم أصل ،
ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب ، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع .
ثم فكر قليلاً وقال :

١٥

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ * وأسأله الوجود إلى البيان
ووشاه فتمنمه مسد^(٢) * فصيح في المقال بلا لسان
تري حلل البيان منشرات * تجلّ بينها صور المعاني

مسح المداد بكم
نوبه وشعره
في ذلك
٣١
٩

(١) في بومر : « وبدر » . (٢) مسد : مصيب السداد .

اتهمه المأمون
بإفشاء سر مقتل
الفضل بن سهل
ثم عفا عنه بشفاعة
هشام الخطيب

- أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال :
 لما عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل ، وندب له عبد العزيز بن عمران
 الطائي ، ومؤنس البصري ، وخلفا المصري ، وعلى بن أبي سعد ذا القلمين ، وسراجا
 الخديم ، فمضى الخبر إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه ، فلما قتل الفضل وقتل المأمون
 قتله ، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل ؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس ، فطلبه
 فاستتر . وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران ، وكان الفضل
 استكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران ، فأخبر به الفضل . قال : وتحمّل إبراهيم بالناس
 على المأمون ، وجرّد في أمره هشاما الخطيب المعروف بالعباسي . وكان خريثا على المأمون
 لأنه رباه ، وشخص إليه إلى نخراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يجبه المأمون إلى
 ما سأل . فلقبه إبراهيم مستترا وسأله عما عمل في حاجته . فقال له هشام : قد وعدني
 في أمرك بما تحب . فقال له إبراهيم : أظن أن الأمر على غير هذا . قال : وما تظن ؟
 قال : محلك عند أمير المؤمنين أجل من أن يعذك شيئا فترضى بتأخيرته ، وهو أكرم
 من أن يعد مثلك شيئا فيؤخره ، ولكنك ممعت ما لا تحب في فكرهت أن تعني
 به فقلت لي هذا القول ، وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك ، ففضى هشام إلى
 المأمون فعرفه خبر إبراهيم ، فعجب من فطنته وعفا عنه . قال : وفي هشام يقول إبراهيم

ابن العباس :

مَنْ بَكَانَتْ الْأَمْوَالُ دُخْرًا لَهُ * فَمَاكَ دُخْرِي أَمْ لِي فِي هِشَامٍ

فَقِي يَقِي الْإِلَاحَةَ عَنْ عِرْضَتِهِ * وَأَنْهَبَ الْمَالَ قِضَاءَ الذَّمَامِ

(١) راجع الطبري في هذه القصة (ق: ٣ ص ١٠٢٥ - ١٠٢٨) فيها اختلاف عما هنا .

مدح الفضل بن
سهل

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال :

دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد ، فقال

ها ، فأنشده :

يُمِضِي الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهِتِهِ * وَتُزِيهِ فَكْرُهُ عَوَاقِبَهَا
فَيَظُلُّ يُصِيدُهَا وَيُورِدُهَا * فَيَسْمُ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا
وَإِذَا أَلَمَّتْ صَعْبَةً عَظُمَتْ * فِيهَا الرِّزْيَةُ كَانَ صَاحِبَهَا
الْمُسْتَقِلَّ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ * وَلَوْثَ عَلَى الْأَيَّامِ جَانِبَهَا
وَعَدَلَتْهَا بِالْحَقِّ فَأَعْتَدَلَتْ * وَوَسَّعَتْ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا
وَإِذَا الْحُرُوبُ غَلَّتْ بَعَثَتْ لَهَا * رَأْيَا تَقُلُّ بِهِ كَتَائِبَهَا
رَأْيَا إِذَا نَبَتِ السِّيُوفُ مَضَى * عَزَمُ بِهَا فَشَفَى مَضَارِبَهَا
أَجْرَى إِلَى فِتْنَةٍ بِدَوْلَتِهَا * وَأَقَامَ فِي أُخْرَى نَوَادِيهَا
وَإِذَا الْخَطُوبُ تَأَلَّثَتْ وَرَسَتْ * هَدَّتْ فَوَاصِلُهُ نَوَائِيهَا
وَإِذَا جَرَتْ بِضَمِيرِهِ يَدُهُ * أَبَدَتْ بِهِ الدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا
وَأَنشَدَنِي عَمِّي لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَفِيهِ غِنَاءٌ :

صوت

فَلَوْ كَانَ لِلشَّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ * إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ * فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمَرْتُ شَاكِرُ

الغناء لأبي العباس ثقل أول . وفيه لرداذ ثاني ثقل . حدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبختي قال حدثني جماعة من عمومي وأهلنا أن رذاذاً صنع في هذين البيتين لحنا أعجب به الناس وأستحسنوه ، فلما كثر ذلك صنع فيه أبو العباس لحنا آخر ، فسقط لحن رذاذ واختار الناس لحن أبي العباس .

مدح المتوكل
وولاية العهد
فأجازوه

أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال :

لَمَّا عَقَدَ الْمُتَوَكِّلُ لَوَاةَ الْعَهْدِ مِنْ وَلَدِهِ رَكِبَ بُسْرًا مِّنْ رَّأَى رَكْبَةً لَّمْ يُرَاحِسُنْ
مِنْهَا، وَرَكِبَ وَلَاةُ الْعَهْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْأَتْرَاكُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَوْلَادُهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْ
الْمُتَوَكِّلِ بِمَنَاطِقِ الذَّهَبِ ، فِي أَيْدِيهِمُ الطَّبْرِزِيَّاتُ الْمُحَلَّاتُ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمَاءِ
بِفَاسٍ فِيهِ وَالْجَيْشُ مَعَهُ فِي الْجَوَانِحِيَّاتِ وَسَائِرِ السُّفُنِ ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقَصْرِ
الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْعَرُوسُ ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا إِلَيْهِ . فَلَمَّا تَكَامَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَثَلَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بَيْنَ الصِّقِّينِ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ ، فَقَالَ :
وَلَمَّا بَدَأَ جَعْفَرٌ فِي الْحَمْدِ * سَسَّ بَيْنَ الْمَطَلِّ وَبَيْنَ الْعَرُوسِ
بَدَأَ لَا بَسًا بَهْمَا حُلَّةً * أَزِيلَتْ بِهَا طَالِعَاتُ النُّجُوسِ
وَلَمَّا بَدَأَ بَيْنَ أَحِبَّابِهِ * وَلَاةُ الْعَهْدِ وَعِزُّ النُّفُوسِ
غَدَا قَمْرًا بَيْنَ أَقْصَارِهِ * وَشَمْسًا مُكَلَّلَةً بِالشُّمُوسِ
لِإِيلَادِ نَارٍ وَإِطْفَائِهَا * وَيَوْمِ أَنْيَقِ وَيَوْمِ عَبُوسِ

ثم أقبل على ولاية العهد فقال :

أَصْحَتْ عُرَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنُوطَةٌ * بِالنَّصْرِ وَالْإِعْزَازِ وَالتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ * كَتَفُوا الْخِلَافَةَ مِنْ وَلَاةِ عَهْدِ
قَمَرٌ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْصَارُهُ * فَخَفَّقْنَ مَطْلَعَ سَعْدِهِ بِسَعُودِ
رَفَعْتَهُمُ الْأَيَّامُ وَآرْتَفَعُوا بِهِ * فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجَدُودِ
قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ لَهُ وَلَاةُ الْعَهْدِ بِمِثْلِهَا .

(١) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الطير (الفأس) أو هو الطير بعينه . وهذا لأن أصل معناه
الطير المعلق في السرج . فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطير في السروج . (كتاب الألفاظ الفارسية
المعربة) . (٢) الجوانحيات : نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق . (٣) المطل :
اسم مكان أو قصر ، كما هو ظاهر من السياق . ولم تقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان .

أخبرني عمي قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وآبن برد الخيار
في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون ينشد من أشعار أبيه
محاسنها ، ويفضلها ويقدمها . فقال له آبن برد الخيار : إن كان لأبيك مثل قول
إبراهيم بن العباس :

أسد ضار إذا هيَّجته * وأبُّ برُّ إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثري ولا * يعرف الأذننى إذا ما أفتقرا

أو مثل قوله :

تليج السنون بيوتهم وترى لهم * عن جاريتهم أزورار مناكب

وتراهم بسبيوفهم وشفارهم * مستشرفين لراغب أوراها

حامين أوقارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونهزة للراغب

فأذكَّره وأنخربه ، وإلا فأقلل من الاختار والتطاوُل بما لا طائل فيه ، ففجّل هارون .
وقال عبيد الله بن سليمان : لعمري ما في الكُتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي ،
(يعنى عمه الحسن بن وهب) ثم أمر بعض كُتّابه بكتّاب المقطوعتين اللتين أنشدهما
آبن برد الخيار .

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يهنئ الحسن بن سهل
بصهر المأمون :

هتَكَ أكرومة جُلَّتْ نعمتها * أعلت وليك وأجتثت أعاديك

ما كان يحيا بها إلا الإمام وما * كانت إذا قرنت بالحق تعدوكا

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن داود بن الجراح قال حدّثني أبو محمد الحسن
ابن محمّد قال :

(١) كذا في جميع الأصول ولعلها « يحبو » .

أودع محمد بن عبد الملك الزيات مالا عظيما وجوهرا نفيسا، وقد رأى
تغيرا من الواثق نخافه وفترق ذلك في ثقافته من أهل الكرخ ومعامليه من التجار. وكان
إبراهيم بن العباس يُعاديهِ ويرصد له بالمكاره لإساءته إليه، فقال أبيتا وأشاعها حتى
بلغت الواثق يُغريه به :

٥ نصيحة شأنا وزير * مستحفظ سارق منير
ودائع جمّة عظام * قد أسيلت دونها الستور
تسعة آلاف ألف ألف * خلّلتها جوهرا خطير
بجانب الكرخ عند قوم * أنت بما عندهم خير
والملك اليوم في أمور * تحدث من بعدها أمور
١٠ قد شغلته محقرات * وصاحب الكارة^(١) الوزير

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء :

مدح المعتز بشعر

صوت

١٥ سحر محاجر الحدقة * مليح والذي خلقه
سواء في رطايته * مجانبه ومن عشقه
لعيني في محاسنه * رياض محاسن أنقه
فأحيانا أنزهها * وطورا في ديم غرقه

يقول فيها في مدح المعتز بالله :

٢٠ فيا قمرأ أضاء لنا * يلايل نوره أنقه
يشبهه منا المعتز * ذو مقة إذا رمقه
أمير قلد الرحم * من أمر عباده عوقه

١ (١) الكارة : ما يجمع ويشد، ويعنى بها السرة التي فيها المال .

٣٤
٩

وفَضِّلَهُ وَطَيَّبَهُ * وَطَهَّرَ فِي الْوَرَى خُلُقَهُ

في الأربعة الأبيات الأول رَمَلُ ذكر الهشامى أنه لابن القَصَّار، ووجدته في بعض الكتب لعريب .

هنا أحمد بن المدبر
وكان يحرض عليه
فقال شعرا

أُنشِدْنِي الْأَخْفَشَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ يَقُولُهَا لِأَحْمَدَ بْنِ الْمُدَّبَرِ وَقَدْ جَاءَهُ
بعد خلاصه من النكبة مهتئا ، وكان استعان به في أمر نكبته فقعد عنه ، وبلغه أنه
كان يحرض عليه ابن الزيات :

وَكُنْتُ أُنْحَى بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا * نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادُ عُدْتُ مَعَ الذَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ لِإِقْبَالِ عَدَدْتُكَ طَائِلًا * وَلَا يَوْمَ إِدْبَارِ عَدَدْتُكَ فِي وَثَرٍ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ * كَلَّا حَالَتِكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدَرٍ

عائبه ابن المدبر
فقال شعرا

وَأُنشِدْنِي الصَّوْلَى لَهُ فِي أَحْمَدَ بْنِ الْمُدَّبَرِ أَيْضًا وَقَدْ عَاتَبَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْمُدَّبَرِ عَلَى
شئ بلغه فقال :

هَبِ الزَّمَانَ رِمَانِي * الشَّأْنُ فِي اتِّحْلَانِ
فَيَمَنْ رِمَانِي لَمَّا * رَأَى الزَّمَانَ رِمَانِي
وَمَنْ ذَخَرْتُ لِنَفْسِي * فَصَارَ ذُخْرَ الزَّمَانِ
لَوْ قِيلَ لِي خُذْ أَمَانًا * مِنْ أَعْظَمِ الْحَدَثَانِ
لَمَّا أَخَذْتُ أَمَانًا * إِلَّا مِنْ الْإِخْوَانِ

ومن أخبار المعتضد بالله الجارية مجرى هذا الكتاب

المعتضد وعلامه
بدر

حدثني عمي عن جدي رحمه الله قال قال لي عبيد الله بن سليمان ، وكان
يأتس بي أنسا شديداً لقديم الصُّحبة وأتلاف المنشأ : دعاني المعتضد يوما فقال :

أَلَا تُعَاتِبُ بَدْرًا عَلَى مَا لَا يَزَالُ يَسْتَعْمَلُهُ مِنَ التَّخَرُّقِ فِي التَّفَقَاتِ وَالْإِنَابَاتِ وَالزِّيَادَاتِ
وَالصَّلَاتِ ! وَجَعَلَ يُؤَكِّدُ الْقَوْلَ عَلَى- فِي ذَلِكَ ؛ فَلَمْ أَخْرَجْ عَنْ حَضْرَتِهِ حَتَّى دَخَلَ إِلَيْهِ
بَدْرٌ بِفَعْلٍ يَسْتَأْمِرُهُ فِي إِطْلَاقَاتِ مُسِيرَةٍ وَنَفَقَاتِ وَاسِعَةٍ وَصِلَاتِ سَنِيَّةٍ وَهُوَ يَأْذَنُ لَهُ
فِي ذَلِكَ كُلِّهِ . فَلَمَّا خَرَجَ رَأَى فِي وَجْهِهِ لِنَكَارٍ مَا فَعَلَهُ بَعْدَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؛
فَقَالَ لِي : يَا عُيَيْدُ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَأَنَا وَإِيَّاهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

صوت

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ * مِنَ الْقُلُوبِ مَطَاعٌ حَيْثَا شَفَعَا
مُسْتَقْبِلٌ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ * مِنْهُ الْإِسَاءَةُ مَغْفُورٌ لِمَا صَنَعَا
وَفِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفُ رَمَلٍ .

١٠ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قُرَيْضٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ :
غَنَيْتُ الْمُعْتَصِدَ :

كان المعتضد
يطرب لغناء ابن
العلاء في شعر
الوليد بن يزيد

كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرَى غَنِيَانِي ^(٢)

أَطْلِقَانِي مِنْ وَثَاقِي * وَأَشْدُدَانِي بَعِيَانِي

فَاسْتَحْسَنَهُ جَدًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ ! أَمَا تَرَى زَهْوَ الْمَلِكِ فِي شَعْرِهِ وَقَوْلِهِ :

١٥ كَلَّلَانِي تَوَّجَانِي * وَبَشَعْرَى غَنِيَانِي

وَأَسْتَعَادَهُ مِرَارًا ، ثُمَّ وَصَّلَنِي كُلَّ مَرَّةٍ أَسْتَعَادَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَمَا وَصَلَ بِهَا مَغْنِيًّا

قَبْلِي وَلَا بَعْدِي . قَالَ : وَأَسْتَعَادَهُ مَنِيَّ مَسَّةً مَرَّاتٍ وَوَهَبَ لِي سِتِينَ أَلْفًا . وَقَالَ

النُّوشَجَانِي : بِلَ وَصَلَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَاحِدَةً .

٣٥
٩

- (١) كان بدر هذا غلام المعتضد ، وُلد له الشرطة يوم ولَّى الخلافة ، ثم وُلد له بعد ذلك فارس . (انظر تاريخ ابن الأثير ص ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ج ٧) . قتله المكتفي سنة ٢٨٩ لأنه أبى أن يبايعه . (انظر سبب مقتله بأسباب في تاريخ الطبري ق ٣ ص ٢٢٠٩ — ٢٢١٦) .
- (٢) هذا من شعر الوليد بن يزيد (انظر ج ٧ ص ٩٣ من هذه الطبعة) .

صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث

(١) فأولم وأتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً في الغناء إبراهيم بن المهدي؛ فإنه كان يتحقق به تحقُّقاً شديداً ويبتذل نفسه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً. وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تصوُّنٍ عنه وترَفُّعٍ، إلا أن يدعوه إليه الرشيد في خلوة والأميين بعده. فلما أمَّنه المأمون تَهَنَّك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده تَمَلَّاً ومع المغنين، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عنقه وهتَكَ سِتْرَهُ فيها حتى صار لا يصلح لها. وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً. وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية: ابن جامع وعمرو بن أبي الككَّات وإبراهيم ابن المهدي، ومُحَارِق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، وإن كان بعضهم يتقدم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مُقَصِّراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه في صنعته، فكان يَحْدِف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً ويُخَفِّفها على قَدَر ما يصلح له ويُنْفِي بأدائه. فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا مَلِكٌ وابن ملك، أغنى كما أشتى وعلى ما ألتذ. فهو أول من أفسد الغناء القديم، وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره. فآل الناس إلى الآن صِنْفان: من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنكر تغيير الغناء القديم ويُعَظِّم الإقدام عليه ويعيب مَنْ فعله، فهو يُغْنِي الغناء القديم على جهته أو قريباً منها. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مُحَارِق وشارية ورَيْق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يَنْفِي الغناء القديم كما

(١) كذا في الأصول. ولعلها «يُخَفِّي به تخفياً... الخ».

(٢) في الأصول: «ما أصلح له» وهو تحريف.

يَشْتَهِي هَؤُلَاءِ لَا كَمَا غَنَاهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وَيَجِدُ عَلَى ذَلِكَ مُسَاعِدِينَ مِمَّنْ يَشْتَهِي أَنْ
يَقْرُبَ عَلَيْهِ مَا اخَذَ الْغِنَاءَ وَيَكْرِهُ مَا ثَقُلَ وَثِقُلَتْ أَدْوَارُهُ، وَيَسْتَطِيلُ الزَّمَانَ فِي اخْذِ الْغِنَاءِ
الْحَيِّدِ عَلَى جِهَتِهِ بِقَصْرِ مَعْرِفَتِهِ . وَهَذَا إِذَا آطَرَدَ فَإِنَّمَا الصَّنْعَةُ لِمَنْ غَنَى فِي هَذَا الْوَقْتُ
لَا لِلتَّقْدِمِينَ ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا غَيَّرُوا مَا أَخَذُوهُ كَمَا يَرَوْنَ وَقَدْ غَيَّرَهُ مَنْ أَخَذُوهُ عَنْهُ وَأَخَذَ
ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ غَيْرِهِ، حَتَّى يَمُضِيَ عَلَى هَذَا خَمْسُ طَبَقَاتٍ أَوْ نَحْوُهَا، لَمْ يَتَأَذَّ إِلَى النَّاسِ ٥
فِي عَصْرِنَا هَذَا مِنْ جِهَةِ الطَّبَقَةِ غِنَاءٍ قَدِيمٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْبَتَّةِ . وَمِمَّنْ أَفْسَدَ هَذَا الْجَنَسَ
خَاصَّةً بَنُو حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ فَإِنْ أَصْلَهُمْ فِيهِ مُخَارِقٌ، وَمَا نَفَعَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ بِمَا
أَخَذَ عَنْهُ، وَزِيَادُ الْوَائِقِيَّةِ فَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصُّورَةِ تُغَيِّرُ الْغِنَاءَ كَمَا تَرِيدُ، وَجَوَارِي
شَارِيَةِ وَرَيْقٍ . فَهَذِهِ الطَّبَقَةُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ . وَمَنْ عَدَاهُمْ مِنَ الدُّوْرِ بِمِثْلِ دُوْرِ عَرِيبِ
وَدُوْرِ جَوَارِيهَا وَالْقَاسِمِ بْنِ زُرْزُورٍ وَوَلَدِهِ وَدُوْرِ بَذَلِ الْكَبِيرِ وَمَنْ أَخَذَ عَنْهَا، ١٠
وَجَوَارِي الْبَرَامِكَةِ وَآلِ هَاشِمٍ وَآلِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ وَدُوْرِ آلِ الرَّبِيعِ وَمَنْ جَرَى بِجَوَارِهِمْ
مِمَّنْ تَمَسَّكَ بِالْغِنَاءِ الْقَدِيمِ وَحَمَلَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ مِمَّنْ أَخَذَ بِذَلِكَ
الْمَذْهَبِ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَعَلَى أَنْ الْجَمِيعُ مِنَ الصَّحِيحِ وَالْمُغَيَّرِ قَدْ آتَقَضَى فِي عَصْرِنَا هَذَا. ١٥

$$\frac{36}{7}$$

فَمِنْ مَشْهُورِ غِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ :

صوت

١٥

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمَهَا * بَأْكُفِّكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هَلَالَهَا
أَوْ تَدْفَعُونَ مَقَالَةً مِنْ رَبِّكُمْ * جِبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا
طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَنَحَى خِيَالَهَا * زَهْرَاءُ تَخْلِطُ بِالْذَّلَالِ جَمَالَهَا
الشَّعْرُ لِرَوَانِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ . وَالْغِنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ، وَذَكَرَ
حَبَشَ أَنْ فِيهِ لِأَبْنِ جَامِعٍ لَحْنًا مَآخُورِيًّا . ٢٠

(١) فِي الْأَسْوَلِ : « قَلَمٌ » . (٢) لَعَلَهُ : « مِثْلٌ » . (٣) لَعَلَهُ : « قَدْ » .
(٤) لَعَلَهُ : « عَلَى » .

أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه

نسبه وثى من
أخبار أباؤه

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . ويكنى أبا السَّمُط . وأسم
أبي حفصة يزيد . وذكر التَّوَقُّلِيُّ عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يَدَيِ مَرَوَانَ بْنِ
الحَكَم . وأهلُه يُنَكِّرون ذلك ويذكرون أنه من سَبِي إِصْطَخَر^(١) ، وأت عثمان اشتراه فوهبه

لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان

جده أبو حفصة
وأخباره

ابن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهد أبو حفصة الدار مع مولاه مروان
ابن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً وقتل رجلاً من أسلم يقال له بَنَان . وجرَّح مروان يومئذ ،

أصابته ضربة قطعت عِلْبَاهُ فسقط ، فوثب عليه أبو حفصة وأحتمله ، بفعل يجعله
مرة على عنقه ومرة يجره ، فيتأوه ؛ فيقول له : أسكت وأصبر ؛ فإنه إن علموا أنك حيٌّ

قُتِلْتَ . فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عترة قَدَاوَاه فيها حتى برئ ؛ فأعتقه مروان

ونزل له عن أم ولد له يقال لها سُكَّر كانت له منها بنت يقال لها حَفْصَةُ ؛ فحَضَنَهَا ،

فكنى أبا حَفْصَةَ ؛ فحَفْصَةُ بنت مروان . قال : وكان مروان إذا ولي المدينة وجهه

أبا حَفْصَةَ إلى اليمامة — وكانت مضافةً إلى المدينة — ليجمع ما فيها من المال ويحمله

إليه . قال : فمَرَّ أبو حفصة بقرية من قُرَى اليمامة يقال لها العَرِض ، فوقف على باب

فَأَسْتَسْقَى ماءً ، فخرجت إليه جارية مُعَصَّرَ فُسَقَتِهِ فَأَعْجَبَتْهُ ؛ فسأل عنها ليشترىها ؛ فقيل له :

هي حرة ، وهي مولاة لَبْنَى عامر بن حنيفة . فمضى حتى قدم حَجْرًا ، ثم تبعها نَفْسُهُ

(١) إصطخر : بلدة بفارس ، وهي من أعيان حصونها ومدنها . (٢) يريد دار عثمان بن عفان

ضى الله تعالى عنه ، وذلك أنه يوم هاجت الفتنة عليه لم يزل داره محصورة فيها حتى قتلوه وسمي ذلك

يوم الدار . (٣) العلباء : عصبة صفراء في صفحة العنق . (٤) أبصرت المرأة : بلغت عمر

شبابها وأدركت . (٥) حجر : حاضرة اليمامة .

٥

١٠

١٥

٢٠

فترجّعها، فلم يخرج من اليمامة حتى حملت يميني بن أبي حفصة، ثم حملت بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وقعت فتنة ابن الزبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام .

- قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجنبوب يقول :
- أثم يميني بن أبي حفصة لحناء بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي^(١)، وإن الشعرأتى آل أبي حفصة بذلك السبب . قال : وشهد أبو حفصة مع مروان يوم الجمل وقاتل قتالا شديدا . فلما ظفر على بن أبي طالب رضى الله عنه، لجأ مروان إلى مالك بن مسمع فدخل داره ومعه أبو حفصة، فقال لمالك : أغلق بابك . فقال له مالك : إن لم أمتعك والباب مفتوح لم أمتعك والباب مغلق . فطلب علي رضى الله عنه مروان منه، فلم يدفعه إليه إلا برهينة، فدفع مالك الرهينة إلى أبي حفصة، ومضى .
- ١٠ . مروان إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقال لأبي حفصة : إن حدثت بصاحبت فعليك بالرهينة . فلما أتى مروان عليا كساه كسوة، فكساها مروان أبا حفصة، فغدا فيها أبو حفصة . وبلغ عليا رضى الله عنه ذلك فغضب وقال : كسوته كسوة فكساها عبدا ! . وشهد أبو حفصة مع مروان مرج راهط، وكان له بلاء . وكان أبو حفصة شاعرا .

٣٧
٩

- ١٥ . قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السّمط مروان بن أبي الجنبوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار :
- وما قلت يوم الدار للقوم صالحوا * أجل لا، ولا آخرت الحياة على القتل
ولكنني قد قلت للقوم جالدوا * بأسيا فكم لا يُخلصن إلى الكهل

- ٢٠ . (١) في ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٢) : « حيا بنت ميمون » . (٢) مرج راهط : قى غوطة دمشق من ناحية الشرق، وفيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس داعية ابن الزبير، فقتل مروان فيها الضحاك وخلصت له الخلافة .

قال : وأنشدني لأبي حفصة أيضا :

لستُ على الزحام بالأصر * إني لَوَرَّادُ حياضِ الشرِّ^(١)
* مُعَاوِدٌ للكرِّ بعدَ الكرِّ *

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال :

عُكْلٌ تدعى أن أبا حفصة منهم ، يقولون : هو من كِنَانَةِ بن عَوْف بن
عبد مَنَاة بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وقد كانوا استعدوا عليه مروان
ابن الحكم ، وقالوا : إنما باعته عَمَّتُهُ لمجاعة ؛ فأبى هو أن يُقرَّ لهم بذلك .
ثم استعدوا عليه عبد الملك بن مروان أيضا ؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سبي
فارس ، تشأ في عُكْل وهو صغير . قال محمد بن إدريس : وولِدَ السَّمُوعِل بن عادياء
يَدْعُوْنَهُ ، والسَّمُوعِل من غَسَّان . قال محمد : وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أن ثلاثة
نَفَرٍ أتوا مروان بن الحكم وهم أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سُليم ، فباعوا
أنفسهم منه في مجاعة نالتهم ؛ فاستعدى أهل بيوتاتهم عليهم ، فأقرَّ أحدهم وهو السُّلَمِيُّ
أنه إنما أتى مروان فباعه نفسه وأنه من العرب ؛ فُدِّسَ إليه مروان من قتله .
فلما رأى ذلك الآخران ثَبَّتَا على أنهما مَوَلِيَّان لمروان ، فأخبرني الحسن بن علي قال
حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابن يُقال
له مروان سمَّاه مروان بن الحكم بأسمه ، وليس بالشاعر ، وأنه كان شجاعاً مجزباً ، وأمدَّ
به عبدُ الملك بن مروان المجتاج وقال له : قد بعثنا إليك مولاي ابن أبي حفصة
وهو يَعْلِل ألف رجل . فشهد معه محاربة ابن الأَشْعَث ، فأبلى بلاءً حسناً وعُقِرَتْ تحته
عِدَّةٌ خيول ، فأحتسب بها المجتاجُ عليه من عطائه . فشكاه الى عبد الملك وذمَّ المجتاجُ
عنده ؛ فعوضه مكان ما غرِمَهُ المجتاجُ . وكان يحيى جدَّ مروان بن سليمان جواداً مُدَّحّاً .

(١) من الصرير يقال : صر الرجل اذا صاح صياحا شديدا .

أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال :

جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة

أراد جرير أن يوجه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره ، فأتى يحيى ابن أبي حفصة فأودعه إياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كلفت هذا القرشي أمري ! فقال له جرير :

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً * ألا إن يحيى نعم زاد المسافر
وما تأمن الوجناء وقعة سيفه * إذا أنقضوا^(١) أو قل ما في الغرائر

٣٨
٩

- أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن علي العنزي قال :
- تزوج يحيى بن أبي حفصة بنت زياد بن هوزة بن شماس بن لآي بن أنف الناقة ؛ فاستعدي عليه عماها عبد الملك بن مروان وقال : أيتك إبراهيم بن عدي ١٠ وهو من كنانة منك واليك بنتها ، ويتك هذا العبد هذه ! . فقال عبد الملك : بل العبد ابن العبد والله إبراهيم بن عدي — وكان مغمور النسب في الإسلام — والله لهذا أشرف منه ، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما ، وما أحب أن لي يحيى ألفاً منك . والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما تزعتها منه . ومن زوجه فقد زوج أبني هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجا وتخلف يحيى بعدهما ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، لئنهما قد أنضيا ركابهما وأخلفا ثيابهما والتزما مؤونة في سفرهما ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعوضهما عوضاً ! فقال : أبعد ما قالا فيك ! ! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أعطيك أنت ما سألت لهما وتعطيهما ما شئت . فكساه ووصله وحمله . فخرج يحيى اليهما ففترق ذلك عليهما ، وزوج ابنه سليمان بنت أحدهما ، وولدت بنت زياد منه أولادا . ٢٠

يحيى بن أبي حفصة
بزوج بنت زياد
بن هوزة

(١) الوجناء : الناقة الشديدة . وأنقض القوم : أرموا ، وقيل هلكت أموالهم وفقى زادهم .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني
إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال :

يحيى الوليد بن
عبد الملك ويعزیه

دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بُوع له بالخلافة بعد
أبيه، فهناه وعزاه وأنشده :

إك المنايا لا تغادر واحدا * يمشى بسيرته ولا ذا جنة
لو كان خالق للمنايا مقلتا * كان الخليفة مقلتا منها
بكت المنابر يوم مات وإنما * بكت المنابر فقد فارسه
لما علاه الوليد خليفة * قلن أبنه ونظيره فسكنه
لو غيره قرع المنابر بعده * لنكرته فطرحنه عننه

٥

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العنزي قال :

زوج بنه من بنات
مقاتل المنقرى
فهجاه القلاح فرد
عليه

خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مقاتل بن طلبة بن قيس بن حاصم المنقرى ابنه
وأخته، فأنعم له بذلك. فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتوه بالجفر
فزوجهن بنيه ثلاثهم، ودخلوا بهم ثم حملوهن إلى حجرة. فقال القلاح بن حزن
المنقرى في ذلك :

١٠

سلام على أوصال قيس بن عاصم * وإن كنت رمسا في التراب بواليا
أضيعتموا خيلا عرابا فأصبحت * كواسد لا ينكحن إلا المواليا
فلم أر أربادا أجرا نخزية * والألم مكسوا والألم كاسيا
من الخرز واللائى بحجر عليكم * تسرن فكن الخزيات البواقيا

١٥

(١) أنعم له : أفضل وقال نعم .

(٢) جفر : علم على أسماء مواضع كثيرة . (أنظر معجم البلدان لياقوت في الكلام عليه) .

٢٠

فقال يحيى رد عليه :

أَلَا قَبَحَ اللَّهُ الْفُلَاحَ وَنِسْوَةَ * عَلَى الْبُئْرِ يَعْطِشَنَّ الْكِلَابَ مِنَ النَّثَنِ
نَكَحْنَا بَنَاتِ الْقَرَمِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ * وَعَمَدًا رَغَبْنَا عَنْ بَنَاتِ بَنِي حَزْنٍ
أَبَا كَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْبِكَ أُرُومَةً * وَأَوْسَطَ فِي سَعْدٍ وَأَرْجَحَ فِي الْوَزْنِ
لَيْتَ بَنِي حَزْنٍ مِنَ الذَّلِّ وَهَنَةً * كَوْهَنَةً بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي تَلْنِي
وَلَمْ تَرَ حَزْنِيًّا ، وَلَوْ ضَمَّ أَرْبَعًا * وَأَبْرَزَ ، فِي فَرْجٍ يَعْفُفُ وَلَا بَطْنَ
وَضَيْفُ بَنِي حَزْنٍ يَجُوعُ وَجَارُهُمْ * إِذَا أَمِنَ الْجِيرَانُ نَاءً مِنَ الْأَمْنِ

٣٩
٩

أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروج يزيد بن المهلب ويتأسف على الحجاج :

بذكر خروج ابن
المهلب

لَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا السَّيْفُ إِذْ فُتِنُوا * لَهْفَنِي عَلَيْكَ وَلَا حِجَّاجَ لِلدِّينِ
لَوْ كَانَ حَيًّا غَدَاةَ الْأَزْدِ إِذْ نَكَنُوا * لَمْ يُحِصْ قَتْلَاهُمْ حِسَابُ دِيرِينَ
لَمْ تَأْتِ الْأَزْدُ عِنْدَ الْبَابِ تَرْبُصُهُ * مِثْلَ الْجَرَادِ تَتَرَّى فِي التَّبَايِينِ
مِنْ كُلِّ الْأَفْجِ ذِي حَنْفٍ مُخَالَفَةً * أُرْفَتْ بِهِ السُّفْنُ عَلَجًا غَيْرَ مَجْنُونِ

قال أبو أحمد : وأنشدني ليحيى في سفيان بن عمرو وإلى اليمامة :

لَقَدْ عَصَانِي ابْنُ عَمْرٍو إِذْ نَصَحْتُ لَهُ * وَلَوْ أَطَعْتُ لِمَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ
لَوْ كُنْتُ أَنْفَخُ فِي فِخْمٍ لَقَدْ وَقَدْتُ * نَارِي وَلَكِنْ رَمَادٍ مَالِهِ سَمَمُ

(١) أبرز : اتخذ الأبريز وهو الذهب الخالص يريد بالتخاذ الأبريز كثرة المال .

(٢) تربصه : تنتظره . والتباين : جمع تباين ، وهو سراويل صغير ، فارسي معرب .

(٣) الأفج : ذو الفحج ، يقال رجل أفج وامرأة فحجاء . والفحج هو تداني صدور القدمين وتباعده

العقبين . والحنف : اعوجاج الرجل إلى الداخل . وأرفت السفينة : دنت من الشط . وغير مجنون : غير مغفل ، من جهة الشيء ، إذا ستره يريد طلجا لا شك فيه . (٤) في الأصول : « أطقت » بالقاف وظاهر أنه مصحف عما أبتناه .

بجمل مروان بن
أبي حفصة ونوادير
له في ذلك

ولبجي أشعار كثيرة؛ وإنما ذكرنا ها هنا منها ما ذكرنا لتعرف أعراق مروان في الشعر . وكان مروان أبجل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لاسيما من بني العباس، فإنه كان رستمهم أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم .

أخبرنا أحمد بن عمار قال حدثنا علي بن محمد التوفلي قال سمعت أبي يقول : كان المهدي يعطي مروان وستما الخاسر عطية واحدة ، وكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم ، والسرير والجام المقدوذين ؛ ولباسه الخبز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه ، ويحيى مروان وعليه فرو كيش ، وقيص كرايس وعمامة كرايس ، وخفا بكلي وكساء غليظ من الثياب الرائحة ، وكان لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم إليه ، فإذا قرم أرسل غلامه فأشترى له رأسا فأكله . فقيل له : نراك لا تأكل إلا الرعوس في الصيف والشتاء ، فلم تختار ذلك ؟ قال : نعم ! الرأس أعرف سعره ، ولا يستداع الغلام أن يغتنى فيه ، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ، إن مس عينا أو أذنا أو خذا وقف عليه ، فأكل منه ألوانا ، أكل عيذه لونا ، وأذنيه لونا ، وغلصمته لونا ، وأكفى مؤنة طبخه ، فقد اجتمعت لي فيه مرافق .

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المنقري قل حدثني موسى بن يحيى قال :

أوصلنا الى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع إليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم ، وأودعها يزيد بن مزيد .

(١) المقدوذ : المزين المسوى . (٢) الكرايس : جمع كرايس وهو الثوب الخشن . (٣) البجل : الكثير الصوف من الفراء . (٤) كذا في ١ ، ح . وقرم الى اللحم اشتدت شهوته له . وفي الأصول : « يقدم » بالبدال المهملة وهو تحريف . (٥) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، وقيل رأس الخلقوم يشواره .

•

١٠

١٥

٢٠

٤٠
٩

قال : فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا عليٍّ أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقال . قال فغضب يحيى ثم قال : عليٍّ بمروان ، فأُتي به . فقال له : أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تتبناه من البقال ، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضُر من الفقر لو كان بك .

أخبرنا يحيى قال وحَدَّثني عمر بن شبة عن أبي العلاء المنقري عن موسى بهذا الخبر ، إلا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله لا البخل أسوأ عليك أثرًا من الفقر لو صرت إليه ، فلا تتجمل .

أخبرنا يحيى قال حَدَّثني عمر بن شبة قال :

بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما قَرِحْتُ بشيء قطَّ قَرِحَ بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي ، فوزَّعها فزادت درهما فأشتريت به لحما .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف قال : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة ، فأطعنا تمرًا ، وأرسل غلامه بفلس وسُكَّرجة ليشتري له زيتًا . فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خُتِنْتِي ! قال : من فلس كيف أخونك ! قال : أخذت الفلس لنفسك وأستوهبت الزيت .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التوزي عنه قال :

مرَّ مروان بن أبي حفصة في بعض سفرائه وهو يريد مني بامرأة من العرب فأضافته ، فقال : لله عليٍّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهمًا ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاه أربعة دَوَاق .

٢٠ (١) السكرجة : الصفحة . (٢) كذا في ٢ . وفي ب ، ح ، ص : « وهو يريد مني امرأة » . وفي أ : « وهو يريد مني بامرأة » وكلاهما تحريف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال :

اشترى مروان لحمًا بنصف درهم ، فلما وضعه في القدر وكاد أن ينضج ،
دعاه صديق له ، فردّه على القصاب بنقصان داني . فشكاه القصاب وجعل ينادى :
هذا لحم مروان ، وظنّ أنه يأنف لذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا !
قال : أكره الإسراف .

قصة له مع
أبي الشمقمق

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال :

أنشدت لرجل من بني بكر بن وائل في مروان :

وليس لمروان على العرس غيرة * ولكن مرواناً يغار على القدر .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هيفان قال حدثني يحيى بن الجون العبدى قال :

فرّق المهديّ على الشعراء جوائز ، فأعطى مروان ثلاثين ألفاً . بخاءه أبو الشمقمق
فقال له : أحرزني من الجائزة . فقال له : أنا وأنت نأخذ ولا نُعطى . قال : فأسمع مني
بيتين . قال : هايت . فقال أبو الشمقمق :

لحبة مروان تقي عنبراً * خالط مسكاً خالصاً أذفراً^(١)

فما يُقيمان بها ساعة * إلا يعودان جميعاً نحرًا

فأمر له بدرهمين . وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر بحظّة عن أبي هيفان

فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه : فأعطاه عشرة دراهم ، فقال له خذ هذه
ولا تكن راوية الصبيان .

مدح الهادي
فداعيه في المعجل
والمؤجل ووصله

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني

عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب قال :

(١) الأذفر : الجيد من المسك .

- دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي ، فأنشده قوله فيه :
- تَسَابِهَ يَوْمًا بِأَسِهَ وَنَوَالِهِ * فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لَأَيِّهِمَا الْفَضْلُ
- فقال له الهادي : أَيْمًا أَحَبَّ إِلَيْكَ : أُنْثَاثُورُ أَلْفًا مُعْجَلَةً أَمْ مِائَةُ أَلْفٍ تَدُونُ
فِي الدَّوَاوِينِ ؟ فقال له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تُحَسِّنُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا وَلَكِنَّكَ
تَسِيئَتَهُ ، أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدَّكَرَكَ ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّلْ لِي الثَّلَاثِينَ أَلْفًا
وَتَدُونُ الْمِائَةَ الْأَلْفَ ^(١) فِي الدَّوَاوِينِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : بَلْ يَعْجَلَانِ جَمِيعًا ؛ فَحُمِلَ
الْمَالُ إِلَيْهِ أَجْمَعُ .

٤١
٩

- أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه
قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال :
- اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو محمد اليزيدي عند المهدي ؛ فابتدأ مروان
يُنْشِدُ :

مدح المهدي فلهجته
اليزيدي فاعترض
على سوء أدبه

- * طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ خَفِيَ خِيَالُهَا *
- فقال اليزيدي : لَحْنٌ وَاللَّهِ وَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ . فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : يَا ضَعِيفَ الرَّأْيِ
أَهَذَا لِي يَقَالُ ! ثُمَّ قَالَ :
- * بَيْضَاءُ تَخْلُطُ بِالْجَمَالِ دِلَالُهَا *
- فقال له بعض من حضر : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَكُنِّي فِي مَجْلِسِكَ ! (يَعْنِي الْيَزِيدِي)
فَقَالَ : أَعْذِرُوا شَيْخَنَا ، فَإِنَّ لَهُ حُرْمَةً .

١٥

- أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق
الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد : هَلْ دَخَلْتَ عَلَى
الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ دَخَلْتُ مَعَ عَمُومَتِي إِلَيْهِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ . قَالَ :

سأله الرشيد عن
الوليد بن يزيد
فأجابته

٢٠

(١) فِي الْأَصُولِ الْمِائَةُ أَلْفٌ . (٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهَا مِنْ زِيَادَاتِ النَّسَاخِ .

فذهبتُ أترجح . فقال لي : إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول ، فقل ما شئت . فقلت :
يا أمير المؤمنين ، كان من أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وأجودهم . دخلتُ عليه مع
عمومتى ولى لمةً فينانة ، بفعل يغمز القضيْبَ فيها ويقول : ولدتك سُكْرًا ؟ — وهى أم ولدٍ
لمروان بن الحكم فوهبها بلحدي أبي حفصة فولدت منه — فقلت له : نعم . قال لي
الرشيد : فهل تحفظ من شعره شيئًا ؟ قلت : نعم ، سمعته يُنشد في خلافته وذكر
هشامًا وتحملة عليه وما كان يريد من نقض أمره وولايته :

ليت هشامًا عاش حتى يرى * مكتله الأوفر قد أترعا
كلنا له الصاع التي كلما * وما ظلمناه بها أصوعا
وما أتينا ذاك عن يدعة * أحله الفرقان لي أجمعا

فقال الرشيد : يا غلام ، الدواة والقرطاس ، فأتي بهما ، فأمر بالأبيات فكتبت .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر المهلبى قالَا حدثنا
عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال :

فضل خلف الأحمر
شهراله على شعر
للأعشى

جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس ، فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه ،
وأخذ خلف بيدي فقمنا إلى دار أبي عمير بجلستا في الدهليز . فقال مروان لخلف :
نشدتك الله يا أبا محرز إلا نصحتني في شعري فإن الناس يُخدعون في أشعارهم ،
وأنشده قوله :

طرتك زائرة خي خيالها * بيضاء تخط بالجمال دلالها

فقال له : أنت أشعر من الأعشى في قوله :

* رحلت سمية غدوة أجمالها *

(١) كذا بالأصول ولعله « وهيا » . (٢) المكمل : زيل يعمل من الخوص يحمل فيه
التروغيره يسع خمسة عشر صاعا . (٣) في ج : « ابن عمير » .

فقال له مروان : أتبلغ بي الأعشى هكذا ! ولا كُلُّ ذا ! قال : ويحاه ! إن
الأعشى قال في قصيدته هذه :

* فأصاب حبة قلبها وطحأها *

والطحأ ما دخل قط في شيء إلا أفسده ، وأنت قصيدتك سليمة كلها . فقال له
مروان : إنى إذا أردت أن أقول القصيدة رفعتها في حول ، أقولها في أربعة أشهر ،
وأنتخلها في أربعة أشهر ، وأعيرُها في أربعة أشهر .^(١)

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن
محمد بن سلام قال أبو دلف هاشم بن محمد وحدثني به الرياشي عن الأصمعي قال :

عرض شعرا له على
يونس فدحه وفضله
على شعر للأعشى

٤٢
٩

جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس ، فسلم ثم قال لنا : أيكم يونس ؟ فأومأنا
إليه . فقال له : أصلحك الله ! إنى أرى قوماً يقولون الشعر ، لأن يكشف أحدهم سوءته
ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر . وقد قلتُ
شعرا أعيرُ به عليك ، فإن كان جيدا أظهرته ، وإن كان رديئا سترته . فأنشده قوله :

* طرقتك زائرة غنى خيالها *

فقال له يونس : يا هذا اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله :

١٥ * رحلت سمية غداة أجمأها *

فقال له مروان : سررتني وسؤتني . فأما الذى سررتني به فأرتضاؤك الشعر . وأما الذى
ساءنى فتقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله . فقال : إنما قدمتك عليه في تلك
القصيدة لا في شعره كله لأنه قال فيها :

* فأصاب حبة قلبها وطحأها *

٢٠ والطحأ لا يدخل في شيء إلا أفسده ، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه .

(١) في الأصول : « أنتخلها » بالحاء المهملة وهو تصحيف .

قال الأصمعي إنه
مولد ولا علم له
باللغة

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال :

سمعت الأصمعي ذكر مروان بن أبي حفصة فقال : كان مولداً ، لم يكن له
علم باللغة .

أنشد شعر جماعة
من الشعراء فقال
عن كل واحد منهم
إنه أشعر الناس

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عبيد الله عن العتيبي قال ، حدثني
بعض أصحابنا قال :

أنشدنا مروان بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زهير والله أشعر
الناس ، ثم أنشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أنشد شعراً
لامرئ القيس فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناس والله أشعر
الناس . أي إن أشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد ، حتى ينتقل إلى
شعر غيره .

اشترى من أعرابي
شعراً مدح به
مروان بن محمد
فدح هو به معن
ابن زائدة فأكرمه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوقلي قال حدثني
أبي قال :

اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُنشد قوماً
كان جالسا إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وإنه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشد
إياه ، أوَّلُه :

مروانُ يا بنَ محمدِ أنت الذي * زيدت به شرفاً بنو مروانِ

فأعجبته القصيدة ، فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني
سمعت قصيدتك وأعجبني ، ومروان قد مضى ومضى أهله وفاتك ما قدرتمته عنده ؛
أتبغني القصيدة حتى أتتجملها ، فإنه خير لك من أن تبقي عليك وأنت فقير؟ قال نعم .
قال : بكم؟ قال : بثلاثمائة درهم . قال : قد آبتعتها ، فأعطاه الدراهم وحلَّفه بالطلاق

(١) في ج : « ما قدرته » .

ثلاثاً وبالأيمان المخرجة ألا يتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينشسها،
وأنه رف بها إلى منزله، فغير منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:
معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفاً إلى شرف بنو شيبان
وفد بها إلى معن بن زائدة فلأ يديه، وأقام عنده مدة حتى أئثرى وآتست حاله.
فكان معن أول من رفع ذكره ونوه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة
ومراتب حنة.

- أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني
محمد بن نعيم البلخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال:
كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالا؛ فحدثني
معن بن زائدة باليمن أنه اضطُرَّ لشدة الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوحت
وجهه، وخفف عارضيه ولحيته، وليس جبة صوف غليظة، وركب جملاً من الجمال
النقالة ليضى إلى البادية فيقيم بها، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة
بلاء حسناً غاظ المنصور وجد في طلبه. قال معن: فلما خرجت من باب حرب
تبعني أسود متقلداً سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه
وقبض عليّ؛ فقلت له: مالك؟ قال: أنت طليبة أمير المؤمنين. قلت: ومن أنا حتى
يطلبني أمير المؤمنين! قال: معن بن زائدة. فقلت: يا هذا أتق الله! وأين أنا من معن!
قال: دُع هذا عنك فأنا والله أعرف به منك. فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول

نقل قصة فرار معن
وأن عبداً أسود
أطلقه تكريماً بعد
ما عرفه

٤٣
٩

- (١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد أحد رجالات بني أمية وفرسانهم وولاتهم، أبلى مع مروان
ابن محمد في الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٢ هـ (انظر الكلام عليه في الطبري ق ٢
ص ١٣٦٣، ١٣٧٢، ١٩١٣ - ١٩١٦، ق ٣ ص ٦١ - ٧٣).
(٢) موضع يقداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخي ويعرف بالراوندي أحد قواد أبي جعفر المنصور.
(انظر معجم البلدان لياقوت في الكلام على الحربية).

فهد: الجوهر حمله معي بقي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذ
ولا تسفك دمي . قال : هاته فأخرجته اليه ؛ فنظر اليه ساعة وقال : صدقت في قبضته ،
ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقك . فقلت : قل .
قال : إن الناس قد وصفوك بالحدود ، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله ؟
قلت لا . قال : فنصفه ؟ قلت لا . قال : فثلثه ؟ قلت لا . حتى بلغ العشر
فأستحييت فقلت : أظن أني قد فعلت هذا . فقال : ما أراك فعلته ! أنا والله
راجل ، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير ،
وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولحدودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أن
في الدين أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ولتخبر بعد هذا كل شيء تفعله ، ولا
تتوقف عن مكرومة . ثم رمى بالعقد في حجرى وخلق خطام البعير وأنصرف . فقلت :
يا هذا قد والله فضحتني ، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت ، فخذ ما دفعته إليك فإنني
غني عنه فضحك ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، والله لا أخذه ولا آخذ
بمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد لعلته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به
ما شاء فما عرفت له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعتة .

سبب رضا المنصور
عن معن بن زائدة

قال : وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستتراً حتى كان يوم
الهاشمية^(١) ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثب معن وهو مثلم فانتضى
سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً ، وذب القوم عنه حتى نجا وهم يُحاربونه بعداً ،

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالكوفة . وذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستم
بناؤه وجعله مدينة وسماها الهاشمية . فلما توفي دفن بها . واستخلف المنصور فزها واستم بناء كان بقى فيها
وزاد فيها ما أراد . وكانت فيها وقعة بين أبي جعفر المنصور والراونية ، وهم قوم يقولون بتناسخ الأرواح
ويزعمون أن روح آدم حلت في أحد رجال المنصور ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو
أبو جعفر المنصور وأن الهيثم بن معاوية جبريل . (راجع معجم البلدان لياقوت وتاريخ الطبري ٣
ص ١٢٩ ، ١٣١) .

٥

١٠

١٥

٢٠

ثم جاء والمنصور راجعاً على بغلة ولجامها بيد الربيع، فقال له: تَنَحَّ فَإِنِّي أَحَقُّ بِالْجَمَامِ مِنْكَ فِي هَذَا الْوَقْتُ وَأَعْظَمُ فِيهِ غَنَاءً. فقال له المنصور: صَدَقَ فَأَدْفَعُهُ إِلَيْهِ؛ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى أَنْكَشَفَتْ تِلْكَ الْحَالُ. فقال له المنصور: مَنْ أَنْتَ اللَّهُ أَبُوكَ؟ قال: أَنَا طَلَبْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ. قال: قَدْ أَمَّنَكَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَمِثْلَكَ يُصْطَنَعُ. ثم أَخَذَهُ مَعَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَبَاهُ وَزَيْنَهُ، ثُمَّ دَعَا بِهِ يَوْمًا وَقَالَ لَهُ: إِتْنِي قَدْ أَمَلْتُكَ لِأَمْرٍ، فَكَيْفَ تَكُونُ فِيهِ؟ قال: كَمَا يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — قال: قَدْ وَلَّيْتُكَ الْيَمْنَ، فَأَبْسُطِ السِّيفَ فِيهِمْ حَتَّى تُبْقِضَ حِلْفُ رُبِيعَةَ الْيَمَنِ — قال: أُبَلِّغُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَوَلَّاهُ الْيَمْنَ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا فَبَسَطَ السِّيفَ فِيهِمْ حَتَّى أَسْرَفَ.

قال مروان: وَقَدِمَ مَعْنُ بِعَقِبِ ذَلِكَ فَدَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ بَعْدَ كَلَامِ طَوِيلٍ: قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ شَيْءٌ لَوْ لَا مَكَانُكَ عِنْدَهُ وَرَأْيُهُ فَيْكَ لَغَضِبَ عَلَيْكَ. قال: وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَوَاللَّهِ مَا تَعَرَّضْتُ لَكَ مِنْكَ، قَالَ: إِعْطَاؤُكَ

ماتب المنصور معنا
على إكرامه له
فأجابه إنما أكرمه
للدخه هو

مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك:

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ * شَرْقًا إِلَى شَرْفِ بَنُو شَيْبَانَ

إِنِّ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا * يَوْمَاهُ يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طِعَانِ

فقال: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أُعْطِيْتُهُ مَا بَلَغَكَ لِهَذَا الشَّعْرِ، وَإِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ لِقَوْلِهِ:

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعْلِمًا * بِالسِّيفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فَمَنْعَتَ حَوَزَتَهُ وَكَنْتَ وِقَاءَهُ * مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنْدٍ وَسِنَانِ

فَاسْتَحْيَا الْمَنْصُورُ وَقَالَ: إِنَّمَا أُعْطِيْتُهُ مَا أُعْطِيْتُهُ لِهَذَا الْقَوْلِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!

وَاللَّهِ لَوْ لَا خِيفَةُ النَّقْمَةِ عِنْدَكَ لَأَمْكَنَتْهُ مِنْ مِفَاتِيحِ بَيْوتِ الْأَمْوَالِ وَأُبْحَتُهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ

المنصور: اللَّهُ دُرُّكَ مِنْ أَعْرَابِيٍّ! مَا أَهْوَنَ عَلَيْكَ مَا يَعْزُّ عَلَى الرِّجَالِ وَأَهْلُ الْحَزْمِ!

أسبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله
ابن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن
الربيع قال :

مدح المهدي فرده
لمدحه معنائهم مدحه
العام المقبل فأجازه
مائة ألف درهم

رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة
في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره ، فأنشده مديحاً فيه ، فقال له : ومن
أنت ؟ قال : شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة . فقال له
المهدي : ألسنت القائل :

أَقْنَا بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ مَعْنٍ * مُقَامًا لَا تُرِيدُ بِهِ زَوَالَا

وَقُلْنَا أَيْنَ نَزَحَلْ بَعْدَ مَعْنٍ * وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَانَوَالَا

قد ذهب النوال فيما زعمت ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جروا برجله ؛
بفجروا برجله حتى أخرج . قال : فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع
الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة - فمثل بين
يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ خَفِيَّ خِيَالَهَا * بَيْضَاءُ تُخِلِّطُ بِالْجَمَالِ دِلَالَهَا ^(١)

قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا * قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالَهَا

قال : فأنصت الناس لها حتى بلغ الى قوله :

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمَومَهَا * بِأَكْفَمِكُمْ أَوْ تَسْتَرُونَ هَلَالَهَا

أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةً عَنْ رَبِّكُمْ * جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا

شَهِدْتُ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ ^(٢) * بُرَايَهُمْ فَأَرَدْتُمْ لِبَطَالَهَا

(١) في هذا الموضع : « بالحياه » .

(٢) يريد قوله تعالى : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا
الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم » .

قال : فرأيت المهديّ قد زحف من صدر مُصلّاه حتى صار على البساط إعجاباً بها
سمع ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول
مائة ألف درهم أُعطيت شاعرٌ في أيام بني العباس .

قال : ومضت الأيام ووليّ هارون الرشيدُ الخلافة ، فدخل إليه مروان ، فرأيتُه واقفاً
مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها . فقال له : من أنت ؟ قال : شاعرُك وعبْدُك
يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة . قال له : ألسنتُ القائل في معن بن زائدة ! وأنشده
البيتين اللذين أنشده إياهما المهديّ ، ثم قال : خذوا بيده فأخرجوه ، لا شيء لك عندها ،
فأخرج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطّف حتى دخل ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

لَعَمْرُكَ مَا أَتَسَى غَدَاةَ الْمُحْصَبِ * إِشَارَةَ سَامِي بِالْبَنَانِ الْمُخْضَبِ

٤٥
٩

وقد صدر الججاجُ إلّا أقلّهم * مصادر شتى موكباً بعد موكب

قال : فأعجبته ، فقال : كم قصيدتُك من بيت ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر
له بعدد أبياتها ألّوفا . فكان ذلك رَسَمَ مروانَ عندهم حتى مات .

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيديّ عن إسحاق قال :

مدح المهديّ في
الرصافة فأجازه

دخل مروان بن أبي حفصة على المهديّ في أوّل سنة قَدِم عليه . قال :

فدخلتُ عليه في قصره بالرّصافة فأنشدته قولي فيه :

أَمَرُّ وَأَحْلَى مَا بَلََا النَّاسَ طَعْمُهُ * عَذَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ

فإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مَنْ أَنْتَ مُطْلَقٌ * وَإِنَّ قَتِيلَ اللَّهِ مَنْ أَنْتَ قَاتِلُهُ

كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَحْدَا * أَبُو جَعْفَرٍ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحَاوِلُهُ

قال : فأعجب بها ، وأمر لي بمال عظيم ؛ فكانت تلك الصلّة أوّل صلّة سَنِيّة وصلتُ

إليّ في أيام بني هاشم .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال
حدثني محمد بن عبد الله العبدى الراوية قال حدثني حسين بن الضحالك قال حدثني
مروان بن أبي حفصة قال :

مدح المهدي
وذم عنده يعقوب
ابن داود فأجازه
من خالص ماله

دخلت على المهدي^(١) في قصر السلام، فلما سلمت عليه، وذلك بعقب سخطه
على يعقوب بن داود^(٢)، قلت : يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافضى وإنه
سمعى أقول في الورثة :

أنى يكون وليس ذاك بكائى * لبني البنات وراثته الأعمام
فذلك الذى حمّله على عداوتى . ثم أنشدته :

كأن أمير المؤمنين محمداً * لأفنه بالناس للناس والد
على أنه من خالف الحق منهم * سقته بدالموت الختوف الرواصد
ثم أنشدته :

أحيا أمير المؤمنين محمد * سنن النسي حرامها وحلاها
قال فقال لى المهدي : والله ما أعطيك إلا من صلب مالى فأعذرني ، وأمر لى
بثلاثين ألف درهم ، وكسانى جنة ومطرقاً ، وفرض لى على أهل بيته ومواليه
ثلاثين ألفاً أخرى .

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال
حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وقد على معن بن زائدة
فأنشده قوله :

مدح معنا فأعطاه
عطايأ سنية لم
يستكثرها عليه
ابن الأعرابي

(١) كذا في الأصول . والذي في كتابي ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه ومعجم البلدان لياقوت
أن قصر السلام من أبنية الرشيد بن المهدي بالرقّة . والذي بناء المهدي هو قصر السلامة وهو القصر الذى بناه
بالآجر في عيساباذ الكبرى (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ٥٠٢ ، ٥١٧) (٢) هو يعقوب بن داود
السلوى ، كان وزيراً للمهدي ثم غضب عليه وسجنه في المطبق وما زال به حتى أيام هارون الرشيد . وقد ذكره
أبو الفرج في ترجمة بشار بن برد في الأغاني (ج ٣ من هذه الطبعة) . (٣) في الأصول : « فقلت » .

٥

١٠

١٥

٢٠

بنو مطير يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في بطن خفان أشبر^(١)
 هم يمتعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
 لهم^(٢) في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول
 هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجاؤا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
 ولا يستطيع الفاعلون فعالمهم * وإن أحسنوا في النابيات وأجملوا

قال : فأمر لي بصلة سنية وخلع عليّ وحملي وزودني . قال ثم قال لنا ابن الأعرابي :
 لو أعطاه كل ما يملك ما وفاه حقه . قال : وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء ،
 وما دون لأحد بعده شعرا .

٤٦
٩

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن
 موسى بن حمزة قال :

سئل عن جرير
 والفرزدق أيهما
 أشعر فأجاب بشعر

رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زبيدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير ،
 فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر ، فقال لي : قد سئلت عنهما في أيام المهدي
 وعن الأخطل قبل ذلك ، فقلت فيهم قولا عقدته في شعر ليثبت . فسألته عنه فأنشدني :

ذهب الفرزدق بالهجاء وإئما * حلو القريض ومرة لجرير
 ولقد هجا فأمض أخطل تغليب * وحوى النهي ببيان المشهور
 كل الثلاثة قد أجاد فسدحه * وهجاؤه قد سار كل مسير
 ولقد جريت فقت غير مهلل^(٣) * بجراء لا قريف ولا مهور^(٤)
 إني لآنف أن أحبر مدحة * أبدا لغير خليفة ووزير
 ما ضرتني حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

قال : فلم ير أن يقدم على نفسه غيرها . وكتبت الأبيات عن فيه .

(١) خفان كحسان : موضع كثير الفياض قرب الكوفة وهو مأسدة . (٢) اللهايم : جمع
 لهميم وهو السابق الجواد . (٣) هلال الرجل : جبن وقز . (٤) القرف : الشد يد الحجرة
 ولعله يعني به الهجين .

مدح معنا فسأله
عن أمه فأعطاه
إياه واستقله له

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثني أبو حاتم السَّجِسْتَانِي قال حدثني العَنَسِي قال :

لَمَّا قَدِمَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ مِنَ الْيَمَنِ ، دَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَالْمَجْلِسُ غَاصُّ بِأَهْلِهِ ، فَاخَذَ بَعْضَادُنِي ^(١) الْبَابَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَمَا أَتَجَمُّ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً * عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا
لَهُ رَاحَتَانِ الْجُودُ وَالْحَتْفُ فِيهِمَا * أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْتَ تَضُرُّ وَتَنْقَعَا

قَالَ فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : احْتَكِمْ ، قَالَ : عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٌ . فَقَالَ مَعْنُ : رَبِّحْنَا عَلَيْكَ تِسْعِينَ أَلْفًا . قَالَ : أَقِلْنِي . قَالَ : لَا أَقَالَ اللَّهُ مِنْ يُقِيلُكَ .

رمى محرز معنا بالنظم
فرد عليه بما أنجله

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال :

لَمَّا قَدِمَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ مِنَ الْيَمَنِ اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ ، وَتَلَقَّاهُ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً يَهْنِئُهُ فِيهَا بِقُدُومِهِ وَبِرَأْيِ الْمَنْصُورِ فِيهِ ، وَتَلَقَّاهُ فِيمَنْ تَلَقَّاهُ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَرِّزٌ ^(٣) بِفَعْلٍ يَقُولُ لَهُ : سَقَكْتَ الدَّمَاءَ ، وَظَلَمْتَ النَّاسَ ، وَتَعَدَّيْتَ طَوْرَكَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَى مَعْنٍ آتَيْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا مُحَرِّزُ أَخْبِرْنِي بِأَيِّ خُفْيِكَ تَضْرِبُ الْيَوْمَ : أَابَ السُّبَايَ أَمْ بِالْثُّمَانِي ؟ قَالَ : فَأَنْقَطِعَ وَسَكَتَ تَجَمُّلاً .

وَدَخَلَ مَعْنُ عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ قَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ ، أُعْطِيتَ آهِنَ حَفْصَةَ مِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ عَنْ قَوْلِهِ فِيكَ :

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ * شَرْقًا إِلَى شَرْفِ بَنُو شَيْبَانَ
فَقَالَ لَهُ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! بَلْ أُعْطِيتَهُ لِقَوْلِهِ :

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعَلِّمًا * بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
فَاسْتَحْيَا الْمَنْصُورُ مِنْ تَهَجُّجِهِ إِيَّاهُ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا مَعْنُ فِي فَعْلِكَ .

(١) عضاداتا الباب : خشبته من جانيه . (٢) البقية : الإبقاء .

(٣) هو أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية . انظر

الكلام عليه في الطبري (ق ٢ ص ١٩٥٥ - ١٩٥٧) .

أخبرني الحسن بن عليّ المصري قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرِيَه قال
حدثني عليّ بن ثور قال حدثني أبو العباس العَدَوِيّ قال :

ترك يحيى بن منصور
الشعر فلما منع بكرم
معن مدحه وقال
مروان في ذلك
شعرا

لَمَّا وَلِيَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الْيَمَنَ كَانَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الذُّهْلِيُّ قَدْ تَنَسَّكَ وَتَرَكَ
الشعر . فلما بلغته أفعال مَعْنُ وَقَدْ إِلَيْهِ وَمَدَحَهُ ، فَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

لَا تَعْدَمُوا رَاحَتِي مَعْنُ فَإِنَّهُمَا * بِالْجُودِ أَقْتَنَّا يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ
لَمَّا رَأَى رَاحَتِي مَعْنُ تَدْفُقُنَا * بِنَائِلٍ مِنْ عَطَاءٍ غَيْرِ مَنُورٍ^(١)
أَلْقَى الْمُسُوحَ الَّتِي قَدْ كَانَ يَلْبَسُهَا * وَظَلَّ لِلشَّعْرِ ذَا رَصْفٍ وَتَحْيِيرٍ

٤٧
٩

أخبرني محمد بن مَرْزُودٍ وَعِيسَى بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ :

تزوجت امرأة من
أهله في بني مطر
فلم يرضهم
وقال شعرا

١٠ ورد علي مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله
تزوجت في قوم لم يَرْضَ صَهرهم يقال لهم بنو مطر ؛ فقال في ذلك لأخيها :
لَوْ كُنْتُ أَشْبَهْتَ يَحْيَى فِي مَنَاحِكِهِ * لَمَّا تَنَقَّيْتَ فَحَلًّا جَدُّهُ مَطَرُ
لِلَّهِ دَرَجِيَادُ كُنْتُ سَائِسَهَا * ضِيْعَتَهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغُرَرُ
نُبِئْتُ خَوْلَةً قَالَتْ يَوْمَ أَنْكَحَهَا * قَدْ طَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارَ أَنْتَظِرُ

١٥ أخبرني الحسن بن عليّ الخَطَّافُ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِحَدَّانٍ^(٢)
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَيْهَمِ الْحَنْفِيِّ قَالَ :

تهكم بالحنى الشاعر
فهجاء ولم يعف
عنه حتى حقره

مَرَّ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ بِرَجُلٍ مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يُعْرَفُ بِالْحَنْفِيِّ ؛ فَقَالَ لَهُ
مَرْوَانُ : زَعَمُوا أَنَّكَ تَقُولُ الشَّعْرَ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ عَرَّفْتُكَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ :
مَا أَنْتَ وَالشَّعْرُ ، مَا أَرَى ذَلِكَ مِنْ طَرِيقَتِكَ وَلَا مَذْهَبِكَ وَلَا تَقُولُهُ ! فَقَالَ الْحَنْفِيُّ :
أَجْلِسْ وَاسْمَعْ بِخُلْسٍ ؛ فَقَالَ الْحَنْفِيُّ يَهْجُوهُ :

٢٠

(١) يقال : أعطاه عطاء غير منزود : إذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفوا .

(٢) مسمى بحدان وحدان بضم أوله وفتح هـ .

تَوَيَّ اللُّؤْمُ فِي الْعَجَلَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً * وَفِي دَارِ مَرْوَانَ تَوَيَّ آخِرَ الدَّهْرِ
غَدَا اللُّؤْمُ بَيْنِي مَطْرَحًا لِحَالِهِ * فَتَقَبَّ فِي بَرِّ الْبِلَادِ وَفِي الْبَحْرِ
فَلَمَّا أَتَى مَرْوَانَ خِيَمَ عِنْدَهُ * وَقَالَ رَضِينَا بِالْمُقَامِ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَيْسَتْ لِمَرْوَانَ عَلَى الْعَرْسِ غَيْرَةٌ * وَلَكِنْ مَرْوَانًا يَفَارُ عَلَى الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : نَاشِدْتُكَ اللَّهَ إِلَّا كَفَفْتَ ، فَأَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ . خَلَفَ الْخَنِيَّةَ
بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّهُ لَا يَكْفُفُ حَتَّى يَصِيرَ إِلَيْهِ بِنْفَرٍ مِنْ رُؤَسَاءِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ
بِحَضْرَتِهِمْ : قَاقٍ فِي أَسْتَى بَيْضَةٍ . فَجَلَبَهُمْ إِلَيْهِ مَرْوَانُ وَفَعَلَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
جَدَى يُحْيِي بَنَ الْأَيْهَمِ ، فَأَنْصَرَفُوا وَهُمْ يَضْحَكُونَ مِنْ فَعْلِهِ .

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ
زَيْدِ الدَّوْسِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلَمَ بْنِ قُتَيْبَةَ الْبَاهِلِيِّ
قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ بْنُ قَطَنٍ بْنُ قَيْبِصَةَ بْنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ قَالَ :
لَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ وَفَدَتِ الْعَرَبُ عَلَى مُوسَى يَهْتَنُونَ بِالْخِلَافَةِ وَيَعُزُّونَهُ عَنْ
الْمَهْدِيِّ ؛ فَدَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فَأَخَذَ بَعْضَادَتِي الْبَابِ ثُمَّ قَالَ :
لَقَدْ أَصْبَحْتُ تَحْتَالَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * بِقَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَقَابِرُ
وَلَوْ لَمْ تُسَكَّنْ بِأَبْنِهِ فِي مَكَانِهِ * لَمَّا بَرَحْتَ تَبْكِي عَلَيْهِ الْمَنَابِرُ
قَالَ نَفَرَ جِ النَّاسِ بِالْبَيْتَيْنِ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَةَ قَالَ حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ قَالَ :
مَرِضَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَقَدْ أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ
فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
صَحَّ الْجَسْمُ يَا عَمْرُو * لَكَ التَّمَجِيسُ وَالْأَجْرُ

عزى الهادي
في المهدي بيتين
تناقلاهما الناس

مدح عمرو بن
مسعدة في مرضه

ولله علينا الحمد * دُ والمِنَّةُ والشكر

فقد كانت شكا شوقاً * إليك النّهي والأمر

قال فنحنا نحوه مُسلم بن الوليد فقال :

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم * نفسى الفداء له من كل محذور

يا ليت عاتيه بى غير أن له * أجر العليل وأنى غير مأجور

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنى رجل من بنى سليم فى مسجد الرضاة قال أخبرنى مروان بن أبى حفصة قال :

راى الغول فى بعض
سفراته ففزع

وفدت فى ركب إلى الرشيد فصرنا فى أرض موحشة فقير ، وجن علينا الليل فسرنا لنقطعتها ، فلم نشعر إلا بامرأة تسوق بنا إبلنا وتحذو فى آثارنا ، فاذا هى الغول . فلما لاح الفجر عدلت عنا وأخذت عرضا وجعلت تقول :

يا كوكب الصبح إليك عني * فلست من صبح وليس منى

قال : فما أذكر أنى فزعت من شىء قط فزعى ليلئذ .

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنى محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثنى على بن الحسن الكوفى قال حدثنى محمد بن يحيى بن أبى مُرة التغلبى قال :

عارضه التغلبى
فى شعره فى ورائة
بنى العباس

مررت بجمعفر بن عَقَّان الطائى يوما وهو على باب منزله ، فسلمت عليه ، فقال لى : مرحباً يا أخا تغلب ، اجلس بخلصت . فقال لى : أما تعجب من ابن أبى حفصة لعنه الله حيث يقول :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبنى البنات ورائة الأعمام

فقلت بلى والله لانى لا تعجب منه وأكثر اللعن له ، فهل قلت فى ذلك شيئاً ؟ فقال : نعم قلت :

(١) المرض : الناحية .

لم لا يكون وإن ذاك لكائن * لبني البنات وراثته الأعمام
 للبنات نصف كامل من ماله * والعلم متروك بغير سهام
 ما للطليق وللثراث وإتما * صلى الطليق خافة الصمصام

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي
 قال حدثني صالح بن عطية الأصبجيم قال :

لازمه صالح بن
 عطية الأصبجيم أيا ما
 ثم قتله

لما قال مروان :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثته الأعمام
 لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أى وقت أمكنني ذلك ، وما زلت ألاحظه
 وأبره وأكتب أشعاره ، حتى خُصصتُ به ، فأنس بى جداً ، وعرفت ذلك بنو حفصة
 جميعاً فأنسوا بى ، ولم أزل أطلب له غيرة حتى مرض من حمى أصابته ، فلم أزل
 أظهر له الجزع عليه والألزمه والأطفه ، حتى خلا لى البيت يوماً فوثبت عليه فأخذت
 بحلقه فما فارقتة حتى مات ، فخرجت وتركته ، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً ،
 وأرتفعت الصيحة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دُفن ، وما فطن
 بما فعلت أحد ولا أتهمنى به .

١٥

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأمه ^(١) شكلة . ويكنى أبا إسحاق . وشكلة أمه
 مولدة ، كان أبوها من أصحاب المازيار ، يقال له شاه أفزند ، فقتل مع المازيار
 وسُيِّت بنته شكلة ، فحُمِلت إلى المنصور ، فوهبها لمحيية أم ولده فربتها وبعثت بها
 إلى الطائف فنشأت هناك وتفصّحت ، فلما كبرت ردت إليها . فراها المهدي

نشاته ونسب أمه
 شكلة
 ٤٩
 ٩

(١) ضبط في القاموس بالقلم يفتح أوله . وفي الطبري يفتح أوله وكسره .

عندها فأعجبته ، فطلبها من حَيَاة فأعطته إياها ، فولدت منه إبراهيم . وكان رجلاً عاقلاً
 فهِمَا دِينًا^(١) أديبًا شاعرًا راويةً للشعر وأيام العرب خطيبًا فصيحًا حسنَ العارضة .
 وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس :
 رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . فقيل له : مع ما تبدل له من الغناء ؟ فقال :
 وهل تم فضله إلا بذلك ! . حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه .
 وكان أشد خلق الله إعظامًا للغناء ، وأحرصهم عليه ، وأشدّهم منافسةً فيه . وكانت
 صنعتُه لينةً ، فكان إذا صنع شيئاً نسبته إلى شارية وريق ، لثلاث يقع عليه فيه طعن
 أو تقييع ، فقلتُ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شيء
 قال : إنما أصنع تطريباً لا تكسباً ، وأغنى لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتي . وكان
 حسنُ صوته يسترعوأر ذلك كله . وكان الناس يقولون لم ير في جاهلية ولا إسلام
 أخ وأخت أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته علية . وكان يماظ^(٢) إسحاق
 ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يقى به ، ولا يزال إسحاق يغلبه ويغضبه بزيّنه ويغض
 منه بما يظهر عليه من السقطات ويبيته من خطئه في وقته وعجزه عن معرفة
 الخطأ الغامض إذا مرّ به ؛ وقصيره عن أداء الغناء القديم فيفضّحه بذلك . وقد
 ذكرتُ قطعة من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكرها هنا ما لم أذكر هناك .

مدحه إسحاق
الموصلي

كان ينسب
ما يصنع لشارية
وريق جاريته

كان ينازع إسحاق
ويجادله وجرّت
بينهما مناظرات
في الغناء

ومّا خالف إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله على إسحاق فيه : الثقيلان
 وخفيفهما ؛ فإنه سمي الثقيل الأول وخفيفه الثقيل الثاني وخفيفه ، وسمي الثقيل
 الثاني وخفيفه الثقيل الأول وخفيفه ؛ وجرّت بينهما في ذلك مناظرات ومجادلات
 ومراسلة ومكاتبة ومشافهة ، وحضرهما الناس ، فلم يكن فيهم من يقي بفصل

(١) هذه الكلمة ليست في ج . (٢) يماظ : ينازع . (٣) في الأصول : « وقت » .

ما بينهما: والحكم لأحدهما على صاحبه . ووضع لذلك مكاييل لتعرف بها أقدار الطرائق ، وأمسك كل واحد منهما إلى آخر أقداره ، فلم يصح شيء يعمل عليه ، إلا أن قول إبراهيم بن المهدي أضحل وبطل وترك ، وعمل الناس على مذهب إسحاق ؛ لأنه كان أعلم الرجلين وأشهرهما . وأوضح إسحاق أيضًا لذلك وجهها فقال : إن الثقل الأول يميء منه قدران ، الثقل الأول التأم ، والقدر الأوسط من الثقل الأول ، وجميعًا طريقته واحدة لا تساعه والتمكن منه ، والثقل الثاني لا يميء هذا فيه ولا يقاربه . والثقل الأول يمكن الإدراج في ضربه لثقله ، والثقل الثاني لا يندرج لنقصه عن ذلك . ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتها في أخبارهما ، وشرحت العلل مبسوطة في كتاب الفقه في النعم شرحًا ليس هذا به ضعه ولا يصلح فيه . وأما التجزئة والقسمه فإني أعمارهما في تنازعهما فيهما ، حتى كان يمضي لهما الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمه وتجزئة صوت واحد فيه ، وحتى كانا يخرجان إلى كل قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعًا وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته :

٥٠
٩

حيًا أم يعمرا * قبل شخط من النوى

لم يفصل بينهما فيها إلى أن أفتقا . ولو ذهبت إلى ذكر ذلك وشرح سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقصصه لما ولي الخلافة وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسن البيان ، وجودة الشعر ، ورواية العلم ، والمعرفة بالحدل ، وجزالة الرأي ، والتصرف في الفقه واللغة ، وسائر الآداب الشريفة ، والعلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأطلت . وإنما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها ، لاسيما لمن كثرت الروايات والحكايات عنه ؛ فلذلك أقتصرت على ما ذكرته من أخباره دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل .

(١) لعله : وضع كلاهما أو كل منهما أو نحو ذلك .

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جدهم حماد بن المهدى عن نفسه في صنعة الغناء

ابن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدى :
لولا أنني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يروا قبلي مثلي .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم ابن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدى عن أبيه قال :
دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة خمار ، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي . فقال : بحياتي يا إبراهيم غني . فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفضلة فغنيت :
عني الرشيد وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي فأطرباه

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق
فيسمعت إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطقت لما أكلنا خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقت . فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت :
خذنا في حقكما ودعنا باطلنا .

نسبة هذا الصوت

١٥

صوت

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألد من الخيال الطارق
إنت البلية من تمل حديثه * فأنقع فؤادك من حديث الوامق
أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل * مذ بنت قلبي كالجناح الخافق

(١) رواية الديوان : « أسرى بخالدة الخ »

(٢) في ديوان جرير : « يمل » بالبناء المجهول .

٢٠

طَرَبًا إِلَيْكَ وَلَمْ تُبَالِي حَاجَتِي * لَيْسَ الْمَكَاذِبُ كَالْخَلِيلِ الصَّادِقِ^(١)
الشعر لحرير . والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو .

أَخْبَرَنِي بِحُظَّةٍ قَالَ أَخْبَرَنِي هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي ،
وَحَدَّثَنِي الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَبَّةُ اللَّهِ — وَلَمْ يَذْكُرْ عَنْ
أَبِيهِ — قَالَ : ٥٥

كَانَ الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ أَبِي . وَقَالَ بِحُظَّةٍ عَنْ هَبَّةِ اللَّهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانَ
الرَّشِيدُ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَني ، فَنَحْلَا بِمَرَّاتٍ إِلَى أَنْ سَمِعَنِي . ثُمَّ حَضَرَتْهُ مَرَّةً وَعِنْدَهُ
سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَالَ لِي : عَمَّكَ وَسَيِّدُ وَلَدِ الْمَنْصُورِ بَعْدَ أَبِيكَ وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ
يَسْمَعَكَ ، فَلَمْ يَتْرَكْنِي حَتَّى غَنَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ :

إِذْ أَنْتِ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةً * وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادَرًا رَسَيْنِي ١٠

٥١
٩

فَأَمَرَنِي بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي لَيْلَةً وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى :
أَنَا أَحَبُّ أَنْ تَشْرَفَ جَعْفَرًا بِأَنْ تَغْنِيَهُ صَوْتًا . فَغَنَيْتُهُ لَحْنًا صَنَعْتُهُ فِي شِعْرِ الدَّارِمِيِّ :
كَأَنَّ صُورَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وَصِفَتْ * دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمَصْرِفَةِ الْعُتْقِ

نَسَبَةُ هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ ، مِنْهُمَا :^(٢)

صَوْت

١٥

سَفِيًّا لِرَبِّكَ مِنْ رُبْعِ بَدْنِي سَلِمَ * وَلِلزَّمَانِ بِهِ إِذَا ذَاكَ مِنْ زَمَنِ
إِذْ أَنْتِ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةً * وَإِذَا أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادَرًا رَسْنِي
الشعر للأحوص . والغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو

(١) . فِي الْأَصُولِ :

شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَمْ تَحَازِ مَوْدَتِي * لَيْسَ الْمَكَاذِبُ بِالْحَبِيبِ الصَّادِقِ
(٢) . لَعَلَّهُ : « الْأَوَّلُ مِنْهُمَا اتَّخَذَ » .
وَالْتَصَوُّبُ عَنِ الدِّيَوَانِ . ٢٠

٢٠

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير عن مُصْعَب قال : أَنشد
مُنشِدُ وَأَبْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ عِنْدَنَا قَوْلَ الْأَحْوَصِ :

إِذْ أَنْتَ فِينَا لَمْ يَنْهَكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذْ أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فَوَثْبًا ، قَائِمًا وَالْقِيَّ طَرَفَ رِدَائِهِ وَجَعَلَ يَخْطُو إِلَى طَرَفِ الْمَجْلِسِ وَيَجْرُهُ ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ
حَتَّى عَادَ إِلَيْنَا . فَقُلْنَا لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا الشَّعْرَ
مَرَّةً فَأُطْرَبْنِي ، فَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَسْمَعَهُ أَبَدًا إِلَّا جَرْتُ رَسَنِي .

والآخر من الصوتين :

صوت

كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وُصِفَتْ * دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمِصْرِيَّةِ الْعُتْقِ
أَوْ دُرَّةٌ أَعْيَتْ الْغَوَاصَ فِي صَدْفٍ * أَوْ ذَهَبٌ صَاغَهُ الصَّوَاغُ فِي وَرَقِ
الشَّعْرِ لِلدَّارِمِيِّ ، وَالْغِنَاءُ لِمَرْزُوقِ الصَّوَّافِ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ أَبِي الْمَكِيِّ ، وَذَكَرَ عَمْرُو
أَنْ هَذَا الْحَنُّ لِلدَّارِمِيِّ أَيْضًا ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لَا بَيْنَ سُرَيْجٍ . وَفِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّهُ
لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَفِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ يُقَالُ إِنَّهُ لَحْنٌ مَرْزُوقِ الصَّوَّافِ ، وَيُقَالُ
لأنَّهُ لِمَتِّمٍ ثَانِي ثَقِيلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَأَبْنِ الْمُعْتَزِّ .

أخبرني يحيى بن المنجم قال ذكر لي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق
بن عمر بن بزيغ قال :

غنى صوتا على أربع
طبقات

(١)
كُنْتُ أَضْرِبُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ صَوْتًا ذَكَرَهُ فَعَنَّا عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ ،
عَلَى الطَّبَقَةِ الَّتِي كَانَ الْعُودُ عَلَيْهَا ، وَعَلَى ضَعْفِهَا ، وَعَلَى إِسْبَاحِهَا ، وَعَلَى إِسْبَاحِ الْإِسْبَاحِ .
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : وَهَذَا شَيْءٌ مَا حُكِيَ لَنَا عَنْ أَحَدٍ غَيْرِ إِبْرَاهِيمَ ،

(١) كذا في ١ ، م . وفي سائر الأصول : « ضربا » .

وقد تَاطاه بعضُ الحُذَّاق بهذا الشأن، فوجده صعباً متعذِّراً لا يُبلِّغ إلَّا بالصوت القويّ وأشدَّ ما في إسْجَاح الإسْجَاح؛ لأنَّ الضَّعْف لا يُبلِّغ إلَّا بصوت قويّ. إائل إلى الدقة، ولا يكاد ما ألتسع مخرجه يبلغ ذلك. فإذا دقَّ حتى يبلغ الإضعاف لم يقدر على الإسْجَاح فضلاً عن إسْجَاح الإسْجَاح. فإذا غلظ حتى يمتكّن من هذين لم يقدر على الضَّعْف.

أخبرني عمي قال حدثني آبن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر ابن سليمان الهاشمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي قال :

٥٢
٩

دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً فصرت إليه، وغنيّ صوتاً لمعبد :

أفي الحق هذا أني بك مولع * وأن فؤادي نحوك الدهر نازع

١٠ فقال لي : لمن هذا الغناء؟ فقلت : يا سيدي يقولون إنه لمعبد، ولا غنيّ والله معبد كذا قط، ولا يمتُّ أحداً يقول كذا، لا والله ما في الدنيا كذا. قال : فضحك ثم قال : والله يا بني ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت

١٥ أمّا اللحن فمن الثقيل الثاني، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدته في شيء من الكتب له. وذكر الهاشمي أنه لأبن المكي.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القحطبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال :

عاب غارقاً عند المأمون

٢٠ لما قديم المأمون من نراسان لم يظهر لمغنٍ بالمدينة مدينة السلام غيري، فكنت أنادمه سرّاً، ولم يظهر للتدما أربع سنين، حتى ظفر إبراهيم بن المهدي.

فلما ظفِرَ به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعنا ؛ ووجه إلى إبراهيم فحضره رثياب
مُبْتَذَلَةٌ . فلما رآه المأمون قال : أَلْتَقَى عَمَى رِداءَ الْكِبَرِ عَنْ مَنِيكِيَّةٍ ، ثم أمر له بِخَلْعٍ
فانخرة وقال : يا فَتْحُ غَدَّ عَمَى ؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحول إلينا ،
وكان مُحَارِقَ حاضراً ، ففني مُحَارِقُ :

هذا وَرَبُّ مُسَوِّفِينَ صَبَحْتَهُمْ * من نَحْمِرُ بِإِلٍ لَذَّةً لِلشَّارِبِ ٥

فقال له إبراهيم : أَسَأَتَ فَأَعِدْ ؛ فأعاده ، فقال : قَارَبْتَ وَلَمْ تُصِْبْ . فقال له
المأمون : إِنْ كَانَ أَسَاءَ فَأَحْسِنُ أَنْتَ . فغناه إبراهيم ثم قال لمُحَارِقَ : أَعِدْهُ فَأَعَادَهُ ،
فقال : أَحْسَنْتَ . فقال للمأمون : كَمْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ؟ فقال : كَثِيرٌ . فقال لمُحَارِقَ :
إِنَّمَا مَتَلِّكَ كَمَثَلُ الثَّوْبِ الْفَانِ إِذَا غَقَلَ عَنْهُ أَهْلُهُ وَقَعَ عَلَيْهِ الْغِبَارُ فَأَحَالَ لَوْنَهُ ، فإِذَا
نَقِضَ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ . ثم غنى إبراهيم :

يا صَاحِبِ إِذَا الضَّمَامِ الْعَنَسِ * وَالرَّحِلِ ذِي الْأَقْتَادِ وَالْحَلَسِ (٣)
أَمَّا النَّهَارُ فَمَا تُقَصِّرُهُ * رَتَكًا يَزِيدُكَ كَلَمًا تُجَسِّي (٤)

قال : وكانت لي جائزة قد خرجت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيدي بإلقاء هذا
الصُّبُوتِ عَلَى مَكَانٍ جَائِزٍ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا . فقال : يا عَمَى هَذَا الصُّبُوتُ عَلَى
مُحَارِقٍ ، فَأَلْقَاهُ عَلَى ، حَتَّى إِذَا كَدْتَ أَنْ آخِذَهُ قَالَ : أَذْهَبُ فَأَنْتَ أَحَدُ الْقَوْمِ بِهِ .
فقلت : إِنَّهُ لَمْ يَصْلُحْ لِي بَعْدَ . قَالَ : فَأَعِدْهُ عَلَيَّ . فغدت عليه فغناه متلوياً ؛ فقلت : أَيُّهَا
الْأَمِيرُ ، لَكَ فِي الْخِلَافَةِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ ، أَنْتَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ وَأَخُو الْخَلِيفَةِ وَعَمُّ الْخَلِيفَةِ ،

ضَنَّ عَلَى مُحَارِقٍ
بصوت

(١) هو فتح خادم المأمون . انظر الطبري (ق ٣ ص ١٠٤١) . (٢) المسوفون : الصبر ؛
يقال : إِنْ فَلَانًا لِمُسَوِّفٍ (بالباء للفاعل) إِذَا كَانَ صَبُورًا . (راجع لسان العرب في مادة سَوَف) .
(٣) يقال جَلَّ ضَامِرٌ ، وَنَاقَةُ ضَامِرٍ (بغير هاء) وَضَامِرَةٌ . وَالْعَنَسُ : الناقة الصلبة القوية . وَالْحَلَسُ :
كل شيء ، وَلِيْ ظَهْرٍ الْبَعِيرُ وَالِدَابَةُ تَحْتَ الرَّحْلِ وَالْقَتَبُ وَالْبَرْجُ . (٤) الرَتَكُ : سير اللابل سريعاً .

يَجُودُ. الرَّاغِبُ وَتَجَلَّ عَلَى بَصُوتٍ ! فَقَالَ : مَا أَحَقَّكَ ! إِنْ الْمَأْمُونُ لَمْ يَسْتَبْقِىَ
 مَحَبَّةً فِيَّ وَلَا صِلَةً لِرَحِمِي وَلَا رِبَاءً لِمَعْرُوفٍ عِنْدِي ، وَلَكِنَّهُ سَمِعَ مِنْ هَذَا الْجَرَمِ
 : مَا لَمْ يَسْمَعْ مِنْ غَيْرِهِ . قَالَ : فَأَعْلَمْتُ الْمَأْمُونُ مَقَالَتَهُ ؛ فَقَالَ : إِنَّا لَا نَكْدُرُ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ
 عَفْوًا عَنْهُ ، قَدْ عُدَّ . فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامُ الْمُعْتَصِمِ نَشِطَ لِلصُّبُوحِ يَوْمًا فَقَالَ : أَحْضِرُوا عَنِّي .
 بِغَاءٍ فِي دُرَاعَةٍ مِنْ غَيْرِ طَيْلَسَانَ . فَأَعْلَمْتُ الْمُعْتَصِمَ خَبَرَ الصَّوْتِ سِرًّا . فَقَالَ : يَا عَمَّ غَنِّي :
 * يَا صَاحِبَ إِذَا الضَّامِرُ الْعَنَسَ *

فَغَنَاهُ ؛ فَقَالَ : أَلْقِهْ عَلَى تُخَارِقَ . فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَقَدْ سَبَقَ مِنِّي قَوْلُ الْأَعْيُنِ
 عَلَيْهِ . ثُمَّ كَانَ يَتَجَنَّبُ أَنْ يَغْنِيَهُ حَيْثُ أَحْضَرَهُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هَذَا وَرُبَّ مُسَوِّفِينَ صَبَحْتُهُمْ * مِنْ نَحْرِ بَابِلَ لَذَّةً لِلشَّارِبِ
 بَكَرُوا عَلَى بُسْخَرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ * بِإِنَاءِ ذِي كَرَمٍ كَقَعْبِ الْحَالِبِ
 بُرْجَانِيَّةٍ مِلْءِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا * قِنْدِيلُ فِصْحٍ فِي كَنِيسَةِ رَاهِبٍ^(٢)
 الشَّعْرُ لَعْدِيَّ بْنَ زَيْدٍ . وَالْغِنَاءُ الْحَتِينُ خَفِيفُ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ
 عَنْ إِسْحَاقَ .

صوت

يَا صَاحِبَ إِذَا الضَّامِرُ الْعَنَسَ * وَالرَّحْلُ ذِي الْأَقْنَادِ وَالْحَلِيسِ
 أُمَّا النَّهَارُ فَا تَقْصِّرْهُ * رَتَّكَ يَزِيدُكَ كَلْمًا تُمْنِي
 الشَّعْرُ لِلْحَالِدِ بْنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أبيير مولاة منصور بن المهدي عن دؤابة مولاته
أضا قالت قالت لى أسماء بنت المهدي :

طلبت اليه أخته
أسماء سماع غناه

قلت لأخى إبراهيم : يا أخى أشتى والله أن أسمع من غنائك شيئاً . فقال :
إذا والله يا أختى لا تسمعين مثله ، على وعلى ، وغلظ في اليمين ، إن لم يكن إبليس ظهر لى
وعلمنى النقر والنغم وصالحنى وقال لى : اذهب فانت منى وأنا منك .

أخبرنى عمى قال حدثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدثنى هبة الله بن إبراهيم
ابن المهدي عن أبيه قال :

غضب عليه الأمين
ثم رضى عنه

غضب على محمد الأمين فى بعض هناته ، فسلمنى إلى كوثر^(١) ، فخبسنى فى سرداب
وأغلقه على فمكت فيه ليلتى . فلما أصبحت إذا أنا بشيخ قد خرج على من زاوية
السرداب ، ودفع إلى وسطا وقال : كُلْ فاكلت^(٢) ، ثم أخرج قنينة شراب فقال :
أشرب فشربت ، ثم قال لى : غنّ :

لى مُدَّة لا بُدَّ أبلغها * معلومة فإذا آتقت مُت

لوساورتنى الأسد ضارية * لغلبتها ما لم ينج الوقت

فغنيته . وسمعى كوثر فصار إلى محمد وقال : قد جنَّ عمك وهو جالس يغنى بكيت
وكيت . فأمر بإحضارى فأحضرت وأخبرته بالقصة ، فأمر لى بسبعائة ألف درهم
ورضى عنى .

أخبرنى عمى قال حدثنى ابن أبى سعد قال سمعت ينشؤ ويحدث عن أبى أحمد
ابن الرشيد قال :

طرح أخته عليه
فاطربا المأمون
وأحمد بن الرشيد

كنت يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسير وأدخله فساره بشىء ومضى^(٣)
وعاد . فقام المأمون وقال لى : قم ، فدخل دار الحرم ودخلت معه ، فسمعت غناء

(١) هو كوثر خادم محمد الأمين . (انظر قرا عليه فى الطبرى ق ٣ ص ٨٩٩ ، ٩٢٨ ، ٩٣٩ ، ٩٥٦ ، ٩٦٥) .
(٢) كذا فى الأصول وظاهر أنه يريد نوعاً من الطعام . (٣) فى الأصول : « فسر » .

أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدم ولا أتاخر. وفطن المأمون لمأبى فضحك ثم قال :
هذه عمّتك عليّة تطارح عمك إبراهيم :

* مالى أرى الأبصارَ بى جافية *
نسبة هذا الصوت

مالى أرى الأبصارَ بى جافية * لم تلتفت منى إلى ناحية

لا ينظر الناس إلى المبتلى * وإنما الناس مع العافية

وقد جفانى ظالمًا سيدي * فادمعى منهلةً هامية

صغى سألوا ربكم العافية * فقد دهننى بمدنكم داهية

الشعر والغناء لعلية بنت المهدي خفيف رمل . وأخبرنى ذكاء وجه الرزة أن
لعريب فيه خفيف رمل آخر مزموراً، وأن لحن عليّة مطلق .

١٠

أخبرنى يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم بن عليّ بن هشام أنّ
إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت صنعه وإصبريه وتجراه وإجراه
لحنه؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأتى ما صنعه . والصوت :

حيّا أُمّ يعمراً * قبل شحط من النوى

قلت لا تعجلوا الروا * ح فقالوا ألا بلى

أجمع الحى رحلة * فقواذى كذى الأسى

١٥

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل

الأول مطلق فى تجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانه أنه لما لك . وفيه للهذلى

خفيف ثقيل أول بالنصر عن ابن المكى، وزعم الهشامى أنه لحن مالك . وفيه

٢٠

(١) فى ب، س، ج : «واهة» .

لَحْنَانٍ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي أَحَدُهُمَا لِإِسْحَاقَ وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ إِسْحَاقُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ .
وَالْآخَرُ زَعَمَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَزَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ
أَنَّهُ لِأَبْنِ مُحَرَّرٍ .

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى أَبُو الْجُمَّانَ : أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
لَمَّا صَنَعَ صَوْتَهُ :

* قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا *

اتَّصَلَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فَكَتَبَ يَسْأَلُهُ عَنْهُ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِشَعْرِهِ وَإِقَاعِهِ
وَبَسِيطِهِ وَبِحِرَاهُ وَإِصْبَعِهِ وَتَجَزُّئِهِ وَأَقْسَامِهِ وَمَخَارِجَ نَعْمِهِ وَمَوَاضِعَ مَقَاطِعِهِ وَمَقَادِيرَ
أَدْوَارِهِ وَأَوْرَاقِهِ ، فَعَنَاهُ . قَالَ : ثُمَّ لَقِينِي فَعَنَانِيهِ ، فَفَضَّلَنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .

نسبة هذا الصوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

يَدُ بَلَغَتْ الَّذِي أَرَدَ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبًا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق ، ثانياً قيل بالبصرة في مجراها ، وفيه لغيره ألحان .

أَخْبَرَنِي أَبُو عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ
أَبِيهِ قَالَ :

سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ يَقُولُ : كُنْتُ أُعِيبُ الْغِنَاءَ وَأَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ ،

فَفَرَجَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا إِلَى الشَّامِ فِي حَرَّاقَةٍ يَشْرَبُ ، وَوَجَّهَ فِي طَلَبِي فَصُرْتُ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا

قَرُبْتُ مِنْهُ سَمِعْتُ غِنَاءً حَيَّرَنِي وَشَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛

فَأَلْتَفْتُ إِلَى زَنْقِطَةِ غَلَامِي أَطْلُبُ مِنْهُ سَوْطَهُ ، فَقَالَ لِي : قَدْ وَاللَّهِ سَقَطَ سَوْطِي .

فَقُلْتُ لَهُ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ سَبَبَ سَقُوطِهِ ؟ قَالَ : صَوْتُ سَمِعْتُهُ شَغَلَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ .

فَسَقَطَ سَوْطِي مِنْ يَدِي ؛ فَإِذَا قِصَّتُهُ قِصَّتِي . قَالَ : وَكُنْتُ أَنْبِكُ أَمْرَ الطَّرْبِ عَلَى

سميه أحمد بن
أبي دراد فذهل
عن نفسه ورجع
عن إنكاره الغناء

١٥٠

٢٠٠

الغناء ١٠١ يَسْتَفِزُّ النَّاسَ مِنْهُ وَيَغْلِبُ عَلَى عَقُولِهِمْ ، وَأَنَاظِرُ الْمُعْتَصِمَ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ أَخْبَرْتَهُ بِالْخَبَرِ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : هَذَا عَمِّي كَانَ يَغْنِيَنِي :

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفِصٍ * نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاثَا

فَإِنْ تُبَيَّنَتْ مِمَّا كُنْتُ تَنَاظِرُنَا عَلَيْهِ فِي ذِمِّ الْغَنَاءِ سَأَلْتُهُ أَنْ يُعِيدَهُ ، فَفَعَلْتُ وَفَعَلَ ، . بَلَغَ بِي الطَّرْبُ أَكْثَرَ مِمَّا يَبْلُغُنِي عَنْ غَيْرِي فَأُنْكِرُهُ ، وَرَجَعْتُ عَنْ رَأْيِي مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .
وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصّة أو قريباً منها لزيادة اللَّفِظِ وَنُقْصَانِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ الصَّوْتَ الَّذِي غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خَيَالَهَا * بِيضَاءُ تَحْلِطُ بِالْجِيَاءِ دَلَالَهَا

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمَهَا * بَاكُفُّكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هَلَاكَهَا

اتخذ لنفسه حراقة
بجذاء داره

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن علي قال :

سَمِعْتُ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ يَقُولُ : اتَّخَذَ أَبِي حَرَاقَةً فَأَمَرَ بِشَدِّهَا فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِجِذَاءِ دَارِهِ ، فَضَيَّيْتُ إِلَيْهَا لَيْلَةً فَكَانَ أَبِي يُخَاطِبُنَا مِنْ دَارِهِ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، فَذُكِرَ عَرَضَ دِجْلَةَ وَمَا أَجْهَدَ نَفْسَهُ .

ثناء ابن أبي ظبية
عليه

أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مسلم بن قتيبة يقول حدثني ابن أبي ظبية قال : كُنْتُ أَسْمَعُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ يَتَنَحَنَحُ فَأَطْرَبُ .

غنى وعنده مدّة
من المنين وغنى
بعده بخارق فأعاد
هو فاطر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القِطْرَانِيُّ الْمُغْنِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّيِّعِيِّ قَالَ :

كَمَا عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ دَعَا كُلَّ مُطَرِّبٍ مُحْسِنٍ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ
يَوْمَئِذٍ وَهُوَ جَالِسٌ يُلَاعِبُ أَحَدَهُمْ بِالشَّطْرَنْجِ^(١) . فَتَرَنَمَ بِصَوْتٍ فَرِيدَةٍ :
قَالَ لِي أَحْمَدُ وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي * أَتُحِبُّ الْغَدَاةَ عُتْبَةَ حَقًّا

وَهَرَمْتُكَ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ تَرَنَمَ بِهِ مُخَارِقٌ فَأَحْسَنَ فِيهِ وَأَطْرَبْنَا وَزَادَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ،
فَأَعَادَهُ إِبْرَاهِيمُ وَزَادَ فِي صَوْتِهِ فَعَفَى عَلَى غِنَاءِ مُخَارِقٍ . فَلَمَّا فَرَّغَ رَدَّهُ مُخَارِقٌ وَغَنَى فِيهِ
بِصَوْتِهِ كُلَّهُ وَتَحَفَّظَ فِيهِ ، فَيَكِدُنَا أَنْطِيرُ سُرُورًا . وَأَسْتَوِي إِبْرَاهِيمُ جَالِسًا وَكَانَ مَتْنُكَ فَعَنَاهُ
بِصَوْتِهِ كُلَّهُ وَوَفَّاهُ نَعْمَةً وَشُدُورَهُ ، وَنَظَرْتُ إِلَى كَتِفَيْهِ تَهْتَزَّانِ وَبَدَنُهُ أَجْمَعُ يَتَحَرَّكُ حَتَّى
فَرَّغَ مِنْهُ ، وَمُخَارِقٌ شَاخِصٌ نَحْوَهُ يُرْمِدُ وَقَدْ أَتَّقَعَ لَوْنُهُ وَأَصَابُهُ تَحْتَاجُ نُفَيْلَ لِي وَاللَّهِ
أَنَّ الْإِيوَانَ يَسِيرُ بِنَا . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ مُخَارِقٌ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ
أَيْنَ أَنَا مِنْكَ ! ثُمَّ لَمْ يَنْتَفِعْ مُخَارِقٌ بِنَفْسِهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ فِي غِنَائِهِ ، وَاللَّهِ لَكُنَّا مَا كَانَ يَتَحَدَّثُ .

نسبة هذا الصوت

قَالَ لِي أَحْمَدُ وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي * أَتُحِبُّ الْغَدَاةَ عُتْبَةَ حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حَبِّبٌ . مَا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا
مَا لِدَمْعِي عَدِمْتُهُ لَيْسَ يَرْقَا^(٢) * إِنَّمَا يَسْتَهْلُ غَسَقًا فَغَسَقًا^(٣)
طَرَبًا نَحْوَ ظُيُوفٍ تَرَكْتُ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ قَرُوحَةً مَا تَفْقَأُ^(٤)

(١) كَذَا فِي ج . وَفِي أ : « قَرَنَمَ بِهِمْ » . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « قَرَنَمَ أَحَدَهُمْ » وَكِلَاهُمَا
تَحْرِيفٌ . وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٤ ص ٢٢٨ طبع دار الكتب المصرية) : « قَرَنَمَ إِبْرَاهِيمَ » .
(٢) يَرْقَا : يَجِفُّ وَيَنْقَطِعُ ، وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ . (٣) الْغَسَقُ : الْإِنْصَابُ ؛ يُقَالُ :
غَسَقَتِ الْعَيْنُ غَسَقًا (مِنْ بَابِ ضَرْبٍ) غَسَقًا وَغَسَقَانَا إِذَا دَمَعَتْ . (٤) تَفْقَأُ : تَنْفَلِقُ
وَتَنْشَقُّ ، وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ .

٥٦
٩

الشعر لأبي العتاهية . والغناء لفريدة خفيف رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم
ابن المهديّ خفيف رمل آخر . وفريدة أيضا لحنّ من الثقيل الثاني في أبيات
من هذه القصيدة وهي :

قد لَعَمْرِي مَلَّ الطَّيِّبُ وَمَلَّ الـ * أَهْلُ مَنَى مِمَّا أَدَاوَى وَأَرْقَى
لَيْتَنِي مِتَّ فَأَسْتَرَحْتُ فَإِنِّي * أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ مِنْهَا مُلَقًى^(١)

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم غنى الأمين فاطربه
ابن المهديّ قال حدثني عمي منصور بن المهديّ :

أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه توبةٌ لمحمد الأمين ، فتشاغل
أبي بالشرب في بيته ولم يَمُضْ ، وأرسل إليه عدة رُسل فتأخر . قال منصور :
فلما كان من غدا قال : ينبغي أن تعمل على الرواح الى لِنَضَى الى أمير المؤمنين
فنترضاه ؛ فـ ؛ أشك في غضبه علي . ففعلت ومضيتنا . فسالنا عز خبره فأعلمنا أنه
مشرف على حير الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار .
فدخلنا ؛ وكان طريقنا على حجرة تُصنع فيها الملاحى . فقال لى أنسى : أذهب فاحتر
منها عودا ترضاه ، وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج الى تغييره البتة عند الضرب ؛
ففعلت وجعلته فى كمي . ودخلنا على الأمين وظهره إلينا . فلما بصرنا به من بعيد قال :
أخرج عودك فأخرجته ، وأندفع يغنى :

وكأيس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أنى أمرؤ * أتيت الفتوة من بابها

(١) الملقى : الممنحن الذى لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه .

(٢) الحير : الخطيرة والبستان .

وشاهدنا الجُلَّ واليَّاسِمَ * سِينُ والمُسِمَعَاتُ بِقُصَابِهَا
رَبْرَبَطْنَا دَائِمًا مَعْمَلٌ * فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَزْرَى بِهَا

- فَأَسْتَوِي الْأَمِينَ جَالِسًا وَطَرِبَ طَرِبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمَّ وَأُحْيَيْتَ لِي
طَرِبًا ، وَدَعَا بِرُطْلٍ فَشَرِبَهُ عَلَى الرَّيْقِ وَأَمْتَدَّ فِي شَرِبِهِ . قَالَ مَنْصُورٌ : وَغَنَّى إِبْرَاهِيمُ
يَوْمَئِذٍ عَلَى أَشَدِّ طَبَقَةٍ يُتَنَاهَى إِلَيْهَا فِي الْعُودِ ، وَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ غِنَائِهِ يَوْمَئِذٍ قَطُّ . وَلَقَدْ
رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ ، كَانَ إِذَا ابْتَدَأَ يَغْنَى أَصْغَيْتُ الْوَحْشُ
إِلَيْهِ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا ، وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو مِنَّا حَتَّى تَكَادَ أَنْ تَضَعَ رِءُوسَهَا عَلَى الدُّكَّانِ الَّذِي
تَحْتَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا سَكَتَ تَفَرَّتْ وَبُعِدَتْ مِنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أُبْعَدِ غَايَةِ يُمْكِنُهَا التَّبَاعُدُ
فِيهَا عَنَّا ، وَجَمَلَ الْأَمِينَ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْصَرَفْنَا مِنَ الْجَوَائِزِ بِمَا لَمْ نَنْصَرَفْ بِمِثْلِهِ قَطُّ .

- أَخْبَرَنِي عَمِّي وَالصُّوْلِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْكَاتِبُ أَبُو الْجُمَّانِ أَنَّ
إِسْحَاقَ كَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بِصَوْتِ صَنْعِهِ فِي شَعْرِهِ وَهُوَ :

كتب له إسحاق
بصوت صنعه فغناه
وأجاده

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتُ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا

- وَيَبِينُ لَهُ شَعْرَةٌ وَإِيقَاعُهُ وَبَسَاطَةُ وَجْهِهِ وَإِصْبَعُهُ وَتَجَزُّؤُهُ وَقِسْمَتُهُ وَمَخَارِجُ نَغْمِهِ
وَمَوَاضِعُ مَقَاطِعِهِ وَمَقَادِيرُ أَوْزَانِهِ ، فَغَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ لَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَغَنَاهُ لِإِيَّاهُ فَمَا نَحَرَمَ مِنْهُ
شَذْرَةً وَلَا نَغْمَةً ، قَالَ : وَفَاقَنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .

نسبة هذا الصوت

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتُ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا

٥٧
٩

- ٢٠ (١) أنظر شرح هذا البيت مفصلاً في الأغاني ج ٦ ص ٢٩٩ من هذه الطبعة .
(٢) البربط : العود ، فارسي معرب . وفي أ و م : « وإبريقنا دائماً معمل » .

وأعترفنا بما آذعنا * ست وإن كنت كاذبا

فأفعل الآن ما أرد * ت فقد جئت ثابتا

يقال : إن الشعر لإسحاق ، ولم أجده في مجموع شعره . ووجدت فيه لحنا لحكم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري ، وهو خفيف من خفيف الثقيل الثاني (١) بالبصرة . وكذلك ذكرت دنانير أنه لحكم الوادي ؛ ويُسببه أن يكون الشعر لغيره . ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالبصرة في مجراها . وفيه ثقل أول مطلق في مجرى البصرة لم يقع إلى نسبته إلى صانعه ، وأظنه لحن حكم .

ففي أبادلف العجلى
وأهداه جارية

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلى قال :

تكا مع المعتصم بالقاطول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حراقة الجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حراقتيهما في الجانب الشرقي ، فدعاها يوم جمعة فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعلى أقيّة ومنطقة . فلما دنونا من حراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبيّة له يقال لها غصّة ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس ، فلما صعدنا إليه آندفع ففتى :

حيّا كما الله خليليا * إن ميتا كنت وإن حيا

إن قلتما خيرا فأهل له * أو قلتما غيبا فلا غيا

ثم ناول كلا منهما كأسا وأخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية وقال : أشربا على ريقكما ، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا ، ثم أخذوا العيدان فدعاها ساعة

(١) في ١ و ٢ : « وهو خفيف من الثقيل الثاني ... الخ » . (٢) القاطول : اسم نهر

كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمّر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الهند . (٣) ظاهر أنه نوع من السفن ولم تقف عليه .

وغنيّا ؛ وضرب وضربا معه ، وغنت الجارية بعدهم . فقال لها أبي : أحسنت مرارا . فقال له : إن كانت أحسنت نغزها إليك ، فما أخرجتها إلا إليك .

أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العبيس بن حمدون قال : لما صنع مخارق لحنه في شعر العتّابي :

سمع من مخارق
لحنا فأطراه

أَخْضَنِي الْمَقَامَ الْغَمَرَ إِنْ كَانَ غَمَّرَنِي * سَنَا خُلْبٍ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ •
غناه إبراهيم بن المهدي ؛ فقال له : أحسنت وحياتي ما شئت ! فسجد لمخارق سرورا بقول إبراهيم ذلك له .

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني عن عمرو بن بانه قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوما :

غنى عمرو بن بانه
لحنا وحدثه حديثه

أَدَارًا بِحُزْوَى هَجَّتِ لِلْعَيْنِ صَبْرَةً * فَمَاءُ الْمَسْوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَفَّقُ ١٠

فأستحسنته وسألته إعادته على حتى أخذته عنه ففعل . ثم قال لي : إنَّ حديث هذا الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثه أعزك الله ؟ قال : غنائيه ابن جامع والصنعة فيه له ، فلما أخذته عنه غنيته إياه ليسمعه مني ، فأستحسنه جدا وقال : كأني والله ما سمعته قط إلا منك ثم كان صوته بعد ذلك على نسبة هذا الصوت .

أخبرني علي بن إبراهيم الكاتب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن نحر دأذبه قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال :

قصته مع ابن بسخر
وجاريته شارية
ومخارق وعلوية

وجه إلى إبراهيم بن المهدي يوما يدعوني ، وذلك في أول خلافة المعتصم ، فصرت إليه وهو جالس وحده وشارية جاريته خلف الستارة ، فقال : إني قلت شعرا وغنيته فيه وطرحته على شارية فأخذته وزعمت أنها أحذق به مني ، وأنا أقول

إني أحذق به منها، وقد تراضينا بك حَكماً بيننا لموضعك من هذه الصنعة، فأسمعه متى ومنها وأحكم ولا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرّات . فقلت نعم . فأندفع ينني بهذا الصوت :

أَصْنُ بِلَيْلٍ وَهِيَ غَيْرُ سَخِيَّةٍ * وَتَجَلَّ لَيْلٍ بِالْهَوَى وَأَجُودُ

فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تَغْنِي ، فغنته فبرزت فيه حتى كأنه كان معها في الإيجاد، ونظر إلى فعراف أنى قد عرفت فضلها عليه، فقال : على رِسْلِكَ ! وتحدثنا ساعة وشربنا . ثم أندفع فغناه ثانية فأضعف في الإحسان، ثم قال لها : تَغْنِي ، فغنت فبرزت وزادت أضعاف زيادته، وكذت أشق ثيابي طرباً . فقال لي : تَلَبَّتْ وَلَا تَعَجَلْ . ثم غناه ثالثة فلم يُبقِ غاية في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكانه إنما كان يلعب . ثم قال لي : قل ، فقضيت لها ؛ فقال : أصهت ، فكم تُساوي عندك ؟ فحملني الحسد له عليها والنَّفَاسَةُ بمثلها أن قلت : تُساوي مائة ألف درهم . فقال : أو ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! فبجح الله رأيك ! والله ما أجِدُ شيئاً أبلغ في عقوبتك من أن أصيرك، قم فأصيرف إلى منزلك مذموماً . فقلت له : ما لقولك أخرج من منزلي جواب، وقت وأنصرفت، وقد أحفظني كلامه وأرْمَضَنِي ^(١) . فلما خطوت حُطُواتِ التفت إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أَتَطْرُدُنِي من منزلك ! فوالله ما أحسن أنت ولا جاريك شيئاً، وضرب الدهر ضرباً به، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل، فدخلت أنا ومخارق وعلويه، وإذا أمير المؤمنين مُصْطَبِحٌ ^(٢) وبين يديه ثلاث جامات : جام فضة مملوءة دنانير حُرَّةً ^(٣) ، وجام ذهب مملوءة دراهم جُدُداً، وجام قوارير مملوءة عنبراً، فظننا أنها لنا بل لم تُشَكَّ في ذلك، فغنيناه وأجهدنا

٢٠ (١) في ١ ، ٢ : « وأرضني » . (٢) في ب ، م : « قصر الليل » .

أنفُسَنَا، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجب فقال : إبراهيم بن
المهدي. فأذن له فدخل، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها، ثم غناه بصوت من صناعته وهو :
ما بال شمس أبي الخطّاب قد غرّبت * يا صاحبي أظن الساعة آقربت

فأستحسنه المعتصم وطرب له، وقال : أحسنت والله ! فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين
فإن كنت أحسنت فهب لي إحدى هذه الجامات ؛ فقال : خذ أيتها شئت ، فأخذ
التي فيها الدنانير ؛ فنظر بعضنا إلى بعض . ثم غناه إبراهيم بشعره وهو :
فأمرزة قهوة قرقف * شمول تروق براووقها^(١)

فقال : أحسنت والله ياعم وسررت . فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت أحسنت فهب
لي جاماً أخرى ؛ فقال : خذ أيتها شئت ، فأخذ الجام التي فيها الدراهم ؛ فعند ذلك
أنقطع رجاؤنا منها . وغناه بعد ساعة :

١٠

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى * عشير الذي ألقى فيلتهم الحب^(٢)

٥٩
١

فارتج بنا المجلس الذي كنا فيه، وطرب المعتصم وأستخفه الطرب فقام على رجله، ثم
جلس فقال : أحسنت والله ياعم ماشئت ! قال : فإن كنت قد أحسنت يا أمير المؤمنين
فهب لي الجام الثالثة ؛ فقال : خذها فأخذها . وقام أمير المؤمنين ، ودعا إبراهيم بمنديل
فغناه طائفتين ووضع الجامات فيه وشده ، ودعا بطين نختمه ودفعه الى غلامه ، ونهضنا
الى الانصاف ، وقدمت دوابنا . فلما ركب إبراهيم التفت الى فقال : يا محمد بن الحارث ،
زعمت خير مني أحسن أنا وجاريي شيئاً ، وقد رأيت ثمرة الإحسان . فقلت في نفسي :
قد رأيت ، فخذها لا بارك الله لك فيها ! ولم أجبه بشيء .

١٥

(١) المزة والقهوة والقرقف والشمول : من أسماء الخمر . والراووق : باطية الخمر .

(٢) العشير : جزء من عشرة كالعشر .

٢٠

نسبة هذه الأصوات

صوت

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت * يا صاحبي أظن الساعة أقتربت
 أم لا فبال ريح كنت أملها * غدت على يصير بعد ما خيبت.^(١)
 أشكو اليك أبا الخطاب جارية * غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت
 رأيت قيمها يوماً يحدها^(٢) * يا ليتما قربت مني وما بأبدت
 الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رمل بالنصر . وفيه هزج بالنصر، ذكر عمرو
 ابن بانة أنه لإبراهيم الموصلي، وذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهدي .

صوت

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى * عشير الذي ألقى فليتم الحب
 وصالكم صد وقربكم قلى * وعطفكم بخط وسنكم حرب
 الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال : سمعت أبي يقول : كانت
 في يد المعتصم باقة نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي : يا عم قل فيها أبياتاً وغن فيها .
 فنكت في الأرض بقضيب في يده هنيئة ثم قال :
 شعره في باقة نرجس غنى به المعتصم

صوت

ثلاث عيون من النرجس * على قائم أخضر أملس
 يدكزني طيب رياء الحبيب * فيمنعني لذة المجلس
 وصنع فيه لحناً وغناه به ، فأعجبه وأمر له بجائزة . لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيف
 رمل بالنصر، ذكر لي دكأ وغيره ذلك .

(١) ريح صر : شديدة الصوت والبرد . (٢) كذا في ٤١ ، م وفي ج : « والنأي عندك »
 وفي سائر النسخ : « والشوق يغلبنى » .

غضب عليه المأمون
وسجنه فاستعطفه
حتى عفا عنه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ،
وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يَمُوتُ بن المزرع عن الجاحظ قال :
أرسل إلى ثُمَامَةَ^(١) يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي وأمر بإحضار الناس
على مراتبهم فحضروا بغية إبراهيم، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليّ قال
حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خراسان قال :

٦٠
٩

لما ذلّ المأمون بإبراهيم بن المهدي أحب أن يوبّخه على رؤوس الناس .
قال : يغىء إبراهيم يَجْجَلُ في قيوده، فوقف على طرف الإيوان وقال : السلام عليك
يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حفظك
ولا رعاك ولا كلاك يا إبراهيم . فقال له إبراهيم : على رسلك يا أمير المؤمنين ! فلقد
أصبحت وليّ نأري، والقدرة تُذهِبُ الحفيظة، ومن مدّ له الاعتراض في الأمل هجمت
به الأناة على التلّف . وقد أصبح ذنبي فوق كلّ ذنب ، كما أت عفوك فوق كلّ عفو
— وقال الحسن بن عليّ في خبره : وقد أصبحت فوق كلّ ذنبي ، كما أصبح كلّ
ذني عفودك — فإن تعاقب فبحقك ، وإن تعف فبفضلك . قال : فأطرق ملياً ثم رفع
رأسه فقال : إن هذين أشارا على بقتلك . فائتفت فاذا المعتصم والعباس بن المأمون ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، أما حقيقة الرأي في معظّم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا
عليك به وما غشاك إذ كان ما كان مني ، ولكن الله عودك من العفو عادة جريت
عليها دافعاً ما تتخاف بما ترجو ، فكفاك الله . فتبسّم المأمون وأقبل على ثُمَامَةَ ثم قال :
إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلب السحر ، وإن كلام عمي منه ، أطلقوا عن عمي

(١) ثُمَامَةُ : هو ثُمَامَةُ بن أشرس أبو معن النخعي أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصل بهارون
الرشيد وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره . (انظر تاريخ بغداد
ج ٧ ص ١٤٥) . (٢) انظر في هذا المقام الطبري ق ٣ ص ١٠٧٦ طبع أوروبا وتاريخ
بغداد ج ٦ ص ١٤٤ طبع مصر .

حديده، وردوه إلى مكرماً . فلما رد إليه قال : يا عم صر إلى المنادمة وأرجع إلى
الأنس ، فلن ترى متى أبداً إلا ما تحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدرج فيه :

يا خير من ذملت يمانية به * بعد الرسول لآيس أو طامع
وأبر من عبد الإله على الهدى * نفساً وأحكمه بحق صادق
عسل الفوراع ما أطعت فإن تهيج * فالموت في جرع السهام النافع ^(١)
متيقظاً حذراً وما يخشى العدا * نهران من وسنات ليل الماجع
والله يعلم ما أقول فإنها * جهد الآلة من حنيف راصع
قسماً وما أدلي إليك بحجة * إلا التضرع من محب خاشع
ما إن عصيتك والغواة تمدني * أسبابها إلا بنية طامع ^(٢)
حتى إذا خلقت حبال شقوقى * بردى على حفر المهالك هائج
لم أدر أن لمثل ذنبي غافراً * فأقت أرغب أي حنيف صارعي
رد الحياة إلى بعد ذهابها * ورع الإمام القاهر المتواضع
أحياك من ولاك أطول مدة * ورعى عدوك في الوتين بقاطع
إن الذي قسم الفضائل حازها ^(٣) * في صلب آدم للإمام السابع
كم من يد لك لا تحذني بها * نفسى إذا آلت إلى مطامعي
أسديتها عفواً إلى هنيئة * فشكرت مضطماً لأكرم صانع
ورجعت أطفالاً كأفراخ القطا * وعويل عانسة كقوس النازع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفواً ولم يشفع إليك بشافع
إلا العلو عن العقوبة بعدما * ظفرت يدك بمستكين خاضع

(١) الدرج (بالفتح ويحرك) : ما يكتب فيه . (٢) رواية الطبرى :

* فالصواب يزوج بالسهم النافع * (٣) الهائج هنا : المنتشر . (٤) في الطبرى : « الخلاقة » .

٦١
٩

- قال: فبكى المأمون ثم قال: علىَّ به، فأُتِيَ به فخلع عليه وحمله وأمر له بنجدة آلاف دينار، ودعا بالفراش فقال له: إذا رأيت عمي مُقبِلاً فاطرح له تُكَّاةً، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئاً. وروى بعض هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه: لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأحمول وقال: هو صديقك نخذه إليك، فقال: وما تُعني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخطٌ عليه! أما إنني وإن كنتُ له صديقاً لا أمتنع من قول الحق فيه، فقال له: قل فإنك غيرهم. قال وهو يريد التسلُّق على العفو عنه: إن قتلته فقد قتلت الملك قبلك أقل جرماً منه، وإن عفوت عنه عفوت عمن لم يُعفَ قبلك عن مثله. فسكت المأمون ساعة ثم تمثَّل:
- فلئن عفوت لأعفونَ جلاً * ولئن سطوت لأوهنَ عظمي
قومي هم قتلوا أمي * فإذا رميت أصابني سهمي
- ١٠ خذه يا أحمد إليك مكرماً، فأنصرف به. ثم كتب إلى المأمون قصيدته العينية، فلما قرأها رق له وأمر برده إلى منزله ورد ما قبض منه من أمواله وأملأه. وفي خبر عمي عن الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن إسحاق الأشعري عن أبي داود: أن المأمون تقدَّم إلى محمد بن مزداد لما أطلق إبراهيم أن يمنعه داري الخاصة والعامة، ويؤكل به رجلاً من قبله يثق به ليعرفه أخباره وما يتكلم به. فكتب إليه الموكل به أن إبراهيم لما بلغه منعه من داري الخاصة والعامة تمثَّل:
- يا سرحة الماء قد سدت موارده * أما إليك طريق غير مسدود^(٥)

(١) هو أحمد بن أبي خالد الأحول أحد رجالات المأمون وموضع ثقته. (انظر الطبري ق ٣

ص ١٠٣٨، ١٠٤٢، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٧٥). (٢) في الأصول: «قال وهو

يريد التسلق على العفو عنه فقال... الخ» وكلمة «فقال» لا موضع لها في الكلام. (٣) هذا شعر

الحارث بن علة الذهلي. (انظر أشعار الحماسة ص ٩٦ طبع أوربا). (٤) لعله: «منزله».

(٥) هذا الشعر لإسحاق الموصلي.

لِحَسَائِمِ حَامٍ حَتَّى لَا حَيَامَ لَهُ * مُخَلَّاهُ عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ
 فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكروماً وإنزاله في مرتبته؛ فصار إليه
 محمد فبشره بذلك وأمره بالركوب فركب . فلما دخل على المأمون قبل البساط ثم قال :
 الْبِرُّ بِيْ مِنْكَ وَطَّاءُ الْعُذْرِ عِنْدَكَ لِي * دُونَ أَعْتَادِي فَلَمْ تَعْدِلْ وَلَمْ تَلِمْ
 وَقَامَ عَلَمُكَ بِي فَاحْتِجَّ عِنْدَكَ لِي * مَقَامَ شَاهِدٍ عَدِلَ غَيْرُ مُتَّهِمٍ
 رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَمْنُنْ عَلَيَّ بِهِ * وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ هَمِي
 تَعْفُو بَعْدِلَ وَتَسْطُو إِنْ سَطَوْتَ بِهِ * فَلَا عِدَمَانَكَ مِنْ عَافٍ وَمُتَّقِمٍ
 فَبَوَّأْتُ مِنْكَ وَقَدْ كَافَأْتَهَا بِيَدِ * هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمِ
 فقال له : أجلس يا عمِّ آمناً مطمئناً، فلن ترى أبداً مني ما تكوه، إلا أن تُحدثَ حديثاً
 أو تُغيِّرَ عن طاعة؛ وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله .

بذ أحمد بن يوسف
 الكاتب في حسن
 المحاضرة

أخبرني أحمد بن جعفر بحظرة قال حدثني ابن حمدون عن أبيه قال :

كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما
 كنت أراه من تقدُّم أحمد وعلِّيَّته النَّاسَ جميعاً بحِفْظِهِ وبلاغته وأدبِهِ في كلِّ مُحَضَّرٍ
 ومجلس . فدخلتُ يوماً على إبراهيم بن المهدي وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية
 الخَزَرِيُّ ، بفعل إبراهيم يحدثنا فيُضيف شيئاً إلى شيء ، مرةً يُضحكنا ومرةً يَعِظُنَا
 ومرةً يُنشدنا ومرةً يُدْكِرُنَا ، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلس أردتُ
 أن أخطب أحمد ، فسبقني إليه أبو العالية فقال :

مَالِكَ لَا تَتَّبِعْ يَا كَلْبُ الدَّوْمِ * قَدْ كُنْتَ نَبَّاحاً فَمَا لَكَ الْيَوْمَ

فنبسّم إبراهيم ثم قال : لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لرحمتني كما رحمت
 أحمد مني .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدعي العلم بالغناء مثل إبراهيم بن المهديّ وأبي دلف القاسم بن عيسى العجليّ. فقيل له: فأين محمد ابن الحسن بن مُضْعَب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول: وكيف يُبصر الغناء من نَسَأَ بِجُرَاسَانِ لَا يَسْمَعُ مِنَ الْغِنَاءِ الْعَرَبِيّ إِلَّا مَا لَا يَفْهَمُهُ! .

إسحق عليه إسحاق

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العبيّس بن حمدون عن عمرو بن بانه قال: رأيت إسحاق الموصليّ يُناظر إبراهيم بن المهديّ في الغناء، فتكلّما فيه بما فهِمَاهُ ولم نفهم منه شيئاً. فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء ما نحن منه في قليل ولا كثير.

إقرار ابن بانه له
ولإسحاق بالسؤال
في فن الغناء

أخبرني عمي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون: أنَّ المأمون قال لإسحاق: غنّ لي لحناً في شعر الأخطل:

فضل المأمون
غناءه على غناء
إسحاق في شعر
للاخطل

يَا قَلَّ خَيْرُ الْغَوَانِي كَيْفَ رُغِنَ بِهِ * فَيَشْرِبُهُ وَشَلَّ مِنْهُنَّ تَصْرِيدُ^(١)
فغناه إياه فأستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ: هل صنعت في هذا الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاته؛ فغناه فأستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق، ولم يدفع إسحاق ذلك.

١٥

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى الموصليّ قال ذكر أبي عن جديّ عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال:

عليه إسحاق لحناً
فطرب له الأمين
وقصة ذلك

دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيت عليه مُطْرَفَ خَزَّ أسود ما رأيت قط أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المُطْرَف فقال: لقد كانت

(١) كذا في ديوان الأخطل (طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩١ م). وفي الأصول: «إشربة». والشرب (بالكسر) هنا: الحظ من الماء. والوشل هنا: القليل. والتصريد: السق دون الري. يريد بهذا الشرط أن حظه منهن قليل.

٢٠

لکم أيامٌ حسنة ودولةٌ عجیبةٌ، فكيف ترى هذا؟ فقلت له: ما رأيت مثله. فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب. فقلت له: ما أقومه إلا نحواً من مائة دينار. فقال إسحاق: اسمع حديثه: شربنا يوماً من الأيام، فبت وأنا مُثخَنٌ، فأتته لرسول مجد الأمين، فدخل عليّ فقال لي: يقول لك أمير المؤمنين عجلٌ إلىّ - وكان بخيلاً على الطعام فكننتُ آكل قبل أن أذهب إليه - فقمْتُ فقسوكتُ وأصلحتُ أمرى، وأُعجِّلني الرسول عن الغداء. فدخلت عليه وإبراهيم بن المهديّ جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجبة خبز دكاء. فقال لي مجد: يا إسحاق تغديت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال: إنك لنهم، وهذا وقت فداء! فقلت: أصبحت يا أمير المؤمنين وبئس نمار، فكان ذلك مما حداني على الأكل. فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرطال. فقال: آسقوه مثلها. فقلت: إن رأيت أن تفرقها عليّ! فقال: تُسقى رطلين ورطلاً. فدفع إليّ رطلان فجعلتُ أشربهما وأنا أنوهم أنّ نفسي تسيل معهما، ثم دُفع إليّ رطلٌ آخر فشربته فكانت شيئاً أنجلي عني. فقال، غنيّ:

كَلِيبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا * وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرَّجٌ بِالْدَمِّ

فغنيته؛ فقال: أحسنت وطرب، ثم قام فدخل. وكان يفعل ذلك كثيراً، يدخل إلى النساء ويدعنا. فقمْتُ في أثر قيامه فدعوتُ غلاماً لي فقلت: أذهب إلى منزلي وجئني بيزماً وردتين ولقهما في منديل وأذهب ركضاً وعجل. ففَضِيَ الغلامُ فجاءني بهما. فلما وافى الباب ونزل عن الدابة أقطع البرذونُ فنَفَقَ من شدة ما ركضه، فأدخل إليّ اليزما وردتين فأكلتهما ورجعتُ إلى نفسي وعدتُ إلى مجلسي. فقال

٦٣
٩

(١) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «جراني». (٢) الزما ورد: طعام يسمى «لُقمة القاضى» و«لُقمة الست» و«لُقمة الخليفة»، وهو مصنوع من اللحم المقلّى بالزبد والبيض. (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ١٧٣ هامشة ٣).

لى إبراهيم : إن لى إليك حاجة أحب أن تقضيها لى . فقلت : إنما أنا عبدك
وآبن عبدك، قل ما شئت . قال : تَرُدُّ على :

* كَلَيْبُ لَعْمَرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا *

وهذا المطرف لك . فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا، ولكنى أصير إليك إلى منزلك
فألقيه على الجوارى وأرده عليك مراراً . فقال : أحب أن تردّه على الساعة وأن تأخذ
هذا المطرف فإنه من لبسك ومن حاله كذا وكذا . فرددت عليه الصوت مراراً حتى
أخذه . ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء بفلس ثم قمنا ، فشرب وتحدثنا .
فغناه إبراهيم :

* كَلَيْبُ لَعْمَرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا *

فكأنى والله لم أسمع قبل ذلك حسناً، وطرب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنت
والله يا عم ! أعط يا غلام عشرين درلعمى الساعة ، بخاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إنك
لى فيها شريكاً . قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذته
الساعة منه لما قت . فقلت له : ولم ! أضاعت الأموال على أمير المؤمنين حتى
يُشْرِكَ فيما تُعطاه ! قال : أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم . فلما آنصرفنا من
المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف . فهذا أخذ به مائة ألف درهم
وهى قيمته .

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
قال لى إبراهيم بن المهدي :

جج مع الرشيد ،
ونقصته مع جارية
رأها

تَجَجَّتْ مع الرشيد ، فلما صرنا بالمدينة خرجت أدور فى عَرَصاتها ، فأتتهيت
الى بئر وقد عطشت وجارية تستقى منها ، فقلت : يا جارية ، آمئحى لى دلوا . فقالت :
أنا والله عنك فى شغل بضريبة موالى على . فنقرت بسوطى على سرجى وغنيت :

صوت

- رام قلبي السلوة عن أسماء * وتغزى وما به من عزاء
 تُخَنِّمُهُ في الشتاء باردة الصبيد * فسرّاج في الليلة الظلماء
 كفّنا في إن متّ في درع أروى * وأمتحالي من برّ عروّة مائي
- ٥ — الشعر للأحوص . والغناء لمعبد رمل مُطّاق في مجرى الوسطى عن إسحاق —
 وتما هذه الأبيات :

- إني والذي تمجّج قريش * يتّنه سالكين تقبّ كداء^(١)
 لملم بها وإن أبت منها * صادراً كالذي وردت بداء
 ولها مربّع ببرقة خايج^(٢) * ومصيف بالقصر قصر قباء
 قلبت لي ظهر المجنّ فأمست * قد أطاعت مقالة الأعداء
- ١٠ — ولمعبد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأول والثاني خفيف ثقيل عن
 الهشامي . ولابن سريج في :

* ولها مربّع ببرقة خايج *
 و * كفّنا في إن متّ في درع أروى *

- ١٥ رمل عن الهشامي أيضاً . ولإبراهيم في : «رام قلبي» وما بعده ثاني ثقيل عن حبّش —
 قال إبراهيم بن المهدي في الخبر : فرفعت الجارية رأسها إلى فقالت : أتعرف
 برّ عروّة ؟ قلت لا . قالت : هذه والله برّ عروّة ، ثم سقتني حتى رويت ، وقالت :
 إن رأيت أن تُعيدّه ففعلت ، فطربت وقالت : والله لأحملنّ قربةً إلى رحلك ! .
 فقلت : أفعل ، ففعلت وجاءت معي تتحملها . فلما رأيت الجيـش والخدم فزعّت . فقلت

٢٠ (١) كداء بأعلى مكة عند المحصب . (٢) برقة خايج : قرب المدينة ، وكذلك قباء .

لها: لا بأس عليك! وكسوتها وهبت لها دنانير وحبسها عندي، ثم صرت الما الرشيد
فحدثته حديثها؛ فأمر بآبتياءها وعثقها؛ فابرح حتى أشتريته وأعتقت، وأخذت
لها منه صلة وأقترقنا .

حدثني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن خلف بن المرزبان قالوا حدثنا محمد
ابن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال :

حواره مع المأمون
حين استعطفه
بكلام سعيد بن
العاص لمعاوية

لما أدخل إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظفر به، كلمه إبراهيم بكلام كان
سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطه سخطها عليه واستعطفه به .
وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: «يهات يا إبراهيم! هذا كلام سبقك به
فحل بن العاص بن أمية وقارحهم سعيد بن العاص وخطب به معاوية . فقال له
إبراهيم: ^(١) مه يا أمير المؤمنين؟! وأنت أيضا إن عفوت فقد سبقك فحل بن حري
وقارحهم إلى العفو؛ فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية، فإنك
أشرف منه، وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية، وإن أعظم
المحنة أن تسبق أمية هاشما إلى مكرمة. فقال: صدقت يا عم، وقد عفوت عنك .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:
جري بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلام على التنبذ، فوجد عليه محمد .
فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بالطاف فلم يقبلها؛ فوجه إليه وصيفة مليحة مغنية
معه عود معمول من عود هندي، وقال هذه الأبيات وغنى فيها وألقاها عليها حتى
أخذت الصنعة وأحكمتها، ثم وجه بها إليه . فوفقت الجارية بين يديه وقالت له:
عمك وعبدك يا أمير المؤمنين يحمول لك — وأندفعت تغني بالشعر وهو — :

غضب عليه الأمين
فاستعطفه

هتكت الضمير برد اللطف * وكشفت هجرك لي فأنكشفت

٢٠

(١) في ب، س: « فقال له إبراهيم فكان مه يا أمير المؤمنين » وكلمة « فكان » لا موقع لها
في الكلام . (٢) كذا في ح . وفي سائر النسخ: « عند » .

وإن كنت تُنكر شيئاً جرى * فهَبْ للخلافة ما قد سَلَفَ
وَجُدْ لي بصفحك عن زَلَّتِي * فبالفضل يأخذ أهلُ الشرف
قال : فُسِّرَ محمدٌ بها ، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار
وتَمَّ يومه معه .

٥ أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسدي
قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال :
كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صدوف ، وكان لها من نفسه موضع .
ففسدها جواريه على محلها منه ، فلم يزلن يبلغنه عنها ما يكره . حتى غَضِبَ عليها وجفهاها
أياماً ، ثم شقَّ ذلك عليه وأغتمَّ به ، ولم يطب نفساً بمراجعتها وصالحتها . فدخل عليه
الأعرابي أخو مُعلِّلة صاحبة الفضل بن الربيع ، وكان حسن الشعر حلو اللفظ
فصيحاً ، وكان إبراهيم يأنس به ، فقال له : مالي أرى الأمير منكسراً منذ أيام ؟
فأمسك . فقال : قد عرفتُ حال الأمير وقلتُ في أمره أحياناً إن أذن لي أنشدته
ليأها . فتبسَّم وقال : هاتِ ، فأنشده :

١٥ أَعْتَبْتَ أم عَتَبْتَ عليك صدُوفُ * وَعِتَابُ مشِلكِ مثَلها تشريفُ
لا تَقْعُدَنَّ تلوم نفسك دائباً * فيها وأنتُ بحبها مشغوف
إن الصَّريمة لا يَنُوءُ بِحَمْلِها * إلَّا القويُّ بها وأنت ضعيف

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار ، وبعث إلى صدوف فخرجت
إليه ورضى عنها ، وبعثت إليه صدُوف بمائة دينار .

٢٠ أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أحمد بن علي بن حميدة قال
حدثتني ريقُ قالت :

قيل له تب واحرق
دفاقر الغناء فقال
ريق تحفظ كل
غنائي

مَرَضَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدَّى مَرَضَةً أَشْرَفَ مِنْهَا عَلَى الْمَوْتِ، بِفَعْلٍ يَتَذَكَّرُ شَغْفَهُ بِالْغِنَاءِ وَمَا سَلَفَ لَهُ فِيهِ وَيَتَنَدَّمُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : فُتِبَ وَأُحْرِقَ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ . فَحَزَّكَ رَأْسُهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مِجَانِينَ ! فَهَبْنِي أُحْرِقْتُ دِفَاتِرَ الْغِنَاءِ كُلَّهَا ، رَيِّقُ أَيِّشٍ أَعْمَلُ بِهَا ؟ أَأَقْتُلُهَا وَهِيَ تَحْفَظُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دِفَاتِرِ الْغِنَاءِ !! .

رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ
أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكَوْكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُبَرَّدُ عَنْ
أَحْمَدَ بْنِ الْبَيْعِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدَّى قَالَ :

رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا فِيكَ وَفِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لِي : إِخْسًا ! وَلَمْ يَزِدْنِي عَلَى ذَلِكَ . وَأَخْبَرَنِي الْكَوْكَبِيُّ بِهَذَا الْخَبَرِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ شَدِيدَ الانْحِرَافِ عَنْ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَخَدَّثَ
الْمَأْمُونُ يَوْمًا أَنَّهُ رَأَى عَلِيًّا فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .
قَالَ : فَشَيْنَا حَتَّى جِئْنَا قَنْطَرَةً فَذَهَبَ يَتَقَدَّمُنِي لِعُبُورِهَا ؛ فَأَمْسَكْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتَ
رَجُلٌ تَدْعِي هَذَا الْأَمْرَ بَامْرَأَةٍ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ ! فَمَا رَأَيْتُ لَهُ فِي الْجَوَابِ بِلَاغَةً
كَمَا يُوصَفُ عَنْهُ . فَقَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ لَكَ ؟ فَقَالَ : مَا زَادَنِي عَلَى أَنْ قَالَ سَلَامًا
سَلَامًا . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : قَدْ وَاللَّهِ أَجَابَكَ أَبْلَغَ جَوَابٍ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : عَرَّفَكَ
أَنَّكَ جَاهِلٌ لَا يُجَاوِبُ مِثْلَكَ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ . فَخَجَلَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أَحْدِثْكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ .

تَمَنَّى لَهُ الْأَمِينُ طَوْلَ
الْعَمْرِ
أَخْبَرَنِي الْكَوْكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُفَضَّلُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هُبَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
الْمُهَدَّى عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

قُلْتُ لِلْأَمِينِ يَوْمًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! فَقَالَ : بَلْ جَعَلَنِي اللَّهُ
فِدَاكَ ؛ فَأَعْظَمْتُ ذَلِكَ . فَقَالَ : يَا عَمَّ لَا تُعْظِمُهُ فَإِنَّ لِي عَمْرًا لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ؛

فحياتي مع الأحبة أطيب من تجرعي فقدهم ، وليس يضرتني عيش من عاشر
بعدي منهم .

حدثني بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال :
كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيته ؛ فغنيته :
صوت

غنى للأمين لحنا
فطرب وطلب إليه
أن يلقنه إحدى
جواريه ، وقصة
ذلك

أَقَوْتُ مَنَازِلُ بِالْهَضَابِ * مِنْ آلِ هِنْدٍ وَالرَّيَابِ
خَطَّارَةٌ بِزِمَامِهَا * وَإِذَا وَنَتْ ذُلُّ الزَّكَابِ
تَرَى الْحَصَا بِمَنَاسِمِ * صُمَّ صَلَادِيَةِ صِلَابِ

قال : فاستحسن اللحن وسألني عن صانعه ؛ فعرفته أن ابن جامع حدثني عن سيّاط
أنه لابن عائشة ؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزها ، ثم أنصرفنا ليلتنا تلك . ووافاني رسوله
حين انتهت من النوم وأنا أستاك ، فقال لي : يقول لك : بحياتي باعم لا تستغل بعد
الصلاة بشيء غير الركوب الى . فصليت وتناولت طعاماً خفيفاً وأنا ألبس ثيابي خوفاً
من رجوع رسوله ، وركبت إليه . فلما رآني من بعيد صاح بي : يا عم بحياتي :
* خطّارة بزمامها *

٦٦
٩

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنيته ؛ فأمر باحضار صبيّة كان يتخطّاها ، فأخرجت إلى
صبيّة كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : بحياتي يا عم ألقه عليها ! فأعدته مراراً وهو
يشرب ؛ حتى إذا ظننت أنها قد أخذته أمرتها أن تغنيه فغنته ، فإذا هو قد استوى لها
إلا في موضع كان فيه وكان صعباً جداً فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً لمسرته ، وكان
حقيقاً مني بذلك ، فلم يقع لها البتة . ورأى جهدي في أمرها وتعدّره عليها ، فأقبل عليها

(١) ذال : جمع ذلول وهو السهل المتقاد من الناس والدواب ، الذكر والأنثى فيه سواء .

وقد سكر ثم قال : نُفِيتُ من الرشيد وكلُّ أمةٍ لي حرةٌ وعلى عهد الله إن لم تأخذه
 في المرة الثالثة لأمرك بالقائك في دجلة ! قال : ودجلة تطفح وبيتنا وبيننا نحو ذراعين
 وذلك في الربيع ، فتأملتُ القصة ، فاذا هو قد سكر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله
 أبداً . فقلت : هذه والله داهية ، ويتغنص عليه يومه وأشرك في دمها ، فعدلتُ عما
 كنتُ أغنيته عليه وتركته ما كنتُ أقوله ، وغنيته كما كانت هي تقوله ، وجعلتُ
 أردده حتى آتقت ثلاث مرّات أعيد فيه على ما كانت هي تقوله ، وأريته أني
 أجتهد ، فلما آتقت الثلاث المرات قلت لها : هاتيه الآن ، فغنته على ما كان وقع لها .
 فقلت : أحسنت يا أمير المؤمنين ، رددته معها ثلاث مرّات ، فطابت نفسه
 وسكن ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم . قال بحظّة : وقد لحقني مثل هذا ؛ فإن طرخان^(١)

حدث بالمحظة
 مع طرخان
 ما حدث له هو مع
 الأمين

١٠ ابن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنيته وهو :

أعياني الشادن الربيب * أكتب أشكو فلا يجيب
 من أين أبني شفاء دائي * وإنما دائي الطبيب

— ولحنه رمل — فقال : أحب أن تطرحه على زهرة جاري ، فمكثتُ أتردد
 إليها شهراً وأكثر وأردده عليها وهو يصلي ويخلع عليّ ويعطيني كلّ شيء حسن
 يكون في مجلسه ، فلا تأخذه مني ولا يقع لها . فلما كان بعد شهر قلت له : أيها الأمير
 ١٥ قد والله استحييت من كثرة ما تُعطيني بسبب هذا الصوت ، وقد أعياني أن تأخذه
 زهرة ؛ ثم حدثته حديث إبراهيم بن المهدي وقلت له : لولا أني آمنك عليها لقلته
 أنا كما تقوله هي حتى نتخلص جميعاً . وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه
 حيلة . فقال لي : فدعه إذا .

٢٠ (١) كان من الأمراء . (انظر الكلام عليه في صلة تاريخ الطبري ص ٦٣) .

حدثني بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن
بُسْخَر قال :
غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون :

غنى بحضرة
المأمون لخنا وأراد
ابن بسخر أن
يأخذه عنه فضله

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنيس * والرّحل ذى الأنساع والحلّيس
أما النهارُ فانت تقطعه * رنكاً وتصبح مثل ما تُمسي

— في هذين البيتين لحن لما لك خفيف ثقيل عن يونس والحشامى . قال : ولعبد فيه
ثقل أول ، وقد نسب قوم لحن كلّ واحد منهما الى الآخر . قال محمد بن الحارث
ابن بسخر في الخبر : واللحن لما لك بن أبي السّمح وهو من قيصاره ، هكذا في الخبر —
قال : فأستحسنه المأمون ، وذهبت أخذه ، ففطن لي إبراهيم فجعل يزيد فيه مرةً ويتقص
منه أخرى بزوائد التي كان يعملها في الغناء ، وعلمت ما هو يصنع فتركته . فلما قام
قلت للمأمون : يا سيدي إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يُلقى عليّ :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

قال : أفعل . فلما عاد قال له : يا إبراهيم ألق عليّ محمد :

* يا صاح يا ذا الضامر العنيس *

فالتقاء عليّ كما كان يغنيه مُغيّراً ، ثم أنقضي المجلس وسكر المأمون . فقال لي إبراهيم :
قم الآن فانت أحنق الناس به ، فخرجتُ وخرج . ثم جئتُ الى منزله فقلت له :
ما في الأرض أعجب منك ! أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة تبخل عليّ
وليّ لك مثلي لا يُفانرك بالغناء ولا يكثر بك بصوت ! فقال لي : يا محمد ما في الدنيا
أضعف عقلاً منك ! والله ما أستبقاني المأمون محبةً لي ولا صلةً لرحمي ، ولكنه
سمع من هذا الحرم شيئاً فقدّه من سواه فأستبقاني لذلك . فغاضني فعله . فلما دخلتُ

على المأمون حدثته بما قال لى . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمة !
وأطرق ملياً ثم قال لى : لا نكدر على أبى إسحاق عقونا عنه ولا تقطع رحمته ، فدغ
هذا الصوت الذى ضنَّ به عليك الى لعنة الله .

حدثنى الحسن بن على قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنى
محمد بن يزيد قال :

قال بيتا يكيد به
لدعبل

قلت لدعبل : بالله أسألك أنت القائل :

كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة * إذا حُسبوا يوماً وثامنهم كلبُ
فقال : لا والله ! فقلت : مَنْ قاله ؟ قال : مرَّ حشا الله قبره ناراً إبراهيم بن المهدي ،
كافأنى بذلك عن هجائى إياه ليشيط بدى^(١) .

أخبرنى محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثنى محمد بن الحارث
ابن بسخر قال :

خطأ مخارقاً فى لحن
غناه للمأمون ثم
لقنه إياه على وجهه

لما رضى المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه ، دخل عليه متبذلاً
فى ثياب المغننين وزينهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عمى ثياب الكبر عن منكبيه .
فدخل وجلس ، وأمر المأمون بأن يُخلع عليه فأليس الخلع . ثم أبتدأ مخارق فغنى :

صوت

خليلى من كعب ألياً هديتاً * بزئب لا يفقدك أبداً كعبُ
من اليوم زوراها فإت مطينا * غداة غد عنها وعن أهلها نكب^(٢)

فقال له إبراهيم : أسأت وأخطأت . فقال له المأمون : يا عم إن كان أساء وأخطأ
فأحسن أنت . فغنى إبراهيم الصوت . فلما فرغ منه قال لمخارق : أعدّه الآن ، فأعاده
فأحسن . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه فى أول الأمر ؟

(١) أشاط دمه وبدمه : أذهبه . (٢) نكب : ماثلت ، واحدها أنكب ونكبا .

قال : ما أبعد ما بينهما ! فالتفت إلى مخارق ثم قال : إنما مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشيِّ الفاسخ، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه الغبار فحال لونه، فإذا نُفِصَ، عاد إلى جوهره .

أخبرني جعفر بن قدامة^(١) قال حدثني شارية الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي^(٢) قالت : سمعت مولاى إبراهيم بن المهدي يحدث قال :

سأله الرشيد عن
أحسن الأسماء
واسمها فأجابته

كنت بين يدي الرشيد جالسا على طرف حرافة من حرافاته وهو يريد الموصل وقد بلغنا إلى السوِّدقانية، والمدَّادون يمدُّون السفن، والشَّطْرُجُ بيني وبينه، والدَّسْتُ متوجِّه له، إذ أطرق هُتَيْهَةٌ ثم قال، لى : يا بن أُمِّ، ما أحسنُ الأسماء عندك ؟ قلت : محمد اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أى شىء بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أَسْمَحُ الأسماء ؟ قلت : إبراهيم . فزجرتى ثم قال : ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ! فقلت له : بشؤم هذا الاسم لقي من تمرود ما لقي وطُرح في النار . قال : إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا جرم أنه لم يُعَمَّر من أجله . قال : إبراهيم الإمام ؟ قلتُ بحرفة اسمه قتله مروان في حران^(٣) . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيم بن الوليد خُلِعَ ، وإبراهيم بن عبد الله بن حسن قُتِلَ ، وعمه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجَن فمات ، وما رأيتُ والله أحدا يُسمَّى

٦٨
٩

(١) في ب ، س : « جعفر بن محمد بن قدامة » . وقد تقدم هذا الاسم في رجال السند غير مرة .

(٢) ظاهر من السياق أنها موضع . (٣) كذا في الأصول وهو تحريف والمعنى المراد واضح

أذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك . (٤) في بعض الأصول هكذا : « في جراب النورة »

وفي بعضها : « في حراب النورة » وكلاهما تحريف . والمذكور في كتب التاريخ : أن إبراهيم بن محمد بن

على بن عبد الله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتله مروان بن محمد وهو في سجن بحران ، وقيل : إنه مات

بالتعاون فيه ، وقيل : إنه مات مسبوما . وحران مدينة عظيمة وهي قصبة ديار مصر على طريق الموصل والشام

والروم . (انظر تاريخ الطبري ق ٣ ص ٢٤ — ٢٧ ومعجم البلدان لياقوت في الكلام على « حران ») .

بهذا الاسم إلا قُتِلَ أو نُكِبَ أو رَأَيْتُهُ مَضْرُوبًا أو مَقْدُوفًا أو مَظْلُومًا . ثم ما انقضت
الكلام حتى سمعت مَلَّاحًا يَصِيحُ بِأَنَّهُ : مُدَّ يَا إِبْرَاهِيمُ يَا عَاظُ بَطْرَ أُمِّهِ مُدَّ . فقلت له :
أَبَقِيَ لَكَ شَيْءٌ بَعْدَ هَذَا ! لَيْسَ وَاللَّهِ فِي الدُّنْيَا أَسْمَ أَشْأَمَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَالسَّلَامَ . فَضَحِكَ
وَاللَّهِ حَتَّى أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ .

٥ حَدَّثَنِي بِحُظَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
دَخَلَ ابْنُ سِنِّ بْنِ مَهْلٍ عَلَى الْمَأمُونِ وَهُوَ يَشْرَبُ ؛ فَقَالَ لَهُ : بِحَيَاتِي وَبِحَقِّي عَلَيْكَ
يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِلَّا شَرِبْتَ مَعِيَ قَدَحًا ، وَصَبَّ لَهُ مِنْ نَبِيذِهِ قَدَحًا . فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ :
مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَغْنِيكَ ؟ فَأَوْمَأَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ الْمَأمُونُ : غَنِّهُ يَاعَمُّ ؛ فغَنَّا :
* تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَسَوَاسًا إِذَا آنَصَرَفْتُ *

غنى للمأمون لحنا
عرض فيه بالحسن
ابن مهمل

١٠ يَعْرِضُ بِهِ لِمَا كَانَ لِحَقِّهِ مِنَ السُّودَاءِ وَالْإِخْتِلَاطِ . فَغَضِبَ الْمَأمُونُ حَتَّى ظَنَّ إِبْرَاهِيمَ
أَنَّهُ سَيُوقِعُ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَبَيْتَ إِلَّا كُفْرًا يَا أَكْفَرَ خَلْقِ اللَّهِ لِنِعْمِهِ ! وَاللَّهِ مَا حَقَّنَ
دَمَكَ غَيْرُهُ ! وَلَقَدْ ، أَرَدْتُ قَتْلَكَ فَقَالَ لِي : إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَعَلْتُ فَعَلًا لَمْ يَسْقِطْ
إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَعَفَوْتُ وَاللَّهِ عَنْكَ لِقَوْلِهِ . أَخَفُّهُ أَنْ تَعْرِضَ بِهِ وَلَا تَدَّعِ كَيْدَكَ وَلَا دَعْلَكَ !
أَوْ أَنْفَتَ مِنْ إِيْمَانِهِ إِلَيْكَ بِالْغِنَاءِ ! . فَوَثَبَ إِبْرَاهِيمُ قَائِمًا وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
لَمْ أَذْهَبْ حَيْثُ ظَنَنْتَ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ ؛ فَأَعْرَضَ عَنْهُ .

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَرِيرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ
قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي عَنْ أَبِي قَالَ :

غنى للعنصم لحنا
وسمعه أحمد بن
أبي دواد قال للغناء
بعد أن كان يتجنبه

كُنْتُ أَتَجَنَّبُ الْغِنَاءَ وَأَطْعَنُ عَلَى أَهْلِهِ وَأَذْمُ لَهْجَهُمْ بِهِ ؛ فَوَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ عِنْدَ
خُرُوجِهِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ : الْحَقُّ بِي ؛ فَلَحِقْتُ بِهِ بِيَابِ الشَّمَايَةِ وَمَعِيَ غِلَامِي
زَنْقَطَةُ ، فَوَجَدْتَهُ قَدْ رَكِبَ الزُّورِقَ ، وَسَمِعْتُ عَنْهُ صَوْتًا أَذْهَلَنِي حَتَّى سَقَطَ سَوْطِي .

٢٠

من يدي ولم أشعربه ، ثم أحتجت وقد أعتق بي رذوني أن أكفّه بسوطي .
فقلت لغلامي : هات سوطك ؛ فقال : سقط والله من يدي لما سمعت هذا
الغناء . فغلبني الضحك حتى بان في وجهي . ودخلت إلى المعتصم بتلك الحال . فلما
رأني قال لي : ما يضحكك يا أبا عبد الله ؟ فحدثته ، فقال : أتوب الآن من الطعن علينا
في السماع ؟ فقلت له : قبل ذلك من كان يغنيك ؟ قال : عمي إبراهيم ، كان يغنيني :
إن هذا الطويل من آل حفص * أنشأ المجد بعد ما كانت . مانا

ثم قال : أعده يا عم ليسمعه أبو عبد الله فإنني أعلم أنه لا يدع مذهبه . فقلت : بلى
والله لأدعنه في هذا ولا لك عليه . فقال : أما إذا كانت توبته على يدك يا عم
فلقد فزت بفخرها وعدلت برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا .

٦٩
٩

فضله محارق على
نفسه وعلى إبراهيم
الموصلی وابن جامع

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال
حدثني الحسين بن إبراهيم قال :

كنت أسأل محارقاً : أي الناس أحسن غناء ؟ فيجيبني جواباً بجملاً حتى خففت
عليه يوماً قال : كان إبراهيم الموصلی أحسن غناء من ابن جامع بعشر طبقات ،
وأنا أحسن غناء من إبراهيم الموصلی بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسن
غناء مني بعشر طبقات ، قال ثم قال لي : أحسن الناس غناءً أحسنهم صوتاً ،
وإبراهيم بن المهدي أحسن الجن والإنس والوحش والطيور صوتاً ، وحسبك هذا .

سمع إتيان الموصلی
صوتاً من لحنه
وشعره فطرب له
واستعاده عامة
يومه وقصة ذلك

حدثني علي بن هارون المنجم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال
سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجرجاني قال :

(١) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « إذا » وهو تحريف . (٢) في ب ، س : « الحسين
ابن إبراهيم بن رباح » وورد في الأصول المخطوطة كما أثبتناه . (٣) يقال خفه القوم وبه وحواليه
إذا أهدقوا به وأطافوا وعكفوا ، فلمله يريد هنا حتى أهدقت به مضيقاً عليه بالجواب . (٤) كذا
في الطبري (ق ٣ ض ١٣٧٩ ، ١٤٠٧ ، ١٥١٤) وفي الأصول : « الجرجاني » وهو تحريف .

انتهت يوماً مغسلاً، فدخل إلى الغلام فقال لي: إسحاق الموصليّ بالبواب قبل
 أنت أصلّ الغداة. فقلت: يدخل، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق! فدخل
 فقال: حملني الشوق إليك على أن بكرتُ هذا البُكور، وقد حملتُ معي نبيذِي
 وعملتُ على المقام عندك. فقلت: مرحباً بك وأهلاً. ودعوت طباخي فسألته
 عما في المطبخ، فذكر أشياء يسيرة، منها قطعة جدي وطباخي^(١) ودراج معلق. فقال:
 ما أريد غير ذلك، هات الساعة. فقلت للطباخ: عجل بإحضاره، وعملتُ على الأكل
 معه وعلى أن نأخذ في شأننا. فدخل حاجي فقال: رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم
 بالبواب، وإذا قرأتِ يذكرك أنه وجه به إلى محمد بن الفضل ليُحضّره. قال فقال لي
 إسحاق: قم في حفظ الله وأجتهِد في أن نتعجل. قال: فتقدّمت إلى الخادم بإخراج
 الحوارى إليه ووضعت التبيذ بين يديه، وليست ثيابي ونرجعت وركبت. فلما
 سرت قليلاً قلت في نفسي: أنا أخسر الناس صفقة إن تركتُ إسحاق بن إبراهيم
 الموصليّ في منزلي ومضيتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ، ولا أدري ما يريد مني.
 فقلت لقراني: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قلت: تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي
 فتقول: إنك وجدتي شارب دواء. قال نعم. فدفعْتُ إليه ثلاثين درهماً، وختمتُ له
 ختماً ورجعت. فقال لي إسحاق: أسرعت الكربة، فأخبرته بما صنعتُ، فقال وفقت.
 جلست وكان يأكل فأكلت معه، فأخذنا في شأننا. ونخرج الحوارى إلينا فغبتين
 حتى مرّ صوت إبراهيم بن المهديّ في شعره وهو:

جدّد الحبّ بلأياً * أمرها ليس يسيراً

(١) الطباخي: الكباب. (فارسي معرب). والدراج: ضرب من الطير يطلق على الذكر والأنثى.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق، وهو من أرباب
 المكانة العالية في الرواية والأدب وقد الفناء. (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج لملاحظ ص ٣١).

— رَحْنُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي — قَالَ : فَطَرِبَ إِسْحَاقُ طَرِبًا مَا رَأَيْتُهُ طَرِبَ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَعَجِبَ مِنْ إِحْسَانِهِ فِي صَنْعَتِهِ وَجُودَةِ قِسْمَتِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ صَوْتَنَا يَوْمَنَا أَجْمَعَ لَا نَفْقَى غَيْرَهُ حَتَّى شَرِبَ إِسْحَاقُ قَطْرَ مِيزِهِ ^(١) ، وَفِيهِ مِنَ الْمَشْمَسِ الَّذِي كَانَ يَشْرِبُهُ ثَلَاثَةَ عَشْرِ رَطْلًا ، وَكَلَّمَا حَضَرْتُ صَلَاةً قَامَ إِسْحَاقُ بِصَلَّى بِنَا ، فَصَلَّى بِنَا الْعَتَمَةَ وَقَدْ فَنَى قَطْرَ مِيزِهِ فَشَرِبَ مِنْ نَبِيذِي رَطْلَيْنِ عَلَى الصَّوْتِ . قَالَ : وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ يَتَزَلُّ بِسُوقِ الثَّلَاثَاءِ وَإِسْحَاقُ يَتَزَلُّ عَلَى نَهْرِ الْمَهْدِيِّ . وَقَدْ وَزَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ لِلتَّوَكُّلِ قَبْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى .

نسبة هذا الصوت

$$\frac{٧٠}{٩}$$

جَدَّ الْحَبِّ بِأَلَايَا * أَمْرُهَا لَيْسَ يَسِيرًا

كَبِيرَ الْحَبِّ وَقَدَمًا * كَانَ إِذَا حُلَّ صَغِيرًا

ذَلَّلَ الْحَبِّ رِقَابًا ^(٢) * كَانَ أَدْنَاهَا عَسِيرًا

لَيْسَ لِي مِنْ حَبِّ الْغَنَى * غَيْرُ حَرَمَانِي السَّرُورَا

الشَّعْرُ وَالْغِنَاءُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ثَانِي ثَقِيل .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى قَالَ :

أَحَبُّ جَارِيَةٍ عِنْدَ
بَعْضِ أَهْلِهِ وَقَالَ
فِيهَا شَعْرًا

اسْتَشْرَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِهِ مِنَ النِّسَاءِ ، فَوَكَّلْتُ بِخِدْمَتِهِ جَارِيَةً جَمِيلَةً وَقَالَتْ لَهَا : إِنْ أَرَادَكَ لَشَيْءٌ فَطَاوَعِيهِ وَأَعْلَمِيهِ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّسِعَ لَهُ ، فَكَانَتْ تُؤْفِيهِ حَقَّهُ فِي الْخِدْمَةِ وَالْإِعْظَامِ وَلَا تُعَلِّمُهُ بِمَا قَالَتْ لَهَا ؛ فَجَلَّ مَقْدَارُهَا فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ قَبَّلَ يَوْمًا يَدَهَا ، فَقَبَّلَتِ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ :

يَا غَزَا لِي إِلَيْهِ * شَافَعَنِي مِنْ مُقَلَّتِيهِ

(١) القطر ميز : قلة كبيرة من الزجاج ، فارسي معرب . (٢) كذا في ج و لعله يعني به نبذا من الأنبذة صنع في الشمس . وفي أ ، م : « المششى » . وفي ب ، س : « المششى » . (٣) في أ ، م : « ملك » .

١٠

١٥

٢٠

والذى أجلتُ خَدَّ * يه فقبَلْتُ يَدَيْه
بأبى وجهك ما أكر * ثر حُسادى عليه
أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّ * يَف إحسانٌ إليه

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحناً فى طريقة المنزج .

وقال أحمد بن أبى طاهر :

غنى للمأمون بشعر له
وكان يخشى بطشه
فرق له وأمنه

غَنَّى إبراهيم بن المهديّ يوماً والمأمون مُصْطَبِحٌ ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكره :
ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ منى * هوى الدهرُ بى عنها وولّى بها عَنى

فرَّقَ له المأمون لما سمعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد
أمير المؤمنين ، فطَبَّ نفساً ؛ فإن الله قد أمّنك إلّا أن تُحدِثَ حَدَثًا يشهد عليك فيه
عَدْلٌ ، وأرجو إلّا يكون منك حَدَثٌ إن شاء الله .

نسبة هذا الصوت

صوت

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتُ منى * هوى الدهرُ بى عنها وولّى بها عَنى
فإن أبك نفسك أبك نفساً نفيسةً * وإن أحتسبها أحتسبها على ضَنّ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهديّ ثانى ثقليل بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم
ابن المهديّ لما أخرج الجُنْدُ عيسى بن محمد ابن أنحى خالد من الحبس ، وله فى ذلك
خبر طويل ، وقد شَرَطْنَا إلّا نذكر من أخباره إلّا ما كان من جنس الغناء .
وفى هذه القصيدة يقول :

(١) كان من القواد ، وقد ناصر إبراهيم بن المهديّ فى وثوبه على الخلافة ، وكان من وجوه شيعته

ثم غضب عليه وأمر بضربه وحبسـه لخيانة ظهرت منه . (انظر تاريخ الطبرى ق ٣ ص ١٠٠٢ ،

١٠٠٤ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠١١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣٤) .

وَأَفَاتَنِي عَيْسَى وَكَانَتْ خَدِيعَةً * حَلَّتْ بِهَا مُلْكِي وَفُلَّتْ بِهَا سَيْتِي

قال ابن أبي طاهر وحدثني أبو بكر بن الخصب قال حدثني محمد بن إبراهيم قال :
غنى إبراهيم بن المهدي يوماً عند المأمون فأحسن ، وبحضرة المأمون كاتبٌ لطاهر
يُكنى أبا زيد ، فطرب حتى وثب فأخذ طرف ثوب إبراهيم فقبله . فنظر إليه المأمون
مُنْكَرًا لفعله . فقال ما تنظر ! أقبِّله والله ولو قُتِلْتُ عليه ! فبَسَمَ المأمون وقال : أبيتَ
إِلَّا ظَرْفًا .

١١
٩

أراد الحسن بن
سهل أن يضع مـهـ
فعرض هو به

قال ابن أبي طاهر وحدثني علي بن محمد قال سمعت بعض أصحابنا يقول :

اجتمع إبراهيم بن المهدي والحسن بن سهل عند المأمون ؛ فأراد الحسن أن
يضع من إبراهيم فقال له : يا أبا إسحاق أي صوت تغنيه العرب أحسن ؟ يريد
بذلك أن يُشهر إبراهيم بالغناء والعلم به . فقال إبراهيم : بيت الأعشى :

* تَسْمَعُ لِلْحَيِّ وَسَوَاسًا إِذَا أَنْصَرَفَتْ *

أي لآنك مؤسوس ، وكان بالحسن شيء من هذا .

أخبرني عمي عن جدي عن علي بن يحيى المنجم قال :

غنت مغنية وإبراهيم بن المهدي حاضر :

* مَنْ رَأَى نُوقًا غَدَتْ تَحَرًّا *

فقال إبراهيم : أنا رأيت هذا . قيل له : وأين رأيته أيها الأمير ؟ قال : رأيت
ولد علي بن ربيعة يَمْضُون في السَّحَر إلى الصيد .

سمعه رومية
أعجمية فبكت
تأثرا من صوته

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عليل العتري قال حدثني

بعض الكتاب عن ريق قالت :

خرجتُ يوما الى سيدي (تغني إبراهيم بن المهدي) وقد صنع لحنه في:

وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشترى * فسواك بائعها وأنت المشتري

وإذا صنعت صنعةً أتممتها * بيسدين ليس نداهما بمكدر

وجارية لنا روميسة أعجمية لا تُفصح في أقصى الدار تكنس، وهو يطرح الصوت على شارية، والأعجمية تبكي أحرباء سمعته قط، فجعلتُ أعجب من بكائها وأنظر إليها حتى سكّت، فلما سكّت قطع البكاء، فعلمتُ أن هذا من غلبته بحسن صوته لكل طبع فصيح وأنجى.

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكي وابن أبي الأزهري عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

غنى الأمين
صوتا فأجازه

غنى إبراهيم بن المهدي ليلةً حمداً الأمين صوتاً لم أرضه في شعراً بي نواس وهو:

يا كثير النوح في الدمن * لا عليها بل على السكين

سنة العشاق واحدة * فإذا أحبت فاستكين

ظن بي من قد كلفت به * فهو يحفوني على الظن

رشاً لولا ملاحظته * خلت الدنيا من الفتن

فأمر له بثلاثة ألف درهم. قال إسحاق فقال إبراهيم له: يا أمير المؤمنين قد أجزتني

إلى هذه الغاية بعشرين ألف درهم، فقال: هل هي إلا خراج بعض الكور! هكذا

ذكر إسحاق. وقد روى محمد بن الحارث بن بسخر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال:

لما أردت الانصراف قال: أوقروا زورق عمي دنائير، فأنصرفت بمال جليل.

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهشام عن أهله

قال قال إبراهيم بن المهدي: وقد خرج إلى ذكر الطبل والإيقاع به — فقال إبراهيم:

كان يحسن
الإيقاع على الطبل
والنأي

(١) في ب، س: «دينار». (٢) في ب، س: «بعشرين ألف ألف درهم هل هي الخ».

هو من الآلات التي لا يجوز أن تُبلغ نهايتها، فقليل له : وكيف خُصَّ الطُّبْل بذلك؟ فقال : لأنَّ عمل اليدين فيه عملٌ واحد، ولا بُدَّ من أن يُلحَق اليسار فيه تَقْصُّ عين اليمين، ودعا بالطُّبْل ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم نكن نظنُّ أن مثله يكون، وهو مع ذلك يرينا موضعَ زيادة اليمين على اليسار . قال وقال له الأمين في بعض خَلَوَاتِه : يا عمَّ أشتى أن أراك تَرمُرُ . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما وضعتُ على فمي نائياً قط ولا أضعُه ، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة — من موالى المهدي — حتى تَنفُخ في النَّاي وأمرَ يدي عليه . فأحضرتُ ووضعتُ النَّاي على فيها وأمسكه إبراهيم ، فكلما مرَّ الهواء أمرَّ أصابعه ، فأجمع سائرُ من حضر على أنه لم يسمع مثله قط .

٧٢
٩

وأخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال، حدثني عبيد الله حسن ترجمه
ابن عبد الله وأبو عبد الله الهشاميّ قالوا :
في الحن

كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه :

هل تَطْمِسُون من السماء نُجُومَهَا * بأَكْفَمٍ أو تَسْثُرُون هَلالَهَا
فبلغ الى قوله :

* جبريلُ بَلَّغها النبيُّ فقالها *

هَزَّ حَلَقَه فيه ورَجَعَه ترجيعاً تَنَزَّل منهُ الأَرْضُ . ١٥

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني غنت متيم الهشامية
لحناً فاخترلس
إيقاعه منها
الهشاميّ قال :

كانت متيم الهشامية ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر، فتغنّت متيم في الثقل الأول :

* لزيّنَبَ طيفٌ تعتريني طوارقُه *

فأشار إليهم إبراهيم أن يُعيدوه . فقالت مَتَمِّمٌ للمعتصم : يا سيدي إن إبراهيم يَستعيدني الصوتَ وأظنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تُعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً يجلس المعتصم وكانت مَتَمِّمٌ غائبةً عنه ، فأنصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومَتَمِّمٌ في منزله بالميدان وطريقه عليها وهي في مَنظَرَةٍ لها مُشْرِفَةٌ على الطريق وهي تَطْرَحُ هذا الصوتَ على بعض جَواري بني هاشم ، فتقدَّم إلى المَنظَرَةِ على دابته وتطاول حتى أخذ الصوتَ ، ثم ضرب بابَ المَنظَرَةِ بِمَقْرَعَتِهِ وقال : قد أخذناه بلا حَمْدِكَ .

نسبة هذا الصوت

لَزِينَبَ طَيْفٌ تَعْتَرِينِي طَوَارِقُهُ ١ هُدُوءًا إِذَا النَّجْمُ أَرَجَحْنَتْ لَوَاحِقُهُ
سَيُيَكِّكَ مِرْنَانُ الْعِشِيِّ يُبَيِّيه ٢ * لَطِيفُ بَنَانِ الْكَفِّ دُرْمٌ مَرَّافِقُهُ
إِذَا مَا بَسَاطُ اللَّهِوِمْدٌ وَقُرْبَتْ * لِلذَّاتِ أَنْمَاطُهُ وَنَمَارِقُهُ ٣
الشعر للثُمَيْرِيِّ . والغناء لمعبد ، ولحنه من القَدَرِ الأوسط من الثَّقِيلِ الأول بالنصر في مجراها عن إسحاق . وفيه لما لك خفيفٌ ثَقِيلٌ أول بالنصر عن يونس والحِشَامِيِّ .

أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

كان محمد بن موسى المنجَمُ يقول : حَكَّتْ أَتَّ إبراهيم بن المهدي أحسنُ الناس كلهم غناءً ببرهان ، وذلك أني كنتُ أراه يجالس الخلفاء مثل الماءون والمعتصم يعني ١٥ المغنون ويعني ، فإذا أبتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمُتَصَرِّفِينَ في الخِدْمَةِ وأصحاب الصناعات والمِهْنِ الصَّغَارِ واليُكَّارِ أَحَدٌ إِلَّا تَرَكَ مَا فِي يَدِهِ وَقَرُبَ مِنْ أَقْرَبِ مَوْضِعٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ ، فَلَا يَزَالُ مُضْغِيًّا إِلَيْهِ لَاهِيًّا عَمَّا كَانَ فِيهِ مَا دَامَ يُعْنِي ، حتى إذا أَمْسَكَ وَتَعْنَى غَيْرُهُ رَجَعُوا إِلَى التَّشَاغُلِ بِمَا كَانُوا فِيهِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى مَا يَسْمَعُونَ .

برهان محمد بن موسى المنجَم على أنه أحسن الناس غناءً

٢٠ (١) أربحن النجم : مال نحو المغرب . (٢) المرنان : الكثير الرنين ، ويقال : سحابة مرنان وقوس مرنان ، أي كثيرة الرنين . والمراد هنا : آلة الطرب . (٣) درم : جمع أدرم وهو من لاجم لعظامه . (٤) نسب هذا البيت في الكامل للبرد ص ٧٠٨ طبع أوربا لنصيب .

ولا برهانه أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفطن له واتفاق الطبائع — مع اختلافها وتشتب طرقيها — على الميل إليه والالتقاد له .

كانت له أشياء لم
يكن لأحد مثلها
٧٣
٩

حدثني أحمد بن جعفر بحظّة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال : قلت للمعتمد : كانت لأبي أشياء لم يكن لأحد مثلها . فقال : وما هي ؟ قلت : شارية وزايرتها معمعة . فقال : أما شارية فعندنا ، فما فعلت الزايرة ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : وساقيته مكنونة ، ولم ير أحسن وجهاً ولا ألين ولا أظرف منها . قال : فما فعلت ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نخلة كانت تحمل رطباً طول الرطبة منها شبر . قال : فما فعلت ؟ قلت : بجرتها بعد وفاته . قال : وماذا ؟ قلت : قدح الصّحاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعة والله حجمني فيه أبو حرمة فسألته أن يهبه لي ففعل ، ووجهت به إلى منزلي فغسل ونظف وأعيد إلى خزانتي ، فرأيت أبي فيما يرى النائم في ليلتي تلك وهو يقول لي :

أُتِرْعُ صُخْرًا دَمَا بَعْدَ مَا عَدْتُ * عَلَىٰ بِهِ مَكْنُونَةٌ مُتْرَعًا نَحْمَرَا
فَإِنْ كُنْتَ مِنِّي أَوْ تَحَبَّ مَسْرَقِي * فَلَا تُغْفِلَنَّ قَبْلَ الصَّبَاحِ لَهُ كَسْرَا
فَأَنْتَبَهْتُ فَرَمًا وَمَا فَرَقَ الصَّبِيحُ حَتَّى كَسَرْتُهُ .

كتب إليه إسحاق
الموصلي فأجابه

فأما المماظة التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طرف . ونذكرها هنا منها ما جرى مجرى محاسن إبراهيم والقيام بحجته إن كانت له ، وعذره فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فن ذلك نسخت من كتاب أعطانيه أبو الفضل العباس بن أحمد بن ثوابة رحمه الله بخط إسحاق في قرطاس — وأنا أعرف خطه — وجواب إبراهيم بن المهدي في ظهره بخط ضعيف وأظنه خطه ؛ لأنه لو كان خط

(١) جمر النخلة : قطع جمارها . (٢) فرق الصبح : تبين واتضح . (٣) المماظة : الخاصة والمنازة . (٤) في الأصول : « وعذر » من غير هاء الضمير .

(١) كاتب لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أول الكتاب فذهب به أول
الابتداء والجواب ، ونسخت بقيته ؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق :
وكنْتَ — جُعِلْتُ فِدَاءَكَ — كتبت في كتابك الى محمد بن واضح تذكر أنك
مولاي وسيدى . فتي دفعت ذلك ! وهل لي نغز غيره ! أو لأحد علي وعلى أبي رحمه الله
من قبلي نعمة سواكم ! . وأحب ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يبتليني
الله بذلك إن شاء الله . فأما ذكرك — جُعِلْتُ فِدَاءَكَ — الصنعة فقد أجل الله
قدرك عن الحاجة الى دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكين فانت تعلم أني
لم أأخذ ما نحن فيه صنعة قط ، وأنى لم أُرِدْها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم
واليكم . فليس ينبغي أن يعيبنى ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعيبنى به إذ كان
لكم . وقد علمت أنك لم تضعني من علويه ومخارق بحيث وضعتني إلا لغضب
أحوجك الى ذلك ، وإلا فانت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الراحة
منهما بمنقهما أو تخليص سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعهما أو حمداً اكتسبه بثنهما ،
فكيف أظن أنى عندك مثلهما ، أو أنك تقرنني إليهما وتذكرني معهما ! . أو تلومني
الآن على أن أحرص فلا أنطق بحرف ، وأن أفر من الغناء فرارك من الخطأ فيه ،
وأمتعض منه أمتعاضك ممن يخفى عليك شيئاً من علومه ! . كيف ترى — جُعِلْتُ
فِدَاءَكَ — الآن سبأى وأنت ترى أن أحداً لا يحسن السب غيرك ! . قد أحدثت لي —
جعلت فداءك — أدباً وزدتني بصيرة فيما أحب من تركه وترك الكلام فيه .
فإن ظننت أن هذا فرار من الحجّة وتعريد عن المناظرة ، كما قلت ، فقد ظفرت
وبصرت إلى ما أحببت ؛ وإلا فانه لا ينبغي للحر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرفته ،

٢٠ (١) كذا في ب ، س . وفي سائر النسخ : « كتابه » . (٢) كذا في أ ، م . وفي سائر
النسخ : « مولى وسيد » . (٣) كذا في الأصول ولعل صوابه : « ولا أحب ذلك أن يكون الخ » .
(٤) في الأصول : « تقرنني » وهو محريف . (٥) كذا في الأصول . (٦) التعريد : الفرار .

٧٤
٩

- ولا لعاقلي أن يبذل ما عنده لمن لا يحمده، ولعله لا يقلب العين فيه حتى يلحقه ما يكره منه. وأما ما قاله أبي - رحمه الله - من أنه لم يزل يتمنى أن يرى من سادته من يعرف قدره حق معرفته ويبلغ علمه بهذه الصناعة الغاية العظمى حتى رآك، فقد صدق، ما زال يتمنى ذلك وما زلت أتمناه، فهل رأيت - جعلت فداءك - ^(١) حظي منه إلا بأن ساويت به من لم يكن يساوي شسعته، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضله عليه، لا تنفعه عندك معرفة به، ولا رعاية لطول الصُحبة والخدمة، ولا حفظ لآثار محمودية باقية نذكرها ونحتج بها. ثم ها أنا من بعده تضعني بالموضع الذي تضعني به، وتنسبني إلى ما تنسبني إليه؛ لأنني توخيت الصواب وأجهدت في البذل والمناصحة، لا يدفعك عني حفظ لسلف، ولا صيانة لخلف، ولا استدامة لقديم مانع، ولا مصانعة لما تطلب، ولا ولاء مما أكره أن أقوله. فما أرى - جعلت فداءك - من معرفتك بما في أيدينا إلا تجرع الحسرات، وتطلبك لنا العثرات، والله المستعان، كيف أصنع جعلت فداءك! إن سكنت لم تقبل ذلك مني، وإن صدقت كذبتني، وإن كذبت ظفرت بي، وإن مزحت لأطربك وأضحكك وأقرب من أنيسك وأخذ بنصيب من كرمك غصبت وسببت، ولو كنت قريباً منك لضربت! وليتك فعلت، فكان ذلك أيسر من غضبك. ثم من أعظم المصائب عندى أمرُك إياي أن أسأل محمد ابن واضح عن قول قلته في عند عمرو بن بانة. فوالله - جعلت فداءك - إني لأبشع ^(٢) بذكره فكيف أحب أن أذكره وأذكر له! وإني لأرثى لك من النظر إليه، وأعجب من صبرك عليه، مع أني - أعوذ بالله من ذلك - لو رغبت في هذا منه ومن مثله لكفيتك ونفسي ذلك بأن أكسوه ثوبين، أو أهب له دينارين، أو أقول له أحسنت في صوتين، حتى نبلي أكثر مما أردت لي أو أريده لنفسي. فالحمد لله الذي جعل

(١) لعله: «حظه». (٢) كذا في ج. وفي سائر الأصول: «فيه» وهو تحريف. (٣) كذا في الأصول. (٤) بشع بالأمر: ضاق به ذرعاً.

حظي منك هذا ! ومثله غير مستصغر لشأنك ولا مستقل قليل حسن رأيك . والله
 يسأل أن يطيل بقاءك ، ويحسن جزاءك ، ويجعلني فداك . قد طال الكتاب ، وكثر
 العتاب . وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال للذين لا أخاف أن أجعلهما
 عندك ، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها ، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب
 تسليمه والإقرار بما أحببت أن أقربه ، وسأشهد على ذلك محمد بن واضح وأشهد
 لك به من أحببت وأؤدى الخراج . ولكن لا بد من فائدة وإلا أنكسر ، فهات
 — جعلت فداك — وأوف وأستوف فانك واجد صحة وأستقامة إن شاء الله . مد الله
 في عمرك ، وصبرني عليك ، وقدمني قبلاً ، وجعلني من كل سوء فداك .

نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه

- ١٠ ... وأية سلامة أقدر لك عليها إلا أسوقها إليك ، أعطاني الله ما أحب من ذلك لك .
 فإما أن أتكلّم من ورائك بشيء تستنقله متعمداً ، فما أنا إذا بجر ولا كريم ، معاذ الله
 من ذلك ! ولئن جمعت وإياك وعلى بن هشام مجلساً لأستشهدته على أشياء لم أذكرها
 لك ، ولم أكتب بها إليك ، لإجلالاً لقدّر حالك عندي من اعتداد به مثل ذلك مني ،
 وأنت عنه غافل ، والله به عليم . وأما الرشوة فأرجو أن تبيّئك على ما تشتهي آتاك
 الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً . وأما الفوائد التي وعدت ورودها
 علينا فلائي لوائق أنك لا تُفيدني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدته في فطناً أجيد نفيته
 وأعرف كنهه وأفيدك فيه وفيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه ،
 فأما غيرك فالهباء المنتور . ويا رأس المشنعين تقول إني صيرتك بالصناعة ثم تحتاج
 بحدّوك في تحريف الأقوال وآكتساب الحجج ، لتفهم خصمك ، وتعلي حججك ،

٧٥
٩

- ٢٠ (١) كذا في الأصول ولعلها : « وجملة ما عندي الإعظام والإجلال للذين لا أخاف » .
 (٢) لعل إبراهيم يشرح بهذا ونحوه إلى أشياء خاصة جرت بينه وبين إسماعيل .
 (٣) كذا في ج وفي سائر الأصول « المبتدئين » .

- فكيف أعيبك بحاجتي إليك، وما أنا داخل فيه معك! لا! ولكني قلت لك: إني لست كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به تَقُل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسِّل إليك بما يَسُرُّك، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإنصاف وطلب الصواب أصبته أو أخطأته، لا بالحِية والآنفة والحيلة لتردَّ الحقَّ بالباطل. هذا معنى قولي؛ وقد استشهدت عليك فيه أبا جعفر، وجاءني كتابك وهو عندي يشهد لي. والكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده لم يردَّه عليّ، فتتبع ما فيه وخُذني به. فلممري لئن كنتُ قرئتُك بمن ذكرتُ لأعيبك بالتشبيه لك بهم ما عبتُ غير رأيي، ولا جهلتُ غير نفسي. ولستُ اعتذر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه، وإنما تريد أن تخصمني بلا حجة، فيكفيني علمك بما عندى، وإلا فانت إذا بي أجهلُ مني بك. وقلت: «تذكرني معهما» فقد ذكر الله النَّارَ مع الجنة، وموسى مع فرعون، وإبليس مع آدم، فلم يَنْبُ بذلك موسى ولا آدم ولا أُكْرِم فرعون وإبليس، فأعفى من المغالطة لي والتحريف لقولي، واستمتع بي وأمتعني بالمصادقة. فإنَّ أنت لم تفعل بقيتَ واحدًا مستوحشًا، ولم تَجِدْ خيري إن علم ما تعلم لم يَنْقُصْكَ، وإن علم أكثر منك لم يَشْنُك، وإن أفهمته كافاك، وإن استفهمته شفاك. لا والله ما أردتُ إلا ما ذكرته لك، ولا أحسبك ظننت في غير ذلك؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك خير جاهل. وواحدة هي لك دوني، والله ما كنت أبالي ألا أسمع من مخارق وعلويه شيئًا حتى أسمع بنعيمها، ولا أراهما حتى أراهما ميتين، وما في هذا غيرك والإعظام لك والإكرام. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيرتهما ندين تقول فيهما ويقولان فيك، وإنما هما صبيعتاك ونحريما.
- (١) في ب، س: «عندك لم تردَّه» . (٢) خصمه يخصمه (بكر الصاد في المضارع): غلبه في الخصومة، وكسر عين الفعل هنا شاذ في هذا الباب . (٣) يريد مخارقا وعلويه، كما سيأتي في السياق .

تأديبك وإن كانا غير طائل . فلو أعرضت عن أنتقاصهما ورفعت ما رفع الله من
 قَدِّه عن الإفراط في عيبيهما ، لكان ذلك أشبه بك وأجمل بحللك وخطرك ومكانك .
 وكذلك الذي تَرَى له منه وصاحبه محمد بن الحارث ، فوالله ما أُحِبُّ لك في أدبك
 وفضلك ودينك ومحلِّك أن تُشهر نفسك لهذا بهذا ومثله ، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك .
 أقول يعلم الله في ذلك لا لهما . وإن ذلك ، لو صرت إليه ، لأجل بك وأجل لقدرك .
 وإن كنت تَتَخَوَّلُها به . ولو أردت ذلك ، وإن زهدت فيه ، لم تَضَعْ نفسك ومحلَّك
 مع غلمانٍ أحداثٍ يَسْطُونُ ألسنتهم فيك بما بسطته منهم على نفسك ، ولو لم تفعل
 لكنت أعظم في عيونهم من بعض مواليم الذين تولَّوا مَنَّتَهم . هذا رأي لك بما
 هو أكبر لأمرك وأشبه بحللك . والله ما غَشَّشْتُك ولا أوطأتك عشواء ، فأختر لنفسك
 ما رأيت . ولا والله لا سَمِعَا بهذا أبداً ولا بما قلته في إلا خزيًا حتى يموتا ، ولا أردت
 — يشهد الله — بهذا غيرك . وأما مَنْ ذكرت أني أسويه بأبي إسحاق رحمه الله وهو
 لا يساوي شِشْعَه فإنك عَنَيْتَ ابنَ جامع . وأنت لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضى
 الله عنه ، ولا أظنك والله أشدَّ حبًّا له مني ، ولا كان لك أشدَّ حبًّا منه لي ، فقد تعلم
 كيف كان لي ، ولكن لا أظلم ابنَ جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن ضَمِنْتَ
 أن تُنصِفَنِي لأَكَلَمَك فيه بما لا تدفعه ، ولكني لا أكَلَمَك في شيء حتى أُنقَ بهذه
 منك ، وإلا وسعني من السكوت ما وسعك . ومن العَجَب الذي لم أر مثله والمكابرة
 التي لا يشبهها شيء أعتدأوك على في التجزئة حيث تقول :
 (٢)

حَيِّيا أَمْ يَعْمَرَا * قَبْلَ تَخْطِ مِنَ النَّوَى

(١) كذا في الأصول . ولعل صواب العبارة : « أقول — يعلم الله — ذلك لك لا لهما » .

(٢) في ج ، ب ، س : « حتى » .

يا أخو حبيب نفسي فأَنْظُرْ كم في هذا من العيوب!! قولك : «يا» ليكون مثل «تَحِيطُ» في الوزن، أَيْكون مثل هذا في الكلام! وقولك في الجزء الثاني «حَى» حتى يكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! أو ليس في «يا» المشددة أربع ياءات، وفي «حَى» التي عطفَتْ بها ثلاث فتصير سبع ياءات، وإِتما هي ثلاث في الأصل: الياء المشددة وياء الاثنين حيث تقول «حيا»! . والناس في هذا يبنون وينك بهمائم، فَمَنْ أَسْتَعِدَى عليك! ولو أنصفت لعلمت أنه لا يمكن في :

* حَيَّا أُمَّ يَعمَرَ *

غير ما جرأتُ أنا إلا بهذا الغلط الذي لا يحول من تحريك ساكن تجعله أوّل الكلام فقد زدت قبله حرفا، أو تسكين متحرك فتريد بعده حرفا، كقولك «أم يعمرا قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفا، وكقولك «أم يعمرون قبلا» فزدت الألف لتسكت عليها لأن السكوت على متحرك لا يمكن. فأيةُ حُجَّةٍ هذه! أو مَنْ يصبر لك على هذا! وإنما أردتُ أنا ما يجوز بغنى بتجزئة واحدة، لا أريد غير ذلك منك. مالك يا أحمى تنفس على الصواب فيما لا تقيصة عليك فيه ولا عيب، ثم آتخذتَ تَحْمَدِي إليك، بما قلتُ لك أن تسأل محمدا عن قولي فيك بظهور الغيب، ذنبا بطبعك على الظلم والتحريف؛ حتى كأني أعلمتك أن أحدا تنقصك فحيمت لذلك، ولم يكن غير الرد عليه. والله ما مثلي يمتن بهذا، ولكني كنتُ إذا تحدثتُ مع محمد خاليا كلمته بمنزل ما أكلّمك به من الردّ والجدل، فلما كان عندنا من يُحْتَشَمُ كان كلامي بما يجب أن أتكلّم به من الإكرام والتقديم، فقال لي: أي شيء هذا الذي أرى؟ فقلت له: هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأُتس. فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أنّي لا أريد بما أنازعك فيه شيئا يزيع عما تعرف مني، وأنّي أذكرك

(١) في ج، ب، س: «حتى». (٢) في الأصول: «من». (٣) في الأصول: «يجب».

بما يشبهك في موضعه . فلو آتيت الله وأبقيت على الإخاء لما كنت تحرفه هذا
 بشيء، وهو جميل أرضاه من نفسي، فتصيرته قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه .
 وأما أداء الخراج والإشهاد، فهذا شيء لم أطلبه منك، إنما أنت طلبته مني
 ظالماً لي . وذلك لأنني لم أنازلك إلا منازعة مناظرٍ يُحبُّ أن يعرف حسنَ قصصه
 وثاقبَ نظره .

وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل، ولا رياسة لي عليهم
 ولا لك علي؛ لأنني في العلم مناظر وفي العمل متلذذ . فلا تظلمني ولا نفسك لي .
 ومن بعد فإني أحبُّ أن تخبرني كيف أنت اليوم بعد . والله غممتي، لا غمك الله
 ولا غممي بك . ولو شئت أرسلت إلى يحيى بن خالد طيبٍ أخى عيسى الله فإنه
 رفيقٌ مباركٌ سليم، وهو منك قريب في دار الروم، فأخذت برأيه ومن علاجه .
 وهب الله لك العافية ووهبها لي فيك برحمته .

ولما ذكرتُ هذا الابتداء وجوابه على طولها، وهما قليلٌ من كثير من
 مكاتباتهما، لتعرف بهما طرُقاً من مقدارهما في المنازعة والمجادلة، وأن إسحاق كان
 يريد من إبراهيم التواضع له والخنوع برياستا ويتحامل عليه في بعض الأوقات،
 وينحو إبراهيم نحو ما فعله به؛ لأنَّ نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه، فيستعمل معه
 من المباينة مثل ما استعمله، ويكونان في طرفين من الظلم يُبعدُ كل واحدٍ منهما عن
 إنصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما — فوجدتُ
 كلامهما مرصوفاً رصف إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نظم منطوقه — فيها تحاملٌ على
 إسحاق شديد، وحكايات ينسب من نقلها إلى جهيل بصناعته كان إسحاق بعيداً من
 مثله، فعلمتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألفه وأمر يوسف بنشره في الناس ليدور
 في أيديهم ذكرٌ له يفضل به . وذلك بعيد وقوعه، ولن تدفع الحقائق بالأكاذيب، ولا يُزِيل

الخطأ الصواب، ولا الخطلُ السداد. وكفى مَنْ نَضَحَ عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم ابن المهدي لا يكاد يُعرف منها صوتٌ ولا يُروى منها إلّا اليسير، وأن كلامه في تجنيس الطرائق أطريح، وعَمِلَ على مذهب إسحاق، وأنقضى الصُّنْعُ لإبراهيم بذلك مع آقضاء مدته، كما يضمحلُّ الباطلُ مع أهله. فعدلتُ عن ذكر تلك الأخبار؛ لأنّها لم تقع إلى، ولكنّها أخبار يتبين فيها التعامل والحق، وتتضمن من السبِّ لإسحاق والشتم والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضى على مثله لأحد ولو خاف القتل^(١)، فأستبردتُ ذلك وأطرحته، وأعتمدتُ من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مجرى هذا الكتاب من خير مستحسن وحكاية ظريفة دون ما يجري مجرى التعامل؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاص إسحاق إياه بريته وتجريعه أمر من الصبر ما ينبئ عن بطلان غيره.



ومن صنع من أولاد الخلفاء عليّة بنت المهدي، ولا أعلم أحدا منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها. وكان يقال: ما أجمع في الجاهلية ولا الإسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وعليّة أخته. وأخبارها تُذكر بعد هذا تالية لما أذكره من غنائها. فنصنعها:

صوت

تضحك عما لو سَقَتْ منه شفا * من أقحوان بلّه قطر الندى
أغرّ يجلو عن غشا العين العشا * حُلُو بعيني كلّ كهل وقي
إن فؤادي لا تسليه الرقي * لو كان عنها صاحبا لقد صحّا
الشعر لأبي النجم العجلى. والغناء لعليّة بنت المهدي رمل بالوسطى.

(١) في هذه الجملة غموض. ولعلها تصح على هذا الوجه «... ما يعلم أنه لم يكن يقضى بمثله على أحد ولو خاف القتل» أو نحو ذلك.

أخبار أبي النّجم ونسبه

قال أبو عمرو الشَّيباني : اسمه المُفَضَّل ، وقال ابن الأعرابي : اسمه الفضل
ابن قُدّامة بن عُبَيْد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس
ابن عَوْف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عَجَل بن لُحَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر
ابن وائل بن قاسط بن هَنْب بن أَفْصَى بن دُعَيْم بن جَدِيلَة بن أَسَد بن ربيعة
ابن نِزار . وهو من رُجَاز الإسلام الفُحُول المُقَدِّمِينَ وفي الطبقة الأولى منهم .

أصله ونسبه ، وهو
في الطبقة الأولى
من الرجاز

أخبرني أبو خَلِيفَة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحِيّ إجازةً عن محمد بن سَلَام وذكر
ذلك الأصمعيّ أيضًا قال أبو عمرو بن العَلَاء :
كان أبو النّجم أبلغ في النّعت من العَجّاج .

هو أبلغ في النعت
من العجاج

أخبرنا محمد بن خَلْف وَكيع قال حدثني أبو أيّوب المَدِينِيّ قال حدّثني الفضل
ابن العباس الهاشميّ عن أبي عُبَيْدة قال :

انصف مع الرجاز
من الشعراء

٧٨

٩

ما زالت الشعراء تَغْلِبُ حتى قال أبو النّجم :

* الحمد لله الوهُوبِ المُجَزِلِ *

وقال العَجّاج :

* قد جبر الدينَ الإلهُ بِفَخْرٍ *

١٥

وقال رُؤْبَة :

* وقائم الأعماق خاوي المُخْتَرَقِ^(٢) *

فانتصفوا منهم .

(١) كذا في ج . وفي سائر النسخ : « تقصر بالرجاز حتى ... الخ » . (٢) المخترق : المر .

ووجدتُ في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشَّيباني قال :
 قال له فتیانٌ من عِجَلٍ : هذا رؤبةٌ بالمربد ^(١) يجلِسُ فيُسمعُ شعره ويُنشدُ الناسَ
 ويَجتمعُ إليه فتیانٌ من بني تميم ، فما يَمْنَعُكَ من ذلك ؟ قال : أَوْحِبُّونَ هذا ؟
 قالوا نعم . قال : فَأَتُونِي بِعَسٍّ من نَبِيذٍ فَأَتَوْهُ بِهِ ، فَشَرِبَهُ ثُمَّ نَهَضَ وقال :
 إذا أَصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا عَرَفْتَنِي * ثُمَّ تَجَشَّمْتُ الَّذِي جَشَّمْتَنِي
 فلما رآه رؤبةٌ أَعْظَمَهُ وَقَامَ لَهُ عَنْ مَكَانِهِ وقال : هذا رَجَّازُ الْعَرَبِ . وسأله أن
 يَنْشُدَهُمْ فَأَنْشَدَهُمْ :

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجْزِلِ *

وكان إذا أَنشَدَ أَزِيدَ وَوَحَّشَ بَنِيابَهُ (أى رَمَى بِهَا) . وكان من أَحْسَنِ النَّاسِ لِإِنْشَادِهِ .
 فلما فَرَّغَ مِنْهَا قال رؤبةٌ : هذه أُمُّ الرَّجَزِ . ثُمَّ قال : يا أبا النجم ، قد قَرِبتُ مَرَعَاهَا
 إذ جعلتها بين رجلٍ وأَبْنَيْهِ . يُؤْهِمُ عَلَيْهِ رؤبةٌ أَنَّهُ حَيْثُ قال :
 تَبَقَّلْتُ مِنْ أَوَّلِ التَّبَقُّلِ ^(٢) * بين رِمَاحِي مَالِكٍ وَنَهْشِلِ

أَنَّهُ يريدُ نَهْشَلَ بَنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاءَ بْنِ تَمِيمٍ . فقال له أَبُو النجم :
 هِيَهَاتَ ! الْكُرُ تَسَابُهُ . أَيْ إِنَّمَا أُرِيدُ مَالِكَ بْنَ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ
 ابْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ . وَنَهْشَلُ قَبِيلَةٌ مِنْ رَبِيعَةَ وَهَوَّلَاءِ يَرْعَوْنَ الصَّهَانَ ^(٣)

(١) يعنى مربد البصرة وهو من أشهر محالها ، كانت به سوق الابل قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها
 الناس ، وبه كانت مقانرات الشعراء ومجالس الخطباء . (٢) العس : القدح الكبير .

(٣) تبقلت : خرجت لطلب البقل . (٤) الكر : جمع كرة ، وهى رأس الذكر . يريد
 أن الرجال اختلطت عليك . وقد صار هذا مثلا ، ولفظه «الكر أشباه الكرم» . (٥) الصهان :
 أرض فيها غلظ وارتفاع ، وفيها قيعان واسعة ورياض معشبة ، وإذا أخضبت ربت العرب جميعا .
 وكانت الصهان في قديم الدهر لبني حنظلة ، والحزن لبني ربوع ، والدهناء لجماعتهم ، والصهان متاخم
 للدهناء . والعرض : الوادى .

أعظمه رؤبة
 وقام له عن مكانه

٥

١٠

١٥

٢٠

وعرض الدهناء . قال أبو عمرو : وكان سببُ ذِكْرِ هاتين القبيلتين (يعني بني مالك ونهشل) أن دماء كانت بين بني دَارِم وبني نَهْشَل وحروباً في بلادهم ، فتحامى جميعهم الرعي فيما بين فلج^(١) والصَّمان مخافة أن يعرفوا بشر حتى عفا كلَّوه وطال ، فذكر أن بني عجل جاءت لِعِزِّها إلى ذلك الموضع قرعته ولم تحف من هذين الحيين ، ففخر به أبو النجم . قال : ويدل على ذلك قول الفرزدق :

أترتع بالأحياء سعد بن مالك * وقد قتلوا مني يظنة واحد^(٤)
فلم يبق بين الحى سعد بن مالك * ولا نهشل إلا دماء الأساود^(٥)

وقال الأصمعي : قيل لبعض رواة العرب : من أرحز الناس ؟ قال : بنو عجل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد . (يريد الأغلب ثم العجاج ثم أبا النجم ثم رؤبة) .

ترتيب الرجاز في رأى بعض الرواة

١٠ أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المسمعي : كان رؤبه وأبو النجم يجتمعان عندى فأطلب لها النبيذ ، فكان أبو النجم يتسرع الى رؤبه حتى أكفه عنه .

كان يتسرع الى رؤبه فيكفه عنه المسمعي

ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المريدي — قال وكان طاملاً راويةً — قال :

ناجز العجاج حتى هرب منه

١٥ نرج العجاج متحفلاً عليه جبة نحر وعمامة نحر على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله :

* قد جبر الدين الإله جبر *

(١) فلج : علم على مدة مواضع . (٢) يعرفون : يصابون . وفي الأصول : « يعرفون »
بالتين المعجمة وهو تصحيف . (٣) عفا : كثر . (٤) الظلة : التهمة .
(٥) الأساود : شيوخ القتل ، وهو جمع الجمع للسواد ؛ ومنه قول الأعشى :
تناهيت عن وقد كان فيكم * أساود صرعى لم يستود قتيلا
(٦) متحفلاً : مزينا .

٧٩
٩

فذكر فيها ربيعةً وهجاءً . بفاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له : أنت جالسٌ وهذا العجاج يهيجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس !! قال : صنف لي حاله وزيه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : أبغني جملاً طحاناً قد أكثر عليه من الهناء ، بفاء بالجل إليه . فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجله فيها وأتزر بالأخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده ، فأنطلق حتى أتى المربد . فلما دنا من العجاج قال : آخلع خطامه نخله ، وأنشد :

* تذكر القلب وجهلاً ما ذكر *

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

* شيطانه أنثى وشيطاني ذكر *

تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

غلب الشعراء
عند عبد الملك بن
مروان أو سليمان
ابن عبد الملك
وظفر منه بجارية

ونسخت من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النجم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان - ويقال عند سليمان بن عبد الملك - يوماً وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق ، وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تدب عنه ، فقال : من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق في نغره فله هذه الجارية . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته (يعنون بالرجز) ، قال : فإنني لا أقول إلا قصيدة . فقال من ليلته قصيدته التي نغز فيها وهي :

* علق الهوى بمبائل الشعثاء *

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشدوه، حتى إذا بلغ إلى قوله :
 مِنَّا الَّذِي رُبِعَ الْجِيُوشَ لظَهْرِهِ * عَشْرُونَ وَهُوَ يُعَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ^(١)
 فقال له عبد الملك : يَف، إن كنت صدقت في هذا البيت فلا تزيد ما وراءه .
 فقال، الفرزدق : وأنا أعرف منه ستة عشر، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد ربّع .
 فقال عبد الملك أوسليمان : ولد ولده هم ولده ، ادفع إليه الجارية يا غلام . قال :
 فغلبهم يومئذ .

قال : وبلغني من وجه آخر أنه قال له : فإذا أقررت له بستة عشر فقد وهبت
 له أربعة ، ودفع إليه الجارية ، فقدم بها البادية فكان بينه وبين أهله شر من أجلها .
 وقال أبو عمرو :

بعث الجُنَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّيَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ بِسَبْيِ
 ١٠ من الهند بيض ، فجعل يهب لأهل البيت كما هو للزجل من قريش ومن وجوه
 الناس ، حتى بقيت جارية منهم جميلة كان يدحرجها عليها ثياب أرضها فوطئها .
 فقال لأبي النّجم : هل عندك فيها شيء حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم
 أصلحك الله ! فقال العريان بن الهيثم السّعي : كذب والله ما يقدر على ذلك .
 فقال أبو النّجم :

وصف جارية
 لخالد بن عبد الله
 القسري لساعته
 فوهبها له

١٥

عَلِقْتُ خَوْدًا مِنْ بَنَاتِ الزُّطِّ * ذَاتَ جِهَازٍ مُضْغَطٍ مُلَطِّ^(٢)
 رَأَيْي الْمَجَسَّ جَيِّدِ الْحَطِّ * كَأَمَّا قُطَّ عَلَى مِقَطِّ^(٣)
 إِذَا بَدَا مِنْهَا الَّذِي تُغَطِّي * كَأَنَّ تَحْتَ ثَوْبِهَا الْمُنْعَطِّ^(٤)

(١) ربّع الجيوش : أخذ ربّع أموالهم ، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة ، واسم هذا النصيب

المرباع . (٢) الزط : جيل أسود من السند . (٣) الجهاز هنا : فرج المرأة .
 ٢٠ (٤) ملط : مستور ، من ألت الشيء إذا ستره . (٥) انعط الثوب : انشقى .

شَطًّا رَمِيتَ فَوْقَهُ بِشَطِّ * لَمْ يَتَرُ فِي الْبَطْنِ وَلَمْ يَحِطَّ^(١)
فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَدَى التَّطَلَّى * كَهَامَةِ الشَّيْخِ الْيَمَانِيِّ التَّطَلَّى^(٢)

وَأَوْمًا بِيَدِهِ إِلَى هَامَةِ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ . فَضَحِكَ خَالِدٌ وَقَالَ لِلْعُرْيَانِ : كَيْفَ تَرَى !
أَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يُرَوِّىَ فِيهَا يَا عُرْيَانُ ؟ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَكِنَّهُ مَلْعُونٌ أَبْنُ مَلْعُونٍ :
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَأَخْبَرَنِي بِهِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ^(٣) عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ عَنْ فُلَيْحِ
ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ :

وَرَدَ أَبُو النَّجْمِ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الشَّعْرَاءِ . فَقَالَ لَهُمْ هِشَامٌ : صَبِّحُوا لِي
إِبِلًا فَقَطِّرُوهَا وَأَوْرِدُوهَا وَأَصْدِرُوهَا حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرَ إِلَيْهَا . فَأَنْشَدُوهُ وَأَنْشَدَهُ أَبُو النَّجْمِ :
* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجْزِلِ *

غضب عليه هشام
ثم صمّر معه ليلة
فرضى عنه

حَتَّى بَلَغَ إِلَى ذِكْرِ الشَّمْسِ فَقَالَ « وَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنٍ ... » وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ « الْأَحُولِ »
ثُمَّ ذَكَرَ حَوْلَةَ هِشَامٍ فَلَمْ يُتِمَّ الْبَيْتَ وَأَرْثَجَ عَلَيْهِ . فَقَالَ هِشَامٌ : أَجْرُ الْبَيْتِ . فَقَالَ
« كَعَيْنِ الْأَحُولِ » وَأَتَمَّ الْقَصِيدَةَ . فَأَمَرَ هِشَامٌ فُؤَيْدَ^(٤) عَنْقَهُ وَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ،
وَقَالَ لَصَاحِبِ شُرْطَتِهِ : يَا رَبِيعَ إِيَّاكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا ! . فَكَلَّمُ وَجْهَهُ النَّاسُ صَاحِبَ
الشُّرْطَةِ أَنْ يَقْرَهُ فَفَعَلَ ، فَكَانَ يُصِيبُ مِنْ فُضُولِ أَطْعَمَةِ النَّاسِ وَيَأْوِي إِلَى الْمَسَاجِدِ .
وَقَالَ الزُّبَيْرُ فِي خَبَرِهِ قَالَ أَبُو النَّجْمِ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرُّصَافَةِ يُضَيِّفُ إِلَّا سُلَيْمٌ بْنُ كَيْسَانَ
الْكَلْبِيِّ وَعَمْرُو بْنُ إِسْطَاطِ التَّغْلَبِيِّ ، فَكَنتُ آتِي سُلَيْمًا فَأَتَغَدَّى عِنْدَهُ ، وَآتَى عَمْرًا
فَأَتَعَشَّى عِنْدَهُ ، وَآتَى الْمَسْجِدَ فَأَبَيْتُ فِيهِ . قَالَ : فَأَهَمَّ هِشَامٌ لَيْلَةً وَأَمْسَى لَيْسَ النَّفْسُ

(١) الشط : جانب السنام . (٢) الشط : الخفيف الحية . (٣) يروى : يتروى ويفكر .

(٤) في ١ ، ٢ : « المغيرة بن محمد » . (٥) قطر الابل : قرب بعضها من بعض على شق .

(٦) في ب ، س : « بوجء عنقه وإنتراجه » . يقال وجأه باليد وبالسكين إذا صربه .

وأراد محدثنا محدثه، فقال لخدام له: ابغني محدثاً أعرابياً أهوج شاعراً يروى الشعر.
 فخرج الخدام إلى المسجد فإذا هو بأبي النّجم، فضر به برجله وقال له: قم أجب
 أمير المؤمنين. قال: إني رجل أعرابي غريب. قال: إياك ابغني، فهل تروى الشعر؟
 قال: نعم وأقوله. فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب، قال: فأيقن بالشر،
 ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير، بينه وبين نسائه ستر رقيق والشمع
 بين يديه ترهّر^(١). فلما دخل قال له هشام: أبو النّجم؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين
 طريدك. قال: أجلس. فسأله وقال له: أين كنت تأوي ومن كان يتركك؟ فأخبره
 الخبر. قال: وكيف آجتماعاً لك؟ قال: كنت أتغدى عند هذا وأعشى عند هذا.
 قال: وأين كنت تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك. قال: وما لك
 من الولد والمال؟ قال: أتما المال فلا مال لي، وأتما الولد فلي ثلاث بنات وبني
 يقال له شيبان. فقال: هل زوجت من بناتك أحدا؟ قال: نعم زوجت اثنين،
 وبقيت واحدة تجوز في أبياتنا كأنها نعام. قال: وما وصيت به الأول؟ — وكانت
 تسمى «برة» بالراء — فقال:

أوصيت من برة قلباً حراً * بالكلب خيراً والجماعة شراً
 لا تسألي ضرباً لها وجراً * حتى ترى حلوا الحياة مرّاً
 وإن كستك ذهباً ودراً * والحي عقيمهم بشر طراً
 فضحك هشام وقال: فما قلت للأخرى؟ قال قلت:

سبي الجماعة وأبقي^(٤) عليها * وإن دنت فأزدلني إليها
 وأوجعي بالفهر ركبتيها * ومزققيها وأضربي جنبتيها^(٥)

٢٠ (١) زهر السراج: تلاً. (٢) في ح، ب، س: «أنجيت». (٣) جز: عدا وأمرع. (٤) بهته: قذفه بالباطل. وهي هنا على تضمين ابقي معنى افترى عليها فتعمد على. (٥) الفهر: الحجر يملأ الكف.

ر وظاهري النذر لها عليها * لا تُخْرِى الدهرَ به أبنتيها
قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذُه وسقط على قفاه . فقال : ويحك ! ما هذه
وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كييعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلت
لثالثة ؟ قال قلت :

أوصيك يا بنتي فإني ذاهب * أوصيك أن تحمديك القرائب
والجار والضيف الكريم السَّاعِب * لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تني أظفارك السَّلاه^(١)ب * ممن في وجه الحماة كاتب
* والزوج إن الزوج بس الصاح^٢د *

٨١
٩

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شيء قلت في تأخير تزويجها ؟ قال
قلت فيها :

كان ظلامه أخت شيبان * يتيمه والداها حيان
الرأس قل كلّه وصيبان^(٢) * وليس في الساقين إلا خيطان
* تلك التي يفزع منها الشيطان *

قال : فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكك ، وقال للخصي : كم بقي من نفقتك ؟
قال : ثلثائة دينار . قال : أعطه إياها ليجمعها في رجل ظلامه مكان الخيطين .

وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابن بنت أبي النجم
أن أبا النجم قال :

* الحمد لله الوهوب المجزل *

في قدر ما يمشي الإنسان من مسجد الأشياخ الى حاتم الجزار . ومقدار ما بينهما
غلوة^(٣) أو نحوها . قال : وكان أسرع الناس بديه^٤ة .

(١) السلاه : الطويلة . (٢) الصبان : جمع صوابة وهي بيضة القمل .

(٣) الغلوة : رمية مهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال : هي قدر ثلثائة ذراع الى أربعمائة .

كان أسرع الناس
بديه^٤ة

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا
 بر الأسود النوحشاني^(١) قال :
 مرّ أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أيّ الرجز أحسن وأجود؟
 رجز أبي النجم

قال : رجز أبي النجم .

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال :
 دخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له
 هشام : ما رأيك في النساء ؟ قال : إني لأنظر إليهن شراً وينظرن إليّ خيراً .
 فوهب له جارية وقال له : أعُدْ عليّ فأعلمني ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه .
 فقال له : ما صنعت ؟ فقال : ما صنعت شيئاً ولا قدرت عليه ، وقد قلت في ذلك

أبياتاً . ثم أنشده :

نظرت فأعجبها الذي في درعها * من حسنه ونظرت في سرّ باليا
 فرأت لها كفلاً يميل بحضرها * وعشاً روادفُهُ وأجتم جاثيا
 ورأيت مُنتشر العجان مقلّصاً * رخواً مفاصله وجِلداً باليا
 أدنى له الركب الخليق كأنما * أدنى إليه عقارباً وأفاعيا
 إن الندامة والسدّامة فأعلمن * لو قد صبرتُك للوأيى خاليا
 ما بال رأسك من ورأى طالعا * أظننت أن حرّ الفتاة ورأيا
 فأذهب فإنك ميت لا تُرتجى * أبد الأبيد ولو عمّرت ليايا

(١) كذا في الأصول . ولم تقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب الأنساب . والظاهر أنها محرقة
 عن « النوشجاني » نسبة إلى نوشجان بلدة بفارس .

(٢) الشز : النظر بجانب العين في إعراض . والخزر : هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه .
 وتسكين الزاى في الخزر لغة . (٣) الوعث : اللين . (٤) الكناية هنا ظاهرة .
 (٥) العجان : القضيبي المددود من الخصية إلى الدبر . (٦) الركب : الفرج .

أَنْتِ الْغَرُورُ إِذَا خُبِرْتَ وَرَبِّمَا * كَانِ الْغَرُورُ لِمَنْ رَجَاهُ شَافِيَا
لَكِنْ أَيْرَى لَا يُرَجَّى نَفْعُهُ * حَتَّى أَعُودَ أَخَا فِتَاءٍ نَاشِيَا
فَضِيحِكَ هَشَامُ وَأَمْرُ لَهُ بِجَائِزَةِ أُخْرَى .

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ قال ابنُ كُثَّاسَةَ :

حدث هشام بن
عبد الملك عن نفسه
فأضحكه

قال هشام بن عبد الملك لأبي النجم : يا أبا النجم حدثني . قال : غني أو عن
غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : إني لما كثرتُ عَرَضُ لي الْبَوْلُ ، فَوَضَعْتُ عِنْدَ
رَجُلٍ شَيْئًا أَبُولُ فِيهِ . فَقَمَعْتُ مِنَ اللَّيْلِ أَبُولَ ، فَفَرَجَ مِنِّي صَوْتُ فَتَشَدَّدْتُ ، ثُمَّ عُدْتُ
فَفَرَجَ مِنِّي صَوْتُ آخَرَ ، فَأَوَيْتُ إِلَى فَرَاثِي ، فَقُلْتُ : يَا أُمُّ الْخِيَارِ هَلْ سَمِعْتِ شَيْئًا ؟
فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا ! فَضَحِكَ . قال : وَأُمُّ الْخِيَارِ الَّتِي يَعْنِي بِقَوْلِهِ :

٨٢
٩

فَدَ اصْبَحْتُ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي * عَلَى ذَنْبِ كُلِّهِ لَمْ أَصْنَعْ
وَهِيَ أَرْجُوزَةٌ طَوِيلَةٌ .

ذكر فتاة في شعره
فتزوجت

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِيُّ :

أَتَتْ مَوْلَاةَ ابْنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أبا النجم فذكرتُ له أَنَّ بِنْتًا لَهَا أُدْرِكْتُ مِنْ
سَلْتَيْنِ ، وَهِيَ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَمْدَهْنَ قَامَةً وَلَمْ يَخْطُبْهَا أَحَدٌ ، فَلَوْ ذَكَرْتَهَا فِي الشَّعْرِ !
فَقَالَ : أَفْعَلْ ، فَمَا أَسْمُهَا ؟ قَالَتْ : نَفِيسَةٌ . فَقَالَ :

نَفِيسَ يَا قَتَالََةَ الْأَقْوَامِ * أَقْصَدْتَ قَلْبِي مِنْكِ بِالسَّهَامِ
وَمَا يُصِيبُ الْقَلْبَ إِلَّا رَامِ * لَوْ يَعْلَمُ الْعِلْمَ أَبُو هَشَامِ
سَاقَ إِلَيْهَا حَاصِلَ الشَّامِ * وَجِزْيَةَ الْإِهْوَازِ كُلِّ عَامِ
وَمَا سَقَى النَّيْلُ مِنَ الطَّعَامِ * إِذْ ضَاقَ مِنْهَا مَوْضِعُ الْإِدْغَامِ^(١)

(١) الكناية في « موضع الإدغام » ظاهرة يفسرها البيت التالي .

أَجْمُ جَاثٍ مُسْتَدِيرٌ حَامٍ * يَعْصُ فِي كَيْنٍ لَهُ تُؤَامُ^(١)
عَصَّ النِّجَارَى عَلَى الْجَّامِ *^(٢)

فَقَالَتْ : حَسْبُكَ حَسْبُكَ ! وَوَفَدَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِمَّعِ الزَّمْرِ وَالْجَلْبَةِ ، فَقَالَ :
مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : نَفِيسَةٌ تَزَوَّجَتْ .

وصف فهود
عبد الملك بن بشر
ابن مروان
قال أبو عمرو وذكر علي بن المسور بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعض
الرواة وحدثني ابن أخت أبي النجم :

أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ قَالَ لِأَبِي النَّجْمِ : صِفْ لِي فَهُودِي هَذِهِ . فَقَالَ :

إِنَّا نَزَلْنَا خَيْرَ مَنَازِلَاتٍ * بَيْنَ الْمُخَيْرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ
فِي لَحْمٍ وَخَيْسٍ وَحُبَارِيَّاتٍ * وَإِنَّا أَرَدْنَا الصَّيْدَ ذَا اللَّذَاتِ^(٣)
جَاءَ مُطِيعًا لِمُطَاوِعَاتٍ * عَلَّيْنِ أَوْ قَدْ كُنَّ عَالِمَاتِ
فَسَكَنَ الطَّرْفَ بِمُطَرِفَاتٍ * تُرَبِّكُ آمَا قَا مَخْطَطَاتِ

١٠

ونسخت من كتاب الخزاز عن المدائني عن عثمان بن حفص أن أبا النجم مدح
النجاج برجز يقول فيه :
مدح النجاج برجز
وطلب اليه واديا
في بلاده

وَيْلَ أُمِّ دُورٍ عِزَّةً وَبَجْدٍ * دُورٍ ثَقِيفٍ بِسَوَاءِ نَجْدٍ
* أَهْلُ الْحَصُونِ وَالْحَيُولِ الْجُرْدِ *

فَأَعْجَبَ النِّجَاجَ رَجُلُهُ وَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ تُقْطَعُنِي ذَا الْجَبِينِ . فَوَجَمَ لَهَا
وَسَكَتْ ، ثُمَّ دَمَا كَاتِبَهُ فَقَالَ : أَنْظِرْ ذَا الْجَبِينِ مَا هُوَ ! فَإِنْ ذَا الْأَعْرَابِيِّ سَأَلْنِيهِ لَعَلَّهُ
نَهَرَ مِنْ أَنْهَارِ الْعِرَاقِ . فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقِيلَ : وَادٍ فِي بِلَادِ بَنِي عَجَلٍ أَعْلَاهُ حَشْفَةٌ^(٤) وَأَسْفَلُهُ
سَبْخَةٌ يُخَاصِمُهُ فِيهِ بَنُو عَمٍّ . فَقَالَ : آكْتَبُوا لَهُ بِهِ . قَالَ : فَأَهْلُهُ بِهِ إِلَى الْيَوْمِ .

(١) الكين : لحم باطن الفرج . (٢) لم نثر على هذه النسبة في مظانها . ولعله يريد به فرسا
كريم التجار . (٣) حباريات : مفردا حبارى وهو طائر يضرب به المثل في البلاهة والحق .
(٤) الحشفة : صخرة رخوة في سهل من الأرض . والسبخة : أرض ذات تزولج .

٢٠

أخطأ في أشياء
أخذت عليه

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبو أيوب المدينيّ قال قال الأصمعيّ :
أخطأ أبو النجم في أشياء أخذت عليه، منها قوله :

وهي على عذّب روى المنهل * دحل أبي المرقال خير الأدحل
* من تحت عاد في الزمان الأول *

قال الأصمعيّ : الدحل لا تُورده الإبل إنما تُورد الرّكيا ^(١) . وقد عيب بهذا وعيب
بقوله في البيت الذي يليه : إنّ هذا الدحل من تحت عاد . قال : والدحلان لا يُخفّر
ولا تُنحت ، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصيّبها الشمس ، فتبقى فيها
المياه ؛ وهي هوة في الأرض يضيق فيها ثم يتسع فيدخل ماء السماء .

قال الأصمعيّ : وقال يصف فرسه وقد أجراه في حلبة :

* تسبح أحرأه ويطفو أوله *

قال الأصمعيّ : أخطأ في هذا ؛ لأنه إذا سبح أحرأه كان حيار الكساح أسرع
منه . قال الأصمعيّ : وحدثني أبي أنّه رأى فرسه هذا فقومه بسبعين درهما .
وإنما يُوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه . قال : وخير عدو الذكور
أن تُسرف ، وخير عدو الإناث أن تبيسط ^(٢) وتصنعي كعدو الذئب .

(١) الركيا : جميع ركية وهي البر . (٢) تصنى : تميل .

أخبارُ عليّة بنتِ المهديّ ونسبها وتنفّ من أحاديثها

عليّة بنت المهديّ أمّها أُم ولد مُغْنِيّة يُقال لها مَكْنُونَة ، كانت من جوارى المروانيّة المغنّية .

أمها مكنونة أم ولد
اشترت للمهدي
في حياة أبيه

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن
أبن القَدّاح ^(١) خذّته قال :

كانت مكنونة جارية المروانيّة — وليست من آل مروان بن الحكم ،
هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس — مغنّية ، وكانت
أحسن جارية بالمدينة وجهًا ، وكانت رتقاء ^(٢) ، وكان بعض من يمازحها يعبّث بها
فيصبح : طُسْتُ طُسْتُ . وكانت حسنة الصدر والبطن ، فكانت تُوضِعُ بهما
وتقول : ولكن هذا ! . فأشتريت للمهديّ في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغلبت عليه ،
حتى كانت الخيزران تقول : ما ملك امرأة أغلظ عليّ منها . وأستتر أمرها عن
المنصور حتى مات ، فولدت له عليّة بنت المهديّ .

أخبرني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمد التّوّفليّ عن عمّه قال :

بعض صفاتها

كانت عليّة بنتُ المهديّ من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشّعر الجيّد
وتصوغ فيه الألحان الحسنّة ، وكان بها عيب ، كان في جبينها فضّلُ سعةٍ حتى
تسمع ، فأتخذت العصائب المكلّلة بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثت والله شيئاً
ما رأيتُ فيما أبدعته النساء وأحدثته أحسن منه .

(١) في أ ، م : « أبا القداح » . (٢) الرتقاء : القليلة لحم المعجز والفخذين .

(٣) لعل المراد تشبيهها في استواء معظفها ونغديها باستواء قمر الطست . (٤) في ب ، م :

« وليكنّ هذا » . (٥) في أ ، م : « تسفح » (بتشديد الفاء) . وفي ح : « تسبح » .

وعبارة النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٩١ طبع دار الكتب المصرية) : « وكان في جبهتها سعة تشين وجهها » .

أخبرني الحسين بن يحيى ووكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال سمعت إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول :

كانت حمنة الدين
ولا تشرب ولا تغني
إلا أيام حيضها

كانت عليّة حسنة الدين، وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تلتذ بشيء غير قول الشعر في الأحيان، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه . وكانت تقول : ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلال منه عوضاً، فبأي شيء يحتاج عاصيه والمُنْتَهِك لحُرُماته ! . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشة أرتكبتها قط، ولا أقول في شعري إلا عبثاً .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكندي قال سمعت عبد الله ابن العباس بن الفضل بن الربيع يقول :

لم يجتمع في الإسلام
أخ وأخت أحسن
غناء منها ومن أخوها

ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة، وكانت تُقدّم عليه .

أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال :

كانت تحب
المكاتبة بالشعر
وكانت طلاء
فمنها الرشيد

كانت عليّة تحب أن تُراسل بالأشعار من تحتضه، فأختصت خادماً يقال له « طَلَّ » من خدام الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أياماً، فمشت على ميزاب وحدشته وقالت في ذلك :

٨٤
٩

قد كان ما كلفته زمناً * يا طَلُّ من وجد بكم يكفى

حتى أتيتك زائراً عَجلاً * أمشي على حنّيف إلى حنّيف

خلف عليها الرشيد ألا تكلم طلاً ولا تسميه باسمه، فضممت له ذلك . وأسمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَضِبْهَا ^(١)

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي ١ ، م : « تريد » وهي محرفة عن « تدبر » بالذال بمعنى تقرأ .

وَأَيْلُ فَطْلٌ ﴿١﴾ وأرادت أن تقول : «فَطْلٌ» فقالت : فالذى نهانا عنه أمير المؤمنين .
فدخل فقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لك طَلًّا ، ولا أَمْنَعُكِ بعد هذا من شيء
تريدينه . ولها في طَلٍّ هذا عدة أشعار فيها لها صنعة . منها :

صوت

- ٥ يا ربّ لاني قد غَرَضْتُ بهجرها * فإليك أشكو ذاك يا ربّاه
مولاة سَوَّءٍ تَسْتَهِنُ بعدها * نَعَمَ الغلامُ وبئستِ المولاة
«طَلٌّ» ولكنّي حُرِمْتُ نعيمه * ووصّالَه إن لم يُغْنِنِي الله
يا ربّ إن كانت حياتي هكذا * ضَرًّا عليّ فما أريد حياه
الشعر والغناء له خفيفٌ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى . وقد ذكر ابن خرداذبة
١٠ أن الشعر والغناء لُنْبِيهِ الكوفي ، وأنه هوى جارية تُغْنِي ، فتعلّم الغناء من أجلها وقال
الشعر ، ولم يزل يتوصّل إليها بذلك حتى صار مُقَدِّمًا في المغنين ، وأنّ هذا الشعر له
فيها والصنعة أيضا .

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسديّ قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ
ابن عمير عن أبيه قال :

حجب عنها طل
فقال فيه شعرا
وصحفت اسمه

- ١٥ حُجِبَ طَلٌّ عَنْ عَلِيَّةَ فَقَالَتْ وَصَحَفَتْ اسْمَهُ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ :
أَيَا سَرَوَةَ الْبُسْتَانِ طَالَ تَشْوَقُ * فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ لَدَيْكَ سَبِيلُ
مَتَى يَلْتَقِي مَنْ لَيْسَ يُقْضَى خُرُوجُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
عَسَى اللَّهُ أَنْ نَزْنَحَ مِنْ كُرْبِيَةٍ لَنَا * فَيَلْقَى آغْبَا طَا خَلَّةً وَخَلِيلُ

(١) غرضت بهجرها أي ضجرت . وفي الأصول : « غرضت » بالعين المهملة وهو تصحيف

٢٠ (٢) السزور : شجر حمن الهيئة قويم الساق ، وقد فمر به صاحب القاموس العرعر .

عروضه من الطويل . الشعر والغناء لعلية خفيف رمل . كذا ذكر ميمون بن هارون ،
وذكر عمرو بن بانه أنه لسلسل خفيف رمل بالوسطى . وأول الصوت :
* متى يلتقى من ليس يقضى خروجه *

وذكر حبش أنه للهدلى خفيف رمل بالبصر .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني قال
حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال :
قالت عليّة في ظلّ وصحفت أسمه في هذا الشعر وغنت فيه :

صوت

سَلِّمْ عَلَى ذَاكَ الْغَزَالِ * الْأَعْيِدِ الْحَسْنَ الدَّلَالِ

سَلِّمْ عَلَيْهِ وَقُلْ لَهُ * يَا غُلَّ أَلْبَابِ الرِّجَالِ

خَلَيْتَ جِسْمِي ضَاحِيًا * وَسَكَنْتَ فِي ظِلِّ الْمَجَالِ^(١)

وَبَلَّغْتَ مَنَى غَايَةً * لَمْ أَدْرِ فِيهَا مَا آخِثَالِي

الشعر والغناء لعلية خفيف رمل ، وذكر غيره هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن علي بن عثمان
الشطرنجي :
كانت تقول الشعر
في خادمها رشاً
وتكنى عنه بزئب

أن عليّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له « رشاً » وتكنى عنه ، فمن
شعرها فيه وكنت عنه بزئب :

صوت

وَجَدَ الْفَوَادُ بَزِينًا * وَجَدًا لَدِيدًا مُتَعَبًا

أَصْبَحْتُ مِنْ كَلْفِي بِهَا * أَدْعَى سَقِيًا مُنْصَبًا^(٢)

(١) المجال : جمع جملة وهي ستر العروس في جوف البيت . (٢) في ١ ، م : « شقياً » .

ولقد كُنْتُ عَنْ أَسْمَها * عَمْدًا لَكِي لَا تَغْضَبُ
 وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ * وَكُنْتُ أَمْرًا مُعْجِبًا
 قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوَصَا * لَوْلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا
 وَاللَّهِ لَا نَلَتْ الْمَوْدَةَ * أَوْ تَنَالَ الْكُوكَبَا

- هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايته فيه عن المعروف بالشَّطْرُنجِيّ ولم يحصل ما رواه . وهذا الصوت شعره لأَبْنِ رُهَيْمَةَ الْمَدَنِيّ . والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو من زَيْنَبِ يونس المشهورات وقد ذكرته معها .^(١) والصحيح أَنَّ عُلَيَّةَ غَنَّتْ فِيهِ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى ، حكى ذلك أَبُو الْمَكِّيِّ عَنْ أَبِيهِ، وأخبرني به ذُكَاءٌ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ زُرْزُورٍ .

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجهم قال^(٢)
 حدثني عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ :

لَمَّا عَلِمَ مِنْ عُلَيَّةَ أَنَّهَا تَكْنِي عَنْ رِشَا بَزِينَبَ قَالَتْ :

صوت

- الْقَلْبُ مُشْتَاقٌ إِلَى رَبِّ * يَا رَبَّ مَا هَذَا مِنَ الْعَيْبِ
 قَدْ تَيَّمَّتْ قَلْبِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ * إِلَّا الْبَكَاءَ عَالِمَ الْغَيْبِ
 خَبَأْتُ فِي شَعْرَى اسْمَ الَّذِي * أَرَدْتُه كَالْخَبَاءِ فِي الْجَيْبِ

قال : وَغَنَّتْ فِيهِ لَحْنًا مِنْ طَرِيقَةِ خَفِيفِ الرَّمْلِ الْأَوَّلِ فَصَحَّفَتْ أَسْمَها فِي رَبِّ .

(١) انظر الجزء الرابع من الأغاني من هذه الطبعة ص ٤٠٢ وما بعدها . (٢) مر هذا الاسم في الجزء الخامس ص ٢٧٣ باسم « الحسين بن يحيى أبي الجهمان » وفي الجزء السابع ص ٢٠٨ باسم « الحسين بن يحيى أبي الجهمان » .

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طُغَيَانٌ ، فَوُشَتْ بِعُلَيَّةَ إِلَى رَشَاءٍ وَحَكَّتْ
عنها ما لم تقبل ، فقالت عُلَيَّةُ :

لَطُغَيَانُ خُفِّ مُذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً * جَدِيدٌ فَلَا يَبْلَى وَلَا يَتَحَرَّقُ
وَكَيْفَ بَلَى خُفِّ هُوَ الدَّهْرُ كُلُّهُ * عَلَى قَدَمَيْهَا فِي الْهَوَاءِ مُعَلَّقُ
فَمَا تَحَرَّقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُبَلِّ جَوْرًا * وَأَمَّا سَرَائِلَاتُهَا فَتَمَزَّقُ

قال : وحلفَ رَشَاءٌ أَلَّا يَشْرَبَ النَّبِيذَ سَنَةً ، فقالت :

صوت

(١)
قَدْ ثَبِتَ الْخَلَاءُ فِي خَنْصَرِي * إِذَا جَاءَنِي مِنْكَ تَجَنُّبِي
حَرَمْتُ شَرْبَ الرَّاحِ إِذْ عَفَّتْهَا * فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ أَطَاصِيكَ
فَلَوْ تَطَوَّعْتَ لِعَوَضَتِي * مِنْهُ رُضَابَ الرِّيقِ مِنْ فَيْكِ
فِيهَا عِنْدِي مِنْ نِعْمَةٍ * لَسْتُ بِهَا مَاعَشْتُ أَجْزِيكَ
يَا زَيْنَبًا قَدْ أَرَقْتُ مُقْلَتِي * أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِحَبِيبِكَ

غَنَّتْ فِيهِ عَالِيَةً هَزَجًا .

٨٦
٩

أخبرني جَحْظَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَا حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنِي
الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ : قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى الْهَادِي :
كُنْتُ عِنْدَ الْمُعْتَمِرِ وَعِنْدَهُ مُخَارِقٌ وَعَلَوِيَّةٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ وَعَقِيدٌ ، فَتَغَنَّى
عَقِيدٌ وَكُنْتُ أَضْرِبُ عَلَيْهِ :

صوت

نَامَ عُدَالِي وَلَسِمَ أَنَّمِ * وَأَشْتَى الْوَاشُونَ مِنْ سَقَمِي
وَإِذَا مَا قُلْتُ بِي أَلَمْ * شَكَّ مَنْ أَهْوَاهُ فِي أَلَمِي

(١) الخاتمة هنا غير مفهومة وإن كان المعنى الإجمالي واضحاً . (٢) في ب ، س : « الحليلين » .

هجت طغيان حين
وشت بها الى رشا

شعرها حين امتنع
رشا عن شرب
النبيذ

غنى عقيد للمعتم
بشعر فسأل عنه
فقال محمد بن
إسماعيل إنه لها
فضيب وأعرض
عنه

١٠

١٥

٢٠

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فأمسكوا . فقلت: لعلية، فأعرض عني، فعرفت غلطى وأت القوم أمسكوا عمداً، ففقطعت بي^(١)، وتبين حالي، فقال: لا ترع يا محمد، فإن نصيبك فيها مثل نصيبي . الغناء لعلية خفيف رمل . وقد قال قوم: إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطنبوري مولى نخاعة، وإن الشعر لحالد الكاتب .

- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال :
كنا عند المتنصر، فغننا بناناً لحناً من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل :

غنى بنان للتنصر
بلحن لها في شعر
الرشيده

صوت

يَا رَبَّةَ الْمَثَلِ بِالسِّرِّ * وَرَبَّةَ السُّلْطَانِ وَالْمَلِكِ^(٢)
تَحْجُو جِي بِاللَّهِ مِنْ قَتْلِنَا * لَسْنَا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالسُّرِّ

- فضحككت . فقال لي : مِمَّ ضَحِكْتَ ؟ قلت : من شرف قائل هذا الشعر، وشرف من عمل اللحن فيه، وشرف مستمعيه . قال : وما ذاك ؟ قلت : الشعر فيه للرشيده، والغناء لعلية بنت المهدي، وأمير المؤمنين مستمعه . فأعجبه ذلك وما زال يستعيده .
حدثني إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخاً يحدث أبي وأنا غلام فحفظت عنه ما حدثه به ولم أعرف اسمه، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال :
عملت في أيام الرشيد لحناً وهو :

أخذت من إسحاق
لحناً وغمته الرشيد
ثم غناه هو لأماون
فغننه

صوت

سَقِيَا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمَتْ نَهْنَى * بَعْدَ الْهَدَوِّ بِهَا قَرْعُ النَّوَافِسِ
كَأَنَّ سَوَسَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ * عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِسِ

(١) قطع بي : يريد سدت على مسالك القول . (٢) البرك : علم على عدة مواضع .

- قال : فأعجبني وعملتُ على أن أباكر به الرشيدَ . فلقيني في طريق خادمٍ لعلية بنت المهدي ، فقال : مولاتي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع من بعض جواريسها غناءً أخذته عن أبيك وشككتُ فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أُفردت لي كأنها كانت معدّة ، فجلستُ ، وقُدِّم لي طعامٌ وشرابٌ فَنلت حاجتي منهما ، ثم خرج إلى خادم فقال لي : تقول لك مولاتي : أنا أعلم أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحَدِّثٌ ، فاسمعيه ولك جائزةٌ سنيةٌ تتجملها ، ثم ما يأمرك به لك بين يديك ، ولعله لا يامر لك بشيءٍ أو لا يقع الصوتُ منه بحيثُ توخيتُ ، فيذهب سعيك باطلاً . فاندفعتُ فغنيتهُ إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتُ إلى عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم زل تستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه مني الآن ؛ فغنته غناءً ما حرق سمعي مثله . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أر مثله .
- ١٠ قالت : يا فلانة أعيدي له مثل ما أخذتُ ؛ فأحضرتُ لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً . فقالت : هذا تمنُّه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، أبدأ أنغني به ، وأخبر أنه من صنعتي . وأعطى الله عهداً لئن نطقتُ أن لك فيه صنعةٌ لاقتلتك ! هذا إن نجوتُ منه إن علم بمصيرك إلى . فخرجتُ من عندها والله إني لكالوفن بما أكره
- ١٥ من جائزتها أسقاً على الصوت ، فاجسرتُ والله بعد ذلك أن أتغنم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون في أول مجلس جلسه للهو بعدها ، فبدأتُ به أول ما غنيت . فتغير لون المأمون وقال : من أين لك ويلك هذا ؟ ! قلت : وليّ الأمان على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدّثته الحديث . فقال : يا بغيض ! فما كان في هذا من النفاسة حتى شهّرتَه وذكرتَ هذا منه مع ما قد أخذته من العوض ! وهجنني فيه هُجْنَةً وددتُ معها أني لم أذكره . فألبتُ ألا أغنيه
- ٢٠ (١) في ب ، س : « ولن أبدأ بغناء غيره » . (٢) في أ ، م : « ورواه إني لا كاداموت بما أكره الخ » .

بعدها أبدا . الشعرُ في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النَّسائي ، وقيل : إنه لإسحاق .
ولحنه من الثَّقِيلِ الأوَّلِ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى . وذكر حبش أنه للهذليّ ،
ولم يحصل ما قاله .

- أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العنزيّ قول حدثنا عبد الله بن
أبي سعد قال قال لي ينشئ المغنيّ حدثني أبو أحمد بن الرشيد قال :
كنت يوما عند المأمون وإلى جاني منصور وإبراهيم عمّاي ، فجاء ياسر دخلة
فسأز المأمون ، فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فأنهض ، فنهض . فنظرتُ
إلى ستر قد رُفِعَ مما يليّ دار الحُرَمِ ، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئا ألقني .
فنظرتُ إلى المأمون وأنا أميل فقال لي : يا أبا أحمد مالك تميل ؟ فقلت : إني سمعت
شيئا ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمّتك عليّة تطارح عمّك إبراهيم :
* مالي أرى الأبصارَ بي جافية *

طارحت أخاها
إبراهيم النساء
وسمعا من في مجلس
المأمون

نسبة هذا الصوت .

صوت

- مالي أرى الأبصارَ بي جافية * لم تلتفت مني إلى ناحية
لا ينظر الناس إلى المُبتَلَى * وإِنما الناس مع العافية
صَحِيحِي سَأَلُوا رَبِّكُمْ العافية * فقد دهنني بعدكم داهية
صارَ مِنِّي بعدكم سيّدي * فالعينُ من هجرانه باكية

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنه لعلية وأن اللحن لها خفيف رمل . وذكر
أنه لغيرها خفيف رمل مطلق ، ولحن عليّة مزموّم .

أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بشرًا المرثديّ قال قالت لي ربيّ :
كنتُ يومًا بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلتُ إليه
خلوب^(١) (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءتان وتحتان ، ومع خادم يتبعها عودٌ ، ففتنهما
قائمة والكأسان في أيديهما والتحتان بين أيديهما :

صوت

حيّا كما الله خليلاً * إن ميتاً كنتُ وإن حيّاً

إن قلتما خيراً فخيرٌ لكم * أو قلتما غيًّا فلا غيّا

٨٨
٩

فشربا . ثم دفعتُ إليهما رقعةً فإذا فيها : «صنعتُ يا سيديّ أُخْتُكما هذا الخنّ اليوم ،
وألقته على الجوّاري ، وأصطبحتُ فبعثتُ لكما به ، وبثتُ من شرابي إليكما ومن
تحياتي وأحذقُ جواريّ لتغنيكما . هذا كما الله وسركما وأطاب عيشكما وعيشي بكما» .

أخبرني عمي قال حدثني بنحو من هذا أبو عبد الله بن المرزبان قال حدثني
إبراهيم بن أبي دُلف العجليّ قال :

دعا إبراهيم بن
المهديّ إسحاق
وأبا دلف وفتنهم
جاريته لحنا لها

كنا مع المعتصم بالقاطول وكان إبراهيم بن المهديّ في حرّاقته بالجانب الغربيّ ،
وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حرّاقتهما بالجانب الشرقيّ . فدعاهما في يوم
جمعة ، فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير ، على أقبية ومنطقة . فلما دنونا من
حرّاقه إبراهيم فرأنا نهض ونهضتُ بنهوضه صبيّة له يقال لها «غضة» وإذا في يديها
كأسان وفي يده كأس . فلما صعدا إليه آندفع فغنيّ :

(١) في ٢ ، ٤ : « خلوي » . (٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر
كان في موضع سامرا قبل أن تعمّر ، وكان الرشيد أزل من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصرا .
(٣) ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق ونحوه . وقد ورد هذا الاسم في كتاب تزيين
الأسواق لداود الأنطاكي صفحة ٢٥٨ طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩ هجرية في قوله : « فغزت على واسط
لأن لي بها صديقا من الكتاب بخت فرأيت زلالا مهيا فطلبت الزول معهم فقالوا نحمك بدرهمين ، ولكن
الزلال لها شئ لا يريد معه غريبا ، فتزى بزينا كأنك بعض الملاحين ... » وكتب مصححه بالهامش :
« قوله زلالا كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام » اه وانظر الكلام عليه في قاموس دوريّ .

حَيَّاكُمَا اللهُ خَلِيْلَيَا * إِنَّ مَيِّتًا كُنْتُ وَإِنْ حَيًّا
إِنْ قُلْتُمَا خَيْرًا فَأَهْلًا بِهِ * أَوْ قُلْتُمَا غَيًّا فَلَا غَيًّا^(١)

ثم ناول كل واحد منهما كأساً، وأخذ هو الكأس الثالث الذى فى يد الجارية وقال :
هَلُمَّ نَشْرَبْ عَلَى رِيقِنَا قَدَحًا . ثم دعا بالطعام فأكلنا ، وَوَضِعَ النَبِيدُ فَشَرَبْنَا ، وَغَنِيَاهُ
وَغَنَاهُمَا وَضَرَبَا مَعَهُ وَضَرَبَ مَعَهُمَا ، وَغَنَّتِ الصَّبِيَّةُ ، فَطَرِبَ أَبِي وَقَالَ لَهَا : أَحْسَنْتِ
أَحْسَنْتِ ! . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كَانَتْ أَحْسَنْتِ نَحْنُهَا ، فَمَا أَنْحَرَجْتُهَا إِلَّا لَكَ .

شكت إليها أم جعفر
اقتطاع الرشيد
فقلت شعرا
وغنت به فرجع إليها

أخبرنى على بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالَا حَدَّثَنَا أَبُو هَفَّانَ قَالَ :
أُهِدِيْتُ إِلَى الرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْكَامِلِ ، نَحْلًا مَعَهَا يَوْمًا وَأُخْرِجَ كُلَّ قَيْنَةٍ
فِي دَارِهِ وَأَصْطَبَحَ ، فَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ حَضْرِهِ مِنْ جَوَارِيهِ الْمَغْنِيَّاتِ وَالْخَدَمَةِ فِي الشَّرَابِ
زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ فِي أَحْسَنِ زَيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ . وَأَتَّصَلَ
الْخَبْرُ بِأُمِّ جَعْفَرٍ فَعَلَّظَ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُلَيَّةَ تَشْكُو إِلَيْهَا . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا عُلَيَّةُ :
لَا يَهْوُونَكَ هَذَا ، فَوَاللَّهِ لَا رُدَّتْهُ إِلَيْكَ ، قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَصْنَعَ شِعْرًا وَأَصَوِّغَ فِيهِ لَحْنًا
وَأَطْرَحَهُ عَلَى جَوَارِيٍّ ، فَلَا تَبْقَى عِنْدَكَ جَارِيَةٌ إِلَّا بَعَثْتُ بِهَا إِلَى وَالْبَيْسِيَّاتِ أَلْوَانَ الثِّيَابِ
لِيَأْخُذْنَ الصَّوْتِ مَعَ جَوَارِيٍّ ، فَفَعَلْتُ أُمُّ جَعْفَرٍ مَا أَمَرَتْهَا بِهِ عُلَيَّةُ . فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ
صَلَاةِ الْعَصْرِ لَمْ يَشْعُرِ الرَّشِيدُ إِلَّا وَعُلَيَّةُ قَدْ حَرَجَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُجْرَتِهَا ، وَأُمُّ جَعْفَرٍ مِنْ
حُجْرَتِهَا مَعَهَا زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا وَسَائِرِ جَوَارِي الْقَصْرِ ، عَلَيْهِنَّ غِرَابُ
الْبَاسِ ، وَكُلِهِنَّ فِي لَحْنٍ وَاحِدٍ هَزَجٍ صَنَعَتْهُ عُلَيَّةُ :

صوت

منفصل عني وما * قلبي عنه منفصل

يا قاطعي اليوم لئلا * نويت بعدى أن تصل

(١) كذا في ح . وفي أ ، م : « فأهله » . وفي ب ، س : « نغير لكم » .

(٢) كذا في الأصول . ويلاحظ أن الكأس مؤنثة .

فطرب أنرشيد وقام على رجله حتى استقبل أمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور، وقال : لم أر كاليوم قط . يا مسرور لا تُبقيّن في بيت المال درهمًا إلا ثرته . فكان مبلغ ما ثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم ، وما سُبيع بمثل ذلك اليوم قط .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال : كانت عليّة تقول : من لم يُطربه الرمل لم يُطربه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طبّاجة باردة ولم يصطبج فعليه لعنة الله .

٨٩
٩
٥

حدثني عمي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عريب : أحسن يوم رأيته وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب ، وكان أحذق الناس بالزمر . فبدأت عليّة فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

غنت هي وأخوها
إبراهيم وزمر عليها
أخوها يعقوب

صوت

تَجَبُّ فَإِنَّ الْحُبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقُرْبِ
وَعَنَى إِبْرَاهِيمَ فِي صِنْعَتِهِ وَزَمَرَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ :

صوت

يَا وَاحِدَ الْحُبِّ مَا لِي مِنْكَ إِذْ كَلَفْتُ * نَفْسِي بِحَبِّكَ إِلَّا الْهَمُّ وَالْحَزَنُ
لَمْ يُنْسِنِكَ سُرُورٌ لَا وَلَا حَزَنٌ * وَكَيْفَ لَا ! كَيْفَ يُنْسَى وَجْهُكَ الْحَسَنُ
وَلَا خَلَا مِنْكَ قَلْبِي لَا وَلَا جَسَدِي * كُلِّي بِكَ لَكَ مَشْغُولٌ وَمُرْتَهَنُ
نُورٌ تَوَلَّدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ * حَتَّى تَكْمُلَ مِنْهُ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ
فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهَا قَطُّ ، وَأَعْلَمُ أَنِّي لَا أَسْمَعُ مِثْلَهُ أَبَدًا .

(١) الطباخجة : ضرب من الهم المقلّ .

١٥

٢٠

تمارت خشف
وعريب في عدد
أصواتها بحضرة
المتوكل

قال ميمون بن هارون قلت لعريب :

- رأيتُ في النوم كأتى سألتُ عُلَيَّةَ بنتَ المهديّ عن أغانيها فقالت لي : هي
نَيْفٌ ونحسون صوتًا . فقالت لي عريب : هي كذلك . وقد أخبرني بنحو هذا الخبر
عبد الله بن الربيع الرّبيعيّ قال حدّثني وسوسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم
قال حدّثني خشف الواحِشِيَّة أنها تمارت هي وعريب في غناء عُلَيَّة بحضرة المتوكل .
أو غيره من الخلفاء ، فقالت هي : هي ثلاثة وسبعون صوتًا ، فقالت عريب : هي آثنان
وسبعون صوتًا . فقال المتوكل : غنّا غناءها ، فلم تزلّا تغنّيان غناءها حتى مضى
آثنان وسبعون صوتًا ، ولم تذكر خشف الثالث والسبعين ففُطِع بها وأسُوت
عريب عليها وأنكسرت . قالت : فلما كان الليل رأيتُ عُلَيَّةَ فيما يرى النائم فقالت :
يا خشفُ خالفك عريبُ في غنّائي ! قلت : نعم ياسيدتي . قالت : الصواب معك ،
أفتدريين ما الصوتُ الذي أنسيته ؟ قلت : لا والله ! ولَوِدِدْتُ أني فدّيت ما جرى
بكلّ ما أملك . قالت هو :

صوت

- بني الحبُّ على الجَورِ فلو * أنصفَ المعشوقُ فيه لسمعُ
ليس يُستحسنُ في حكم الهوى * عاشقٌ يُحسنُ تأليفَ المَججِ
لا تَعيّنُ من محبٍّ ذِلَّةً * ذِلَّةُ العاشقِ مِفْتاحُ الفرجِ
وقليلُ الحبِّ صِرْفًا خالصًا * لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزجِ
وكانها قد آندفعت تغنّيني به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غنّته ، ولقد زادت لي فيه أشياء
في نومي لم أكن أعرفها . فأنتهت وأنا لا أعقل فرحًا به . فباكرتُ الخليفةَ وذكرتُ
له القصّة . فقالت عريب : هذا شيء صنعته أنيت لي جرى بالأمس ، وأما الصوت
فصحيح . خلقتُ للخليفة بما رضى به أن القصّة كما حكّيتُ . فقال : رؤياك والله

أعجب ، ورحم الله عليّة ! فما تركت ظرفها حيّة وميتة ، وأجازني جائزة سيّة . ولعليّة في هذا الصوت أعنى :

* بُني الحب على الجحور فلو *

لحنان : خفيف ثقيل وهزج . وقيل إن الهزج لغيرها .

ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان^(١) قال حدثني بعض خدام السلطان عن مسرور الكبير ، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان^(١) ، وفيهما خلاف يذكر في موضعه ، قال : اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً ، فركب حملاً يقرب من الأرض ، ثم أمر بعض خدام الخاصة بالسعي بين يديه ، وخرج من داره ، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم . فلما أحسّ به استقبله وقبل رجله . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قوم ثم مضوا ، ورأى عيداناً كثيرة ، فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافع . فقال : إليك ! أصدّقني . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظريفتين ، وكانت الجاريتان لعلية بنت المهدي بعثت بهما يطرح عليهما . فقال الرشيد لإحداها : غني ، فغنت — وهذا كله من رواية محمد بن طاهر — :

بُني الحب على الجحور فلو * أنصف المعشوق فيه لسميح

ليس يستحسن في حكم الهوى * عاشق يحسن تأليف الجحج

لا تعين من محب ذلة * ذلة العاشق مفتاح الفرج

وقليل الحب صرفاً خالصاً * لك خير من كثير قد مضج

فأحسنّت جداً . فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن الشعر ؟ ما أمله ! ولمن اللحن ؟ ما أطرفه !

فقال : لا أعلم لي . فقال للجارية ، فقالت : لستى . قال : ومن سيّك ؟ قالت : عليّة

سمع الرشيد لحنين لها
من جاريتين . عند
إبراهيم الموصلي
فرجع إليهما وسمعهما
منها ومدحهما

أُخْتُ أمير المؤمنين . قال : الشعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال : غني؛ فغننت :

صوت

تَحَبَّبَ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرِيبِ
تَبَصَّرَ فَإِنَّ حَدَّثَتْ أَنْ أَخَا هَوَى * نَجَا سَالِمًا فَارُجُ النَّجَاةِ مِنَ الْحَبِّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ مُنْخَطَّ وَلَا رِضًا * فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكُتُبِ

— الغناء لعليّة خفيفٌ ثقيل . وفي كتاب علويه : الغناء له — فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر؛ فقال : لا أعلم لي يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن ؟ فقالت لِسَيِّ . قال : وَمَنْ سَيِّكَ ؟ فقالت : عَلِيَّةُ أُخْتُ أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . ومضى فركب حماره وأنصرف إلى عليّة . هذا كله في رواية محمد بن طاهر ، ولم يذكره محمد بن الحسن ، ولكنه قال في خبره : إن الرشيد زار الموصليّ هذه الزيارة ليلاً ، وكان سببها أنه أتته في نصف الليل فقال : هاتوا حماري فأتي بحمار كان له أسود يركبه في القصر قريب من الأرض ، فركبه وخرج في دُرَاعَةٍ وَشِيٍّ مِثْلًا بِعَامَةِ وَشِيٍّ مُلْتَحِفًا بِرَدَاءٍ وَشِيٍّ ، وخرج بين يديه مائة خادم أبيض سوى الفراشين . وكان مسرور القرظاني جريئاً عليه لمكانته عنده ، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزلَ الموصليّ . قال مسرور : فضني ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ، فتلقاه وقبل حماره وقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، أفى مثل هذه الساعة تظهر !! قال : نعم ! شوقٌ طَرَقَ بِي . ثم نزل بجلوس في طَرَفِ الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : ياسيدي

٩١
٩

(١) في الأصول : « سببه » . (٢) الدراعة : ضرب من الثياب ، أو هي جبة مشقوقة المقدم . ٢٠

أَتَشْطُ لَشَيْءٍ تَأْكُلُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَاهُو؟ قَالَ: خَامِيزٌ طَبِيٌّ. فَأَتَى بِهِ كَأَنَّمَا كَانَ مُعَدًّا لَهُ
فَأَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابٍ كَانَ حُلٍّ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ:
أَوْضَيْتَ يَا سَيِّدِي أَمْ يَغْنِيكَ إِمَاؤُكَ؟ فَقَالَ: بَلِ الْجَوَارِي. فَخَرَجَ جَوَارِي إِبْرَاهِيمَ
فَأَخَذَنَ صَدْرَ الْإِيوَانِ وَجَانِيهِ. فَقَالَ: أَيَضْرِبَنَّ كُلُّهُنَّ أُمَّ وَاحِدَةً وَوَاحِدَةً؟ فَقَالَ:
بَلِ تَضْرِبُ اثْنَتَانِ اثْنَتَانِ وَتَغْنِي وَاحِدَةً وَوَاحِدَةً. ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الإيوان
وأحدُ جانبيه والرَّشِيدُ يَسْمَعُ وَلَا يَنْشَطُ لَشَيْءٍ مِنْ غَنَائِمٍ، إِلَى أَنْ غَنَّتْ صَبِيَّةٌ
مِنْ حَاشِيَةِ الصَّفِّ:

صـوـت

يَا مُورِي الزَّيْدِ قَدْ أَعَيْتَ قَوَادِحُهُ * إِقْبِسْ إِذَا شِئْتَ مِنْ قَلْبِي بِمِقْبَاسِ
مَا أَقْبَحَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَسْمَجَهُمْ * إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أُبْصِرْكَ فِي النَّاسِ

١٠

فَطَرِبَ لَغَنَائِهَا وَاسْتَعَادَ الصَّوْتَ مِرَارًا وَشَرِبَ أَرْطَالًا، ثُمَّ سَأَلَ الْجَارِيَةَ عَنْ صَانِعِهِ
فَأَمْسَكَتْ، فَأَسْتَدْنَاهَا فَتَقَاعَسَتْ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُقِيمَتْ إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِشَيْءٍ أَسْرَتْهُ إِلَيْهِ.
فَدَعَا بِجَمَارِهِ فَأَنْصَرَفَ وَالْتَفَتَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِلَّا تَكُونَ خَلِيفَةً! فَكَادَتْ
نَفْسُهُ تَخْرُجُ، حَتَّى دَعَا بِهِ بَعْدُ وَأَدْنَاهُ. هَذَا نَظْمُ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فِي خَبَرِهِ. وَقَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ فِي خَبَرِهِ: فَقَالَ لِلْمُوصِلِيِّ: أَحْتَفِظُ بِالْجَارِيَتَيْنِ، وَرَيْكَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى عُلِيَّةٍ
فَقَالَ: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَكَ الْيَوْمَ. فَتَقَدَّمَتْ فِيمَا تُصَابِحُهُ، وَأَخَذَا فِي شَأْنِهِمَا.
فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي آخِرِ الْوَقْتِ حَمَلَ عَلَيْهَا بِالنَّبِيدِ، ثُمَّ أَخَذَ الْعُودَ مِنْ حِجْرِ جَارِيَةٍ فَدَفَعَهُ
إِلَيْهَا، فَأَكْبَرَتْ ذَلِكَ. فَقَالَ: وَتُرَبِّيهَ الْمَهْدِيَّ لَتَغْنَنَّ!، قَالَتْ: وَمَا أَغْنَى؟ قَالَ: غَنَّى:

١٥

* بُنِيَ الْحَبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ *

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ وَقَفَ عَلَى الْقِصَّةِ فَغَنَّتْهُ . فَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ قَالَ لَهَا غَنِّي :

* تَحَبَّبْتُ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ *

فَلَجَلَجَلَتْ ثُمَّ غَنَّتْهُ . فَقَامَ وَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَقَالَ : يَا سَيِّدَتِي هَذَا عِنْدَكَ وَلَا أَعْلَمُ ! وَتَمَّ
يَوْمَهُ مَعَهَا .

- ٥ حَدَّثَنِي بِحَفْظِهِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَيْسَى بْنُ حَمْدُونَ قَالَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ :
مَا خَجِلْتُ قَطُّ نَحْجَلِي مِنْ عُلْيَةِ أُخْتِي . دَخَلْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا عَائِدًا فَقُلْتُ : كَيْفَ أَنْتِ ،
يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وَكَيْفَ حَالُكَ وَجِسْمُكَ ؟ فَقَالَتْ : بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . وَوَقَعْتُ
عَيْنِي عَلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ تَدْبُّ عَنْهَا فَتَشَاغَلْتُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا فَأَعْجَبْتَنِي وَطَالَ جُلُوسِي ، ثُمَّ
أَسْتَحْيَيْتُ مِنْ عُلْيَةٍ فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا فَقُلْتُ : وَكَيْفَ أَنْتِ يَا أُخْتِي جُعِلْتُ فِدَاكَ وَكَيْفَ
حَالُكَ وَجِسْمُكَ ؟ فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى حَاضِنَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : أَلَيْسَ هَذَا قَدْ مَضَى مَرَّةً
وَأَجَبْنَا عَنْهُ ! لَخَجِلْتُ نَحْجَلًا مَا خَجِلْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَقَمْتُ وَأَنْصَرَفْتُ .

عَادَهَا أَخُوهَا
إِبْرَاهِيمَ دَكَرَ
السُّؤَالَ عَنْهَا فَجَلَّ
مِنْ جَوَابِهَا

- أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ قَالَ :
شَهِدْتُ أَبِي جَعْفَرًا وَأَنَا صَغِيرٌ وَهُوَ يَحْدِثُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ جَدِّي فِي بَعْضِ مَا كَانَ
يُخْبِرُهُ بِهِ مِنْ خَلَوَاتِهِ مَعَ الرَّشِيدِ ، قَالَ : يَا أَبَتِ ، أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى حُجْرَةٍ
يَخْتَرِقُهَا حَتَّى آتَتْهُ إِلَى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفَتَحَتْ لَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ مَنْ كَانَ مَعَنَا مِنَ الْخَدَمِ ،
ثُمَّ صَرْنَا إِلَى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ فَفَتَحَهَا بِيَدِهِ وَدَخَلْنَا جَمِيعًا وَأَغْلَقَهَا مِنْ دَاخِلٍ بِيَدِهِ ،
ثُمَّ صَرْنَا إِلَى رِوَاقٍ فَفَتَحَهُ وَفِي صَدْرِهِ مَجْلِسٌ مُغْلَقٌ فَقَعَدَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ ، فَتَقَرَّ هَارُونَ
الْبَابَ بِيَدِهِ نَقَرَاتٍ فَسَمِعْنَا حَسَا ، ثُمَّ أَعَادَ النَّقْرَ فَسَمِعْنَا صَوْتَ عَوْدٍ ، ثُمَّ أَعَادَ النَّقْرَ ثَالِثَةً
فَغَنَّتْ جَارِيَةٌ مَا ظَنَنْتُ وَاللَّهِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِثْلَهَا فِي حُسْنِ الْغِنَاءِ وَجُودَةِ الضَّرْبِ .
٢٠ فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ غَنَّتْ أَصَوَاتًا : غَنِّي صَوْتِي ، فَغَنَّتْ صَوْتَهُ ، وَهُوَ :

أَمَرَهَا الرَّشِيدُ
بِالْغِنَاءِ فَغَنَّتْهُ مِنْ
وَرَاءِ شَتَارٍ وَكَانَ
مَعَهُ جَعْفَرُ فَعَرَفَهُ بِهَا

٩٢
٩

صنوت

وَمُخَنِّثِ شَمِيدِ الزَّفَافِ وَقَبِيلِهِ * غَنَى الْجَوَارِي حَاسِرًا وَمُنْقَبًا

لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقُرُ دُفَّهُ * تَقَرَّرَ أَقْرَبُهُ الْعِيُونَ وَأَطْرَبًا

إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْتُهُ فَعَشِقْتُهُ * فَشَكُونُ شِدَّةَ مَا بَيْنَ فَا كَذِبًا

— في هذا اللحن خفيف رملٍ نسبته يحيى المكيّ إلى ابن سريج ولم يصحّ له ، وفيه خفيف ثقيل في كتاب عليّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لريق . واللحن مأخوذ من :

* إِنَّ الرِّجَالَ لَمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ *

وهو خفيف ثقيل للهذليّ ، ويقال إنه لابن سريج ، وهو يأتي في موضع آخر — قال : فطربتُ والله طرباً همتُ معه أن أنطح برأسي الحائط . ثم قال غنيّ :

* طَالَ تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي *

فَغَنَنْتُ :

صنوت

طَالَ تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي * لَمْ أَجِدْ عَهْدًا لِلْمَخْلُوقِ

إِنَّ نَاسًا فِي الْهَوَى غَدَرُوا * أَحْدَثُوا نَقْصَ الْمَوَائِيقِ ^(١)

لَا تَرَانِي بَعْدَهُمْ أَبَدًا * أَشْتَكِي عِشْقًا لِمُعْشُوقِ

— لحن عليّة في هذا الصوت هزج . والشعر لأبي جعفر محمد بن حميد الطوسي وله فيه

لحن خفيف ثقيل ، ولعريب فيه ثقيل أول وخفيف ثقيل آخر — قال : فرقص الرشيد

ورقصتُ معه ، ثم قال : امض بنا فلا تخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا ، فضئنا .

فلما صرنا إلى الدهليز قال وهو قابض على يدي : أعرفت هذه المرأة ؟ قال قلت :

لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : فلائي أعلم أنك مستسأل عنها ولا تكتم ذلك ، وأنا أخبرك

(١) في ب ، س : « حنوا » .

أَنهَا عَلِيَّةٌ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ، وَوَالِدُهُ لَمَّا لَفَظَتْ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ وَبَلَغَنِي لِأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ :
فَسَمِعْتُ جَدِّي يَقُولُ لَهُ : فَقَدْ وَالِدُهُ لَفَظْتَ بِهِ، وَوَالِدُهُ لَيَقْتُلَنَّكَ ! فَأَصْنَعُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ .

نسبة الصوت الذي أخذ منه :

* وَخَنَنْتُ شَهِدَ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ *

صوت

إِنِّ الرِّجَالَ لَمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةً * إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْجَلِي وَتَخْضِي
وَأَنَا أَمْرُؤُ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنَوَةً * أَقْرَنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَّابِ وَأُجَنِّبُ
وَيَكُونُ مَرْجُوكَ الْقَعُودُ وَحِدْجُهُ * وَأَبْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي

الناس يروون هذه الأبيات لعنترة بن شداد الببسي، وذكر الجاحظ أنها لخز بن
لؤذان، وهو الصحيح. وخرز شاعر قديم يقال إنه قبل أمرئ القيس. وقد اختلف
في معنى قوله «أبن النعامة» فقال أبو عبيدة والأصمعي : النعامة فرسه وأبنها ظلها .
يقول : أقاد في الهاجرة إلى جنبها فيكون ظلّي كالراكب لظلها . وقال أبو عمرو
الشيثاني : ابن النعامة مُقَدِّمُ رِجْلِهِ مِمَّا يَلِي الْأَصَابِعَ . يقول : فلا يكون لي مركب
إلا رجلي . وقال خالد بن كلثوم : ابن النعامة الخشبة التي يُصَلَّبُ عَلَيْهَا . يقول :
أَقْتُلُ وَأُصَلِّبُ فَتَكُونُ الْخَشَبَةُ مَرْكَبِي . وأحتج من ذكر أنه يعني ظلّ فرسه وأنه يكون
كالراكب له بقول الشاعر :

إِذَا ظَلٌّ يَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ فَارِسًا * وَيَرَى نَعَامَةً ظِلُّهُ فَيَحُولُ

قال : وأبن النعامة : ظلّ كل شيء . وقد مضى هذا الصوت مفردًا مع خبره

في موضع آخر .

- ٢٠ (١) القعود : من الأبل ما اتخذته الراعي للركوب وجعل الزاد والمناخ . والحدج : مركب من
مراكب النساء نحو الهودج والحفة . (٢) كذا في القاموس (في مادة «لؤذ») . وفي الأصول :
«حزن» وهو تحريف .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المَهَلَّبِيّ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال :

أمرها الرشيد
بالقناء فنظمت فيه
شعرا وغتته به
فطرب

زار الرشيدُ عليّة فقال لها : بالله يا أُختي غَنِّني . فقالت : وحياتك لأعملنّ فيك شعراً ولاعملنّ فيه لحناً ، فقالت من وقتها :

صوت

تَفْدِيكَ أَخْشَكَ قَدْ حَبَوْتَ بِنِعْمَةٍ * لَسْنَا نَعُدُّ لَهَا الزَّمَانَ عَدِيلاً
إِلَّا الْخُلُودَ، وَذَاكَ قَرْبُكَ سَيِّدِي * لَا زَالَ قَرْبُكَ وَالْبَقَاءُ طَوِيلاً^(١)
وَحَدَّثْتُ رَبِّي فِي إِجَابَةِ دَعْوَتِي * فَرَأَيْتُ حَبِيْبِي عِنْدَ ذَلِكَ قَلِيلاً
وَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنًا مِنْ وَقْتِهَا فِي طَرِيقَةِ خَفِيفِ الرَّمْلِ ، فَاطْرَبَ الرَّشِيدَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ .
قال : وقالت للرشيد أيضاً وقد طلب أختها ولم يطلبها .

طلب الرشيد أختها
ولم يطلبها فقالت
شعرا وبعثت من
غناه له فأحضرها

صوت

مَالِي نَسِيتُ وَقَدْ نُودِي بِأَصْحَابِي * وَكُنْتُ وَالذِّكْرُ عِنْدِي رَائِحٌ غَادِي
أَنَا الَّتِي لَا أَطِيقُ الدَّهْرَ فُرْقَتَكُمْ * فَارْقُ لِي يَا أَخِي مِنْ طَوْلِ إِبْعَادِ
قال : وغَنَّتْ فِيهِ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي ، وَبَعَثَتْ مِنْ غَنَاءِ لِلرَّشِيدِ ، فَبَعَثَ فَأَحْضَرَهَا .

جئت وتأخرت
فذكّر الرشيد
فنظمت شعرا
وغتته فرضى عنها

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني زُرَّوْرُ الْكَبِيرِ غلام جعفر بن موسى الهادي :
أَنَّ عَلِيَّةَ حَجَّتْ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَتْ أَقَامَتْ بِطَيْرِ نَابَازَ^(٢) أَيَّامًا ، فَاتَّهَى
ذَلِكَ إِلَى الرَّشِيدِ فَغَضِبَ . فقالت عليّة :

(١) في ٢٠ : « في البقاء » . (٢) كذا في معجم البلدان لياقوت . وطير ناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية ، كان من أنزه المواضع محفوفًا بالكروم والشجر والحانات والمعاصر ، وكان من المواضع المقصودة للهو والبطالة . وفي الأصول : « طير ناباذ » وهو تحريف .

أَيُّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ أَيُّ ذَنْبٍ * أَيُّ ذَنْبٍ لَوْلَا رَجَائِي لِرَبِّي
بِمُقَامِي بِطَيْنَ نَابَازٍ يَوْمًا * بَعْدَهُ لَيْلَةٌ عَلَى غَيْرِ شُرْبٍ
ثُمَّ بَاكِرُهَا عُقَارًا شَبُورًا * تَقِيْنُ النَّاسِكَ الْحَلِيمَ وَتُضَيِّ
قَرَقَنًا قَهْوَةً تَرَاهَا جَهْلًا * ذَاتَ حِلْمٍ فَرَاجَةً كُلَّ كَرْبٍ

$$\frac{98}{9}$$

اشتاقتها الرشيد
وهو بالرقعة فطلم
بجاءته وقالت شعرا
وعملت فيه لحنا

10

اشْرَبَ وَغَنَّ عَلَى صَوْتِ النَّوَاعِيرِ * مَا كُنْتُ أُعِيرُهَا لَوْلَا ابْنُ مَنْصُورٍ
لَوْلَا الرَّجَاءُ لِمَنْ أَمَلْتُ رُؤْيَاهُ * مَا جُرْتُ بِغَدَادٍ فِي خَوْفٍ وَتَغْيِيرِ

10

كانت مع الرشيد
في الري فحنت الى
العراق بشعر فردها

لَمَّا خَرَجَ التَّوْشِيدُ إِلَى الرَّيِّ أَخَذَ أُخْتَهُ عَلَيْهِ مَعَهُ ، فَلَمَّا صَارَ بِالْمَرْجِ عَمِلَتْ

٢٠

صوت

وَمُغْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ * وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ
إِذَا مَا أَتَاهُ الرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ * تَلْشَقُ يَسْتَشْفِي بِرَائِحَةِ الرَّكْبِ
فَلَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ أَشْتَاقَتْ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَهْلِهَا بِهِ فَرَدَّهَا .

ونسختُ من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعض موالى أبي عيسى بن
الرشيد عن أبي عيسى: أن عليّة غنت الرشيد في يوم فطر:
غنت الرشيد في يوم
فطر

صوت

طالَتْ عَلَى لَيْلَى الصَّوْمِ وَأَتَصَلْتُ * حَتَّى لَقَدْ خَلَّيْتُهَا زَادَتْ عَلَى الْإِبْدِ
شَوْقًا إِلَى مَجْلِسِ يُرْهِى بِصَاحِبِهِ * أُعِيدُهُ بِجَلَالِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

١٠ الغناء لعلية ثانی ثقیل لا يُشَكَّ فيه، وذكر بعض الناس أنه للوائق، وذكر آخرون
أنه لعبد الله بن العباس الربيعي . والصحيح أنه لعلية . وفيه لعريب ثقیل أول غتته
المُعْتَمِدَ يَوْمَ فِطْرِ قَامَرِهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجهم قال :
كان لعلية وكيل يقال له سباع، فوقع على خيانتة فضربتة وحبسته، فأجتمع
١٥ جيرانه إليها فعزفوها بحيل مذهبه وكثرة صدقه، وكتبوا بذلك رقعة، فوقع فيها:

أَلَا أَيُّهَا الزَّاكِبُ الْعَيْسَ بَلَّغْنِ * سَبَاعًا وَقُلْ إِنْ ضَمَّ دَارَكُمْ السَّفَرُ^(١)
أَتَسْلُبُنِي مَالِي وَإِنْ جَاءَ سَائِلٌ * رَقَقْتُ لَهُ إِنْ حَطَّه نَحْوَكُ الْفَقْرُ^(٢)
كشافية المَرَضَى بعائدة الزنا * تؤمل أجراً حيث ليس لها أجر

(١) كذا في الأصول . والأظهر أن تكون «ضم دكم» أو «حل — أوجاز — داركم السفر»
٢٠ أو نحو ذلك . (٢) السفر: القوم المسافرون .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثتني عَمُّ السَّمَرَاءُ
جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شهدت عُلَيَّةَ غَزَتِ الأَمِينَ في شعرها ، وهو
آخر شعر قالت فيه ، وطريقته من الثَّقیل الثاني . وكانت لما مات الرُّشيد جَرَعَتْ
جَزْماً شديداً وتركت التَّبَيُّدَ والغِناء . فلم يزل بها الأَمِينُ حتى عادت فيهما
على كره . والشعر :

تركت الغناء لموت
الرَّشيد فألح عليها
الأَمِينُ فغنته

صوت

أَطْلَتِ عَادِلَتِي لَوْمِي وَتَفْنِيدِي * وَأَنْتِ جَاهِلَةٌ شَوْقِي وَتَسْنِيدِي
لَا تَشْرَبِ الرَّاحِ بِبَيْنِ الْمُسْمِعَاتِ وَزُرْ * ظَنِيًّا غَيْرِيًّا نَفْيَ الْخَلْدِ وَالْجِيدِ
قَدْ رَنَحْتَهُ شُمُولٌ فَهُوَ مُنْجَدِلٌ * يَمُحِكِي بِوَجْتِهِ مَاءَ الْعَنَاقِيدِ
قام الأَمِينُ فَأَغْنَى النَّاسَ كُلَّهُمْ * فَمَا فَقِيرٌ عَلَى حَالٍ بِمَوْجُودِ
لَحْنُ عُلَيَّةَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ثَانِي ثَقِيلٌ . وَلَعَرِيبَ فِيهِ هَزَجٌ ، وَقِيلَ إِنَّ الْهَزَجَ لِإِبْرَاهِيمَ
ابن المهدي .

٩٥
٩

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثتني عَرِيبُ أَنَّ عُلَيَّةَ
قالت في بُبَانَةَ بِنْتِ أَخِيهَا عَلِيٍّ بن المهدي شعراً وَغَنَّتْ فِيهِ مِنَ الثَّقِيلِ الأول :

قالت شعراً في لبانة
بنت أخيها علي بن
المهدي وغنت فيه

صوت

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَجْلِسِ كُنَيْتِ زَيْنَةَ * رَسُولُ أَمِينٍ^(٢) وَالنِّسَاءُ شُهُودُ
فَقُلْتُ لَهُ كَرُّ الْحَدِيثِ الَّذِي مَضَى^(١) * وَذِكْرُكَ مِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
وَقَدْ ذَكَرَ الْهَيْشَامِيُّ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِإِسْحَاقَ غَنَّاهُ بِالرَّقَّةِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ .

(١) في ح : « فقلت لها كرى » . (٢) في ب ، س : « من بين الحديث » .

سميها اسماعيل
ابن الهادي تغني
مسترة عند المأمون
وأذهله غناؤها

أخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد، ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عَوْن بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد واللفظ له قال : دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون ، فسَمِعَ غِنَاءً أذهله . فقال له المأمون : مالك ؟ قال : قد سَمِعْتُ ما أذهلني ، وكنتُ أَكْذِبُ بأن الأرضِ الرُّومِيَّةِ يقتُلُ طرباً ، وقد صدّقتُ الآنَ بذلك . قال : أو لا تَدْرِي ما هذا ؟ قال : لا والله ! قال : هذه عَمَّتُكُ عَلِيَّةٌ تُلقِي على عَمِّك إبراهيمَ صوتاً من غِنائها . إلى هاهنا رواية محمد ابن يحيى . وفي رواية محمد بن الحسن قال : هذه عَمَّتُكُ تُلقِي على عَمِّك إبراهيمَ صوتاً استحسنه من غِنائها . فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقِي عليه :

صوت

ليس خَطْبُ الهوى بخطيب يسير * ليس يُنْبِئُكَ عنه مثْلُ حبير
ليس أمرُ الهوى يُدَبِّرُ بالرأى * ي ولا بالقياس والتفكير
اللّٰنُ في هذا لَعَلِّيَّةٌ ثَقِيلٌ أوَّل . وفيه لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثَقِيلٌ عن الهشاميّ .

تسوفت ولها
نحسون سنة ،
وسبب وفاتها

أخبرني بِحُظَّةٌ قال حَدَّثني هِبَةُ اللَّهِ بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه :
أَنَّ عَلِيَّةَ بِنْتَ المهديّ وُلِدَتْ سَنَةَ سِتِينَ ومائة ، وتُوفِيَتْ سَنَةَ عَشْرٍ ومائتين (١)
ولها نحسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن عباس . وأخبرني محمد بن يحيى عن عَوْن بن محمد قال حَدَّثني محمد بن عليّ بن عثمان قال : ماتت عَلِيَّةٌ سَنَةَ تِسْعٍ ومائتين ، وصَلَّى عليها المأمون . وكان سبب وفاتها أَنَّ المأمون ضمَّها إليه وجعل يقبِّلُ رأسها ، وكان وجهها مُغَطًى ، فشَرِقَتْ من ذلك وسعلت ثم حُمِتْ بعَقِبِ هذا أَيَّاماً يسيرةً وماتت .

(١) في الأصول : « ست عشرة ومائتين » والتصويب عن نهاية الارب والنجوم الزاهرة .

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد

فمن صنعته :

صوت

قام بقلبي وقعد * ظبي نقي عني الجلد
خلفني مدماً * أهِمُّ في كلِّ بلد
أسهرني ثم رقد * وما رثي لي من كد
ظبي إذا أزددت له * تذلاً تاه وصد
واعطشاً إلى فسيم * يمجُّ نحرًا من برد

٩٦
٩

- عروضه من مجزوء الرجز. والشعر والغناء لأبي عيسى بن الرشيد، ولحنه فيه ثقل أول
مطلق في مجرى الوسطى من رواية عبد الله بن المعتز والهشامي. وذكر الهشامي أن
١٠ له أيضاً فيه لحناً من ثقل الرمل، وذكر حبش أن الرمل لحسين بن محرز. وفيه
لأبي العباس بن حمدون خفيف ثقل.

أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

اسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد. وهذا النسب أشهر من أن يُشرح. شيء من أوصافه وأمه أم ولد بربرية. وكان من أحسن الناس وجهًا ومجالسةً وعشرةً، وأجمنهم وأحدهم نادرةً وأشدّهم عبثًا. وكان يقول شعرًا لينا طيبًا من مثله.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباة يقول: سمعتُ أبي (يعني طاهر ابن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للأُمون: أنت تعلم أنك أحب الناس إلى، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيح بن حاتم العكلي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال: ١٠

كان يقال: انتهى جمال ولد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى. وكان أبو عيسى إذا عزّم على الركوب جلس الناس له حتى يروّاه أكثر مما يجلسون للخلفاء.

حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال: ١٥
كنتُ عند أبي الصمقر إسماعيل بن بلبل وعنده عريب، فسمعتها تقول: انتهى جمال الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى، ما رأى الناس مثلهما، وكان المعترّ في طرازهما. قال: وسمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك من غناء أبي عيسى ابن الرشيد! وما سمعتُ قط غناء أحسن من غنائه، ولا رأيت وجهًا أحسن من وجهه.

(١) كذا في ١، ٢، ٣. وفي ح: «في غنائك من غناء أبي عيسى الخ». وفي ب، س: «في غنائك مشابهة من غناء أبي عيسى الخ». ٢٠

مدحت عريب
حسنه وغنائه

- أخبرني محمد قال حدثني الغلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال . .
 قال الرشيد من
 جواب له في صباه
 وقبله
- قال الرشيد لأبي عيسى ابنه وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله (يعني المأمون) .
 فقال له : على أن حظه منك لي . فعيجب من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله .
 وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عبد الله بن
 أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال :
 ٥
- حدثني من شهيد المأمون ليلة وهم يترأون هلال شهر رمضان وأبو عيسى
 أخوه معه وهو مستلق على قفاه ، فرأوه وجعلوا يدعون . فقال أبو عيسى قولاً أنكر
 عليه في ذلك المعنى . كأنه كان متسخطاً لورود الشهر ، فما صام بعده .
- أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فهم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد :
 ١٠ دهاني شهر نصوم لا كان من شهر * وما ضمنت شهراً بعده آخر الدهر
 فلو كان يُعديني الإمام بقنطرة * على الشهر لاستعديت جهدي على الشهر
 فناله بعقب قوله هذا الشعر صرع ، فكان يُصرع في اليوم مرات إلى أن مات ، ولم
 يبلغ شهراً آخر .
- وذكر علي بن الهشام عن جده ابن حمدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدي :
 ١٥ من أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم من ؟ قال : أبو عيسى بن الرشيد .
 قلت : ثم من ؟ قال : مخارق .
- أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله
 ابن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْدِي قال :
 ٢٠ كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون ، فأخذ
 أبو عيسى هندباءة فغمسها في الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة ، فغضب طاهر .
 (١) هذه النسبة إلى صعدة ، وهي من بلاد اليمن . (٢) الهندباء : صنفان من النبات : أحدهما
 قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآثر أدق وأرق منه وفي طعمه سراحة . (انظر مفردات
 ابن البيطار طبعة بلاق ج ٢ ص ١١٨) .
- مصحح إبراهيم بن
 المهدي غناه
 ٩٧
 ٩
- عابث طاهر بن
 الحسين أمام
 المأمون فغضب
 فترضاه

وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِحْدَى عَيْنَيَّ ذَاهِبَةً ، وَالْأُخْرَى عَلَى يَدَيَّ
عَدْلٌ ، يُفْعَلُ هَذَا بِي بَيْنَ يَدَيْكَ !! فَقَالَ لَهُ الْمَأمُونُ : يَا أَبَا الطَّيِّبِ إِنَّهُ وَاللَّهِ لَيَعْبَثُ
بِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْعَبَثِ .^(١)

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
عَزَّصَ يَعْقُوبُ بْنُ
الْمُهْدِيُّ فَضَحَكَ
الْمَأمُونُ رَنَاهُ

أَبْنُ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عِيْسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عِيْسَى بْنُ مَاهَانَ قَالَ :
بَيْنَا الْمَأمُونُ يُخْطَبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمَنْبَرِ بِالرَّصَافَةِ وَأَخُوهُ أَبُو عِيْسَى تَلْقَاءُ وَجْهَهُ
فِي الْمَقْصُورَةِ ، إِذْ أَقْبَلَ يَعْقُوبُ بْنُ الْمُهْدِيِّ وَكَانَ أَقْسَى النَّاسِ ، مَعْرُوفًا بِذَلِكَ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ
وَضَعَ أَبُو عِيْسَى كَفَّهُ عَلَى أَنْفِهِ ، وَفَهِمَ الْمَأمُونُ مَا أَرَادَ فَكَادَ أَنْ يَضْحَكَ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ
بَعَثَ إِلَى أَبِي عِيْسَى فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ أَنْ أَبْطَحَكَ فَأَضْرِبَكَ مِائَةَ دِرَّةٍ !
وَيْلَكَ ! أَرَدْتَ أَنْ تَفْضَحَنِي بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَأَنَا عَلَى الْمَنْبَرِ ! إِيَّاكَ أَنْ
تَعُودَ لِمِثْلِ هَذِهِ ! . قَالَ : وَكَانَ يَعْقُوبُ بْنُ الْمُهْدِيِّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُمَسِكَ الْقَسَاءَ إِذَا جَاءَهُ .
فَاتَّخَذَتْ لَهُ دَايَةً مِثْلَةً وَطَيَّبَتْهَا وَتَنَوَّقَتْ فِيهَا . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا تَحْتَهُ فَمَا ، فَقَالَ : هَذِهِ
لَيْسَتْ بِطَيِّبَةٍ . فَقَالَتْ لَهُ الدَايَةُ : فِدَيْتُكَ ! عِذَّةٌ قَدْ كَانَتْ طَيِّبَةً وَهِيَ مِثْلَةٌ ، فَلَمَّا رُبِعَتْهَا
فَسَدَتْ . قَالَ : وَكَانَ يَعْقُوبُ هَذَا مُحَقَّقًا ، كَانَ يَخْطُرُ بِإِلَالَةِ الشَّيْءِ فَيَسْتَهِيهِ فَيُثْبِتُهُ
فِي إِحْصَاءِ خَزَائِنِهِ . فَضَجَّ خَازِنُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَ يُثْبِتُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُثْبِتُ تَحْتَهُ أَنَّهُ
لَيْسَ عِنْدَهُ ، وَإِنَّمَا أَثْبَتَهُ لِيَكُونَ ذِكْرُهُ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ يَمْلِكَهُ . فَوُجِدَ فِي دَفْتَرِهِ فِيهِ
تَبَيَّنُ ثِيَابٌ : «تَبَيَّنَتْ مَا فِي الْخِزَانَةِ مِنَ الثِّيَابِ الْمُنْقَلَةِ الْإِسْكَدَرَانِيَّةِ وَالْهَشَامِيَّةِ ، لِأَشْيَاءٍ
— أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — بَلْ عِنْدَنَا مِنْهَا زُرْحِيَّةٌ كَانَتْ لِلْمُهْدِيِّ . الْفُصُوصُ الْيَاقُوتُ الْأَحْمَرُ
الَّتِي مِنْ حَالِهَا كَذَا وَكَذَا لَا شَيْءَ — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — بَلْ عِنْدَنَا مِنْهَا دُرٌّ كَانَ فِيهِ

(١) فِي ح ، ب ، س : «معي» . (٢) كَذَا فِي ح . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : «... دَقَرُ عِنْدَهُ

لَهُ فِيهِ » . (٣) ظَاهِرٌ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّهَا ضَرَبَ مِنَ الثِّيَابِ ، وَلَمْ نَعْرِضْ لَهَا فِيهَا عَرَفَانَهُ مِنْ مِثْلِهَا .

للهدى خاتم هذه صفته . فحمل ذلك الدفتر الى المأمون ، فضحك لما قرأه
حتى فخص برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قط . .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلبى قال حدثني الهيثم
ابن محمد بن عباد عن أبيه قال :

كان المأمون يحبه
ويتنقذ أن يلى الأمر
بعده

- كان المأمون أشد الناس حبا لأبى عيسى أخيه ، كان يُعده للأمر بعده ، وتذاكرنا
ذلك كثيرا . وسمِعته يقول يوما : إنه ليسهل على أمر الموت وفقد الملك ، وما يسهل
شيء منهما على أحد ، وذلك لحبتي أن يلى أبو عيسى الأمر من بعدى لشدة حبي إياه .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :

- كان سبب موت أبى عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير ، فوقع
عن دابته فلم يسلم دماغه ، فكان يُخبط في اليوم مرات إلى أن مات .

كان يحب صيد
الخنزير فوقع عن
دابته ، وكان ذلك
سبب موته

- حدثني محمد قال حدثنا أبو العيَّاء قال حدثنا محمد بن عباد المهلبى قال :
لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت إلى المأمون وغمامتى على ، فخلعت عمامتى
ونبذتها وراء ظهري — والخلفاء لا تُعزى في العائم — ودنوت . فقال لى : يا محمد ،
حال القدر دون الوطر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كل مصيبة أخطأتك تهون ، بفعل
الله الحزن لك لا عليك .

عزاء محمد بن عباد
المأمون فيه

٩٨
٩

- أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هبة الله بن إبراهيم يقول :
مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين ، وصلى عليه المأمون ونزل في قبره ،
وأمتنع من الطعام أياما حتى حاف أن يضرب ذلك به .

مات سنة تسع
ومائتين

- أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو العيَّاء قال سمعت محمد
ابن عباد يقول :

وجد عليه المأمون
وجدا شديدا

لما توفى أبو عيسى بن الرشيد وجد المأمون عليه وجداً شديداً، وكان له محباً وإليه مأثلاً. فركب إلى داره حتى حضر أمره وصلى عليه، وحضره الناس، وكنهت فيمن حضر، فما رأيت مصاباً حزينا قط أجمل أمراً في مصيبة ولا أحرَق وجداً منه من رجل صامت تجرى دموعه على خديه من غير كلح ولا استنثار^(١).

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبي قال قال أحمد بن أبي دؤاد : دخلت على المأمون في أول صبحتي إياه وقد توفى أخوه أبو عيسى وكان له محباً وهو يبكي ويمسح عينيه بمنديل، فقمعت إلى جنب عمرو بن مسعدة وتمثلت قول الشاعر :

نقص من الدنيا وأسبابها * نقص المنايا من بني هاشم
لم يزل على تلك الحال ساعة يبكي، ثم مسح عينيه وتمثل :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض * فحسبك مني ما يُجِنُ الجوانح
كأن لم يمت حتى سواك ولم تنع * على أحد إلا عليك النوائح
ثم التفت إلى فقال : هيه يا أحمد ! لتمثلت قول عبدة بن الطبيب :

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحمها
تحية من أوليته منك نعمة * إذا زار عن شحط بلادك سلمها
وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بيان قوم تهدما

فبكي ساعة ثم التفت إلى عمرو بن مسعدة فقال : هيه يا عمرو ! قال : نعم يا أمير المؤمنين بكوا حذيفة لم تبكوا مثله * حتى تعود قبائل لم تُخلق

(١) كذا في الأصول . والذي في كتب اللغة : كلح وجه الرجل كلوحا وكلأحا (كفراب) : تكشر في عبوس أو عبس فأفرط في تعبسه . والاستنثار : إنجاج ما في الأنف من أذى .

بكاه المأمون وتمثل شعرا وعزاه فيه ابن أبي دؤاد وعمرو بن مسعدة وناحت عليه عريب

٥

١٠

١٥

٢٠

فإذا عَرِيبٌ وجَوَارٍ معها يَسْمَعَنَّ ما يدور بيننا، فقلن : إجعلوا لنا معكم في القول نصيرا . فقال لها المأمون : قولي ، فرب صواب منك كثير . فقالت :
 كذا فليَجَلَّ الخطبُ وليَقْدَحِ الأمرُ * وليس لعينٍ لم يَفِضْ مأوئها عُذْرُ
 كأنَّ بني العباس يومَ وفاته * نجومُ سماءٍ تحرَّ من بينها البدر
 فبكى وبكىنا . ثم قال لها المأمون : نُوحِي ، فناحت وردَّ عليها الجوارى . فبكى المأمون
 حتى قلت : قد خرجت نفسي ، وبكىنا معه أحرباء ، ثم أمسكت . فقال لها المأمون :
 اصْبِغِي فيه لحنا وغنِّي به . فصنعت فيه لحنا على مذهب النوح وغنته إياه على
 العود . فوالذي لا يُخْلَفُ بأجل منه لقد بَكَيْنا عليه غناء أكثر مما بَكَيْنا عليه تَوْحًا .
 أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الطيب بن محمد الباهلي^(٢) قال حدثني موسى
 ابن سعيد عن أخيه عمرو قال :

طلب المأمون من
 أبي التاهية أن
 يسليه عنه

٩٩
 ٩

لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجد عليه المأمون وجدا شديدا حتى امتنع من
 النوم ولم يطعم شيئا . فدخل عليه أبو التاهية ، فقال له المأمون : حدثني : يا إسحاق
 بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا رفاقها . فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس
 سليمان بن عبد الملك أنفرتيابه ومسَّ أطيب طابه وركب أفرة خيله وتقدم إلى جميع
 من معه أن يركب في مثل زيئه وأكل سلاحه ، ونظر في مِرآته فأعجبته هيئته وحسنه ،
 فقال : أنا الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف ترى ؟ فقالت :
 أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان
 أنت خلوت من العيوب ومما * يكره الناس غير أنك فاني

(١) يلحظ أن هذا الشعر لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي ، وقد قتل هذا الأمير في حرب كانت
 بينه وبين أصحاب بابك الخرمي سنة ٢١٤ هجرية . والمروى هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة ٢٠٩ هجرية ،
 فأمل هذا . وأصل الشعر « كان بنو نهان » فغير وجعل « كان بنو العباس » .
 (٢) في ب ، س : « الطيب » .

فأعرض بوجهه ، فلم تدُر عليه الجمعة إلّا وهو في قبره . قال : فبكي المأمون والناس ،
فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم . قال : وهذان البيتان لموسى شهوات .

ومن غناء أبي عيسى وجيد صنعة ، والشعر له ، وطريقته من الثقل الثاني مطلق بعض أصواته
في مجرى البصر . وذكر حبش أن فيه لحسين بن محرز أيضًا صنعة من خفيف الرمل :

صوت

رَقَدَتْ عَنْكَ سَلَوَتِي * وَالْهَوَى لَيْسَ يَرْقُدُ
وَأَطَارُ السَّهَادُ نَوَى * مَيَّ فَنُومِي مُشْرَدُ
أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا * حَسَنَ الْوَجْهِ تَشْمَدُ
وَفُؤَادِي بِحُسْنِ وَجْهِ * يَهْكَ يَسْقَى وَيَكْمَدُ

ومن غنائه أيضًا وهو من صدور صنعة في شعر الأخطل — ولحنه من الثقل الأول — :

صوت

إِذَا مَا زِيَادٌ عَلَّانِي ثُمَّ عَلَّانِي * ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيدُ
نَحْرَجْتُ أَجْرَ الذَّبَلِ حَتَّى كَأَنَّي * عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
وَلَا يَسْحَاقُ فِي هَذَا الشَّعْرِ رَمْلٌ بِالْبَصْرِ عَنْ عَمْرُو .

*

وَمَنْ عُرِفَتْ لَهُ صِنْعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي
فَمِنْ صِنْعَتِهِ :

صوت

تَقَاضَاكَ دَهْرُكَ مَا أَسْلَفَا * وَكَدَّرَ عَيْشَكَ بَعْدَ الصَّفَا
فَلَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الزَّمَانَ * رَهِينٌ بِتَشْتِيتِ مَا أَلْفَا
وَمَا زَالَ قَلْبُكَ مَأْوَى السَّرُورِ * كَثِيرَ الْهَوَى نَاعِمًا مُتَرَفَا
أَلْحَ عَلَيْكَ بِرَوَاعَاتِهِ * وَأَقْبَلَ يَرْمِكُ مُسْتَهْدِفَا

الشعر والغناء لعبد الله بن موسى . ولحنه مأخوذة وهو خفيف الثقل الثاني بالوسطى :

أخبرني أحمد بن جعفر بمحظة قال حدثني أبو حشيشة قال :

ب. كان عبد الله بن موسى الهادي أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً . وكان له غلام أسود يقال له قلم ، فعلمه الصوت وحدقه . فأشترته منه أم جعفر بثلاثمائة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثقيف الخادم الأسود مولى الفضل بن الربيع نصارب مولاى عبد الله بن موسى وقد أخذ النبيذ من الجماعة . فضرب عبد الله وثقيف صوتاً فأختلفا فيه وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا أخذته من منصور زلزل . وقال ثقيف : كذا أخذته منه ، وطال تشاجرهما فيه . وكان ثقيف معريداً يذهب عقله من أدنى شيء يشربه ، وكان عبد الله أيضاً معريداً . فغضب ثقيف ورفع العود وهو لا يعقل ، فضرب به رأس عبد الله ابن موسى فطوقه إياه . وأبتدر خدم عبد الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تسموه وأخرجوا العود من عنقي فأخرجوه . وكان عبد الله بن موسى أشد خلق الله عريداً أيضاً ، فُرِزِقَ في ذاك اليوم حلماً لم يرمثله ، وقال لخدمته : إن قتلته قتلْتُ كلباً وتحذت الناس بذلك ، ولكن آخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلي أبداً .

اختلف مع ثقيف الخادم في صوت فضرب ثقيف رأسه بالعود فلم عليه ، وكان معريداً

١٠٠
٩

قال بمحظة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي المعزني قال :

١٥ دعاني عبد الله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل ؛ فأثرت إسماعيل لما كان في عبد الله من العريدة . فلم نشعر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على رذونٍ أشهب متقلداً سيقاً وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا في الحجر ، فنزل عن دابته وجلس . وجنا إسماعيل بين يديه إجلالاً له ، وقال له : ياسيدي قد سررتني بتفضلك وميصرك إلى . قال : دعني من هذا ، من عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعَدَّ جماعة من كان عنده . قال له : هاتيم . فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنَا فَرَعًا . فأقبل علي من بينهم فقال لي : يا حفصي ! أبعث إليك ثلاثة أيام تباعاً فتدعني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرب بيده إلى سيفه ،

دعا الحفصي فأثر عليه أخاه إسماعيل

٢٠

فقام إسماعيل بيني وبينه وقال : نعم ! يَجِئْنِي وَيَدْعُكَ ؛ لأنه لَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَّا شَجَّةً أَوْ عَرَبْدَةً مَعَ حِرْمَانٍ ، وَلَا يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِي إِلَّا بِرٍّ مَعَ خِلْعَةٍ وَوَعْدٍ مُحْصَلٍ ، أَتْلُوهُ عَلَى ذَلِكَ ! . فَكَفَّ عَبْدُ اللَّهِ وَكَانَ شَدِيدَ الْعَرَبْدَةِ وَقَامَ وَأَنْصَرَفَ .

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِيهِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ — وَكَانَ يَكْتُبُ لِأَبِي جَعْفَرٍ — قَالَ :

كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي ، فَمَرَّ بِهِ خَادِمٌ لِصَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : اِسْمِي ”لَا تَسَلْ“ . فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ وَحُسْنُ مَنْطِقِهِ فَقَالَ لِي : قُمْ بِنَا حَتَّى نُسَرَّ الْيَوْمَ بِذِكْرِ هَذَا الْبَدْرِ ، فَقُمْتُ مَعَهُ . فَأَنْشَدَنِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ :

وَشَادِنِ مَرَّ بِنَا * يَجْرَحُ بِاللَّحْظِ الْمُقْلَ

مَظْلُومَ خَصِيرِ ظَالِمٍ * مِنْهُ إِذَا يَمْشِي الْكَفْلُ

اعْتَدَلْتُ قَامَتُهُ * وَاللَّحْظُ مِنْهُ مَا عَدَلُ

بَدْرٌ تَرَاهُ أَبَدًا * طَالَعَ سَعِيدٌ مَا أَقْلُ

سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ : فَقَالَ لِي اِسْمِي ”لَا تَسَلْ“

وَأُطْلِعْتَ فِي وَجْهِهِ * لَهُ وَرْدَتَانِ مِنْ تَحْمَلُ

فَقُلْتُ مَا أَخْطَأَ مِنْ * سَمَّاكَ بَلْ قَالَ الْمَثَلُ

لَا تَسْأَلُنْ عَنْ شَادِنٍ * فَاقْ بِجَمَالٍ وَكَمَلُ

قَالَ : وَقَالَ فِيهِ — وَقَدْ قِيلَ لَإِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ — :

عَنْ الَّذِي نَهَوَى وَذَلَّ * صَبُّ الْفَوَادِ مُحْتَبَلُ

بَلَّجَ بِهِ الْهَجْرُ وَذَا الـ * هَجْرٌ إِذَا بَلَّجَ قَتَلُ

مِنْ شَادِنٍ مُتَطَيِّقٍ * فَاقْ بِجَمَالٍ وَكَمَلُ

تَنَاصَفَ الْحُسْنُ بِهِ * فَلَا تَسَلْ عَنْ ”لَا تَسَلْ“

وقال حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال :

كان له ابن جيد
الضرب وطلب إلى
المكي أن يقومه
موهما أنه مملوك

- دعاني عبد الله بن موسى يوما فقال لي : أُنْقِوْمْ غلامًا ضاربًا مُغْنِيًا قِيَمَةَ عَدْلٍ
لا حَيْفَ فِيهِ عَلَى الْبَائِعِ وَلَا عَلَى الْمَشْتَرِي ؟ فقلت نعم . فأخرج إلىّ أبْنَهُ الْقَاسِمَ
وَكُنْتُ قَدْ عَرَفْتُهُ ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَأَخَذَ عَوْدًا فَضَرَبَ ، فَأَكْبَبْتُ
عَلَى يَدَيْهِ أَقْبَلَهُمَا . فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ : أُنْقَبِلْ يَدَ غَلَامٍ مَمْلُوكٍ ! ! قلت : بأبي وأُمِّي
هو من مملوك ! وَقَبِلْتُ رِجْلَهُ أَيْضًا . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا عَرَفْتَهُ فَأُحِبُّ أَنْ تَضَارِبَهُ ، فَفَعَلْتُ .
فَلَمَّا رَأَى الْغَلَامُ زِيَادَتِي عَلَيْهِ فِي الضَّرْبِ آغْتَمَّ وَأَقْبَلَ عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ كَالْمُعْتَذِرِ مِنْ
ذَنْبِهِ : أَنَا مُتَلَذِّذٌ وَهَذَا مُتَكَسِّبٌ . فَضَحِحتُ وَقُلْتُ : هُوَ ذَاكَ يَا سَيِّدِي . وَعَجِبْتُ
مِنْ حِدَّةِ جَوَابِهِ مُعْتَذِرًا عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ .

- أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :
كان عبد الله بن موسى جوادًا كريمًا ممدحًا ، وفيه يقول الشاعر — وفيه لعلويه
لحن من خفيف الثقليل الأول بالنصر — :

صـوـت

- أَعْبَدَ اللَّهُ أَنْتَ لَنَا أَمِيرُ * وَأَنْتَ مِنَ الزَّمَانِ لَنَا مُجِيرُ
حَكَيْتَ أَبَاكَ مُوسَى فِي الْعَطَايَا * إِمَامُ النَّاسِ وَالْمَلِكُ الْكَبِيرُ
قال محمد بن يحيى والعتابي : ولعبد الله بن موسى غناء في قول عمر بن أبي ربيعة

غنى بشعر لعمر بن
أبي ربيعة

صـوـت

- إِنَّ أَسْمَاءَ أَرْسَلْتُ * وَأَخُو الشُّوقِ مُرْسِلُ
أَرْسَلْتُ تَسْتَرِيْرُنِي * وَتُقَدِّي وَتَعْدِلُ
ولحنه فيه رمل . قال : وفيه لابن سريج والغريض ومالك الحان .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثني أبو سعيد
السكري عن محمد بن حبيب قال :

عربد على المأمون
فحبسه ثم سمه فأت

كان عبد الله بن موسى الهادي معريداً ، وكان قد أحفظ المأمون^(١) مما يعرف
عليه إذا شرب معه . فأمر بأن يُحبس في منزله فلا يخرج منه ؛ وأُقعد على باب حرس .
ثم تذاً من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه ، ثم ناداه فعرّب عليه
أيضاً وكلّمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مغرماً بالصيد ، فأمر المأمون^(٢) خادماً من
خواصّ خدمه يقال له "حسين" فسّمه في درّاج وهو بمروى أباد ، فدعا عبد الله^(٣)
بالعشاء ، فأتاه حسين بذلك الدراج فأكلة . فلما أحسّ ركب في الليل
وقال لأصحابه : هو آخر ماتروني . قال : وأكل معه من الدراج خادمان ، فأما أحدهما
فأت من وقته ، وأما الآخر فبقي مدة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

✱ ✱

١٠٢
٩

وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته :

ألا يا ديرَ حنظلة المُنْدِي * لقد أورتني سقماً وكداً^(٣)
أزف من العقار إليك دنا^(٤) * وأجعل تحته الورق المُنْدِي

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي عن
عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيف رمل وخفيف ثقيل . وفيه لعبد الله بن
موسى الهادي رمل . وفيه ثاني ثقيل ، وذكر حبش — وهو ممن لا يُحصل قوله —
أنه لحنين ، ولم يصحّ عندنا من صانعه .

(١) في ج : « وكان قد أعضل بالمأمون » أي أحياء أمره وضافت به الحيل فيه .

(٢) لم تقف على هذا الموضع . (٣) سيذكر المؤلف هذا الدبر في ص ٢٠٠ — ٢٠١

من هذا الجزء . (٤) في أ ، م ، ح : « زقا » بالفاء وهي مصحفة عن « زقا » بالفاء .

أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

نسبه
عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وأمُّ عبد الله بن محمد أم ولد، وكان ظريفاً غزيراً لا يقول شعراً ليلاً ويصنع صنعةً صالحةً، وأمُّ محمد الأمين زُبَيْدَةُ بنتُ جعفر بن المنصور، وزبيدة لقبٌ غلب عليها، وأسمُّها أمة العزيز، وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة - وكانت سمينةً حسنة البدن - فيقول لها: يا زبيدة يا زبيدة، فغلب عليها ذلك.

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال :
كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حميد مودة . فاعترض
عبد الله جاريةً مغنيّةً لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالاً عظيماً . فعرفت منه رغبةً
فيها فزادت عليه في السّوم، فتركها ليكرههم . فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فأشترها
وزاد . فتبعتهما نفس عبد الله، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه التزول له عنهما، فسأله
ذلك فوصده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

كان صديقاً لأبي
نهشل فأحب جارية
اشترها أخوه
فكتب له شعراً
فأخذها له منه

يَا بْنَ حُمَيْدٍ يَا أَبَا نَهْشَلٍ * مِفْتَاحَ بَابِ الْحَدِيثِ الْمُقْفَلِ
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ وِدَادًا وَأَرْ * عَاهِمَ لِحَقِّ ضَائِعٍ مُهْمَلِ
أَحْسَلْتَ فِي وَدَى وَأَجْمَلْتَ بِل * جُرْتَ فِعَالِ الْمُحْسِنِ الْمُجْمَلِ
بَيْتُكَ فِي ذِي يَمَرْبٍ شَاخٍ * تَقْصُرُ عَنْهُ قُتَيْبًا يَدْبِلُ^(١)
خَلَفْتَ فِينَا حَاتِمًا دَا النَّدَى * وَجُدْتَ جَوْدَ الْعَارِضِ الْمُسْبِلِ
أَيُّ أَخٍ أَنْتَ لِذِي وَحْدَةٍ * تَرْكْتَهُ بِالْعِزِّ فِي جَحْفَلِ

نجومُ حَظِّي مِنْكَ مَسْعُودَةٌ * فَمَا أَرْجَى لَسَنَ بِالْأَفْئِلِ
فَصَدَّقِ الظَّنَّ بِمَا قَلْتَهُ * وَسَهِّلِ الْأَمْرَ بِهِ يَسْهَلِ
لَا تَحْرِمْنِي وَلَدَيْكَ الْمُنَى * بِاللَّهِ صَيْدَ الرَّشَاءِ الْأَخْلِلِ
رُمِيتُ مِنْهُ بِسِهَامِ الْهَوَى * وَمَا دَرَى بِالرَّحْمَى فِي مَقْتَلِي
أَدْنَيْتَنِي بِالْوَعْدِ فِي صَيْدِهِ * إِذْ نَاءَ عَطْشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ
ثُمَّ تَنَاسَيْتُ وَأَسْكَمْتَنِي * إِلَى مِطَالٍ مُوَحِّشِ الْمَنْزِلِ
تَرَكْتَنِي فِي لُحَّةٍ عَائِمًا * لَا أَعْرِفُ الْمُدِيرَ مِنْ مُقْبِلِ
صَرَخَ بِأَمْرٍ وَاضِحٍ بَيْنَ * لَا خَيْرَ فِي ذِي لَبْسٍ مُشْكِلِ^(١)

قال : فلم يزل أبو نهشل يأخيه حتى نزل له عنها .

١٠٣
٩

وأخبرني الصُّوْلِيُّ أيضًا بغير إسناد، ووجدتُ هذا الخبر في كتابٍ لمحمد
ابن الحسن الكاتب يرويه عن أبي حسان القزاري قال :

خرج الى ضيفته
وتكاتب هو ونديمه
أبو نهشل بشعر

كَانَ أَبُو نَهْشَلْ بَنَ حُمَيْدٍ صَدِيقًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ وَنَدِيمًا لَهُ وَكَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ
صَبِيْعَةٌ بِالسَّوَادِ تُعْرَفُ بِالْعَمْرِيَّةِ ، فَفُجِرَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو نَهْشَلْ :
سَقَى اللَّهُ بِالْعَمْرِيَّةِ الْغَيْثَ مَثْرَلًا * حَلَلْتُ بِهِ يَا مُؤْنِسِي وَأَمِيرِي .
فَأَنْتَ الَّذِي لَا يَخْلُقُ الدَّهْرَ ذَكَرُهُ * وَأَنْتَ أَخِي حَقًّا وَأَنْتَ سُرُورِي
فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ :

لَئِنْ كُنْتُ بِالْعَمْرِيَّةِ الْيَوْمَ لَأَهِيًا * فَإِنَّ هَوَاكُمَ حَيْثُ كُنْتُ ضَمِيرِي
فَلَا تَحْسِبْنِي فِي هَوَاكُمُ مُقَصِّرًا * وَكُنْ شَافِعِي مِنْ مُنْخَطَكُمُ وَجَمِيرِي

قال محمد بن الحسن في خبره : وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحنًا، وصنع^(٢)
فيها سليم بن سلام لحنًا آخر .

(١) في ح : « ما الرمي » . (٢) حرك لضرورة الشعر . (٣) في الأصول : « فيه » .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال :
كان عبد الله بن محمد الأمين ينادي الوائق ثم نادى بعده سائر الخلفاء إلى المعتمد .
قال : وأنشدني له في المعتمد :

نادم السوائق
والخلفاء من بعده
إلى المعتمد ،
وشعره فيه

رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِكَ * فَمَا زِلْتُ أَدْعُو إِلَهِي لَكَ
فَلَا زِلْتُ تَحْيَا وَأَحْيَا مَعًا * وَأَمْنِي اللَّهُ مِنْ فَقْدِكَ
قال : ومن شعره — وله فيه لحن من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل — :

صوت

يَا مَنْ بِكُلِّ خَلْقٍ * تَرَاهُ صَبًا مُتَمِّمًا
وَمَنْ تَجَالَلَ تَبْهًا * فَبِهِ تَرَاهُ يُكَلِّمُ
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ عِنْدِي * مِمَّنْ يَرَاكَ فَيَسْتَلِمُ

فأما دِيرُ حَنْظَلَةَ الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صناعته متقدما ،
فإنه دِيرٌ بِالْحَزِيرَةِ : أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دُلْفٍ الْخَزَاعِي قال حدثنا الرِّبَاشِيُّ
قال أنشدني أَبُو الْمُحَلَّمِ الْحَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءٍ أَحَدَ بَنِي حَيَّةِ الطَّائِيِّينَ وَهُمْ رَهْطُ
أَبِي زُبَيْدٍ وَرَهْطُ إِيَّاسَ بْنِ قَبِيصَةَ :^(١)^(٢)

ومهما يكن رَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنِّي * أَرَى قَمَرَ اللَّيْلِ الْمُغْرَبِ كَالْفَتَى
يَهْلُ صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ * وَصُورُهُ حَتَّى إِذَا مَا هُوَ أَسْتَوَى
تَقَارِبُ يَنْجُبُ ضَوْؤُهُ وَشُعَاعُهُ * وَيَمْصَحُ^(٣) حَتَّى يَسْتَيْمِرَ فَلَا يُرَى

(١) هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب الطائي ، كاتب نصرانيا وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢) انظر ترجمته في الأغاني ج ١١ ص ٢٤ طبع بلاق . (٣) كان واليا لكسرى على الحيرة بعد

قتله النعمان بن المنذر . (انظر تاريخ ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٦ — ٣٦٩) . (٣) مصحح :

ذهب وانقطع .

- كذلك زيد المرء ثم انتقاصه * وتكراره في دهره بعد ما مضى^(١)
تصبح أهل الدار والدار زينة^(٢) * وتأتي الجبال من شماريخها العلا
فلا ذا غنى يرجئ عن فضل ماله * وإن قال أنحنى وخذ رشوة أبى^(٣)
ولا عن فقير ياتحن لفقره * فتتفعه الشكوى إليهم إن شكى
قال : وكان حنظلة هذا قد تعبد في الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصر وبني ديراً^{١٠٤}
بالجزيرة؛ فهو الآن يعرف به يقال له دير حنظلة . وفيه يقول الشاعر
يا دير حنظلة المهيج لي الهوى * قد تستطيع دواء عشق العاشق



وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل

- كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعة مقدارها أكثر من ثلثمائة صوت، منها الجيد^{١٠}
الصنعة وثلثمائة المتوسط، قد سمعنا كثيراً منها؛ إلا أني أذكر من ذلك ما عرفت شاعره
وكان له خبر يتصل به حسب ما شرطنا في هذا الكتاب وضمناه إياه من الأخبار،
ثم أذكر أخبار أبي عيسى بعد ذلك
قال ابن المعتز حدثني الثميري قال سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول : إذا أتممت^{١٥}
صنعة ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدد أيام السنة تركت الصنعة، فلما صنعها ترك
الصنعة . فمنها — وهو لعمري من جيد الغناء وفن الصنعة، ولو لم يصنع غيره
لكفاه — في شعر أبي العتاهية :

(١) في معجم البلدان : « في إثره » . (٢) في الأصول : « ربة » والتصويب عن

معجم البلدان . (٣) يلاحظ أن الضائر في هذا البيت والذي بعده متباية، والمراد بها واحد

هو الموت، فإذا كان ضمير جمع فالمراد المتباية . ٢٠

صوت

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ والرجاءُ إذا * حَرَّكَ موسى القُضيبَ أو فَكَّرَ
ولحنه من الثَّقِيلِ الأول . والشعرُ لأبي العتاهية، وقد مَضَتْ أخبارُه؛ وإنما قَدِمْتُ
ذِكْرَ بِنُجُودَةِ صَنَعَتِهِ وأنه شُبِّهَ فِيهِ بِصَنَعَةِ الفَحُولِ ومُحْكَمِ أَغَانِي الأَوَائِلِ .

ومنها :

صوت

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحَمُّلُ * وللدَّهْرِ أَيَّامُ تَجْوَرٍ وَتَعْدِلُ
وعاقِبَةُ الصَّبْرِ الجَمِيلِ جَمِيلَةٌ * وأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّجَمُّلُ
الشعرُ لعلِّ بنِ الجَنِّهِمِ . والغناءُ لأبي عيسى بنِ المُنْتَوَكِّلِ ، ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى .

أخبار علي بن الجهم ونسبه

هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرز بن كعب
 ابن مالك بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي^(١)
 ابن غالب . هكذا يدعون ، وقريش تدفعهم عن النسب وتسميهم بنى ناجية ،
 ينسبون إلى أمهم ناجية ، وهي امرأة سامة بن لؤي . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج
 إلى ناحية البحر بن مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي في مائة كانت بينهما ، فطاطات
 ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب ، فعلق بمشقرها أفعى فعطفته على قتها
 ففكته به ، فدب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله . فقال أخوه يرثيه :
 عين جودي لسامة بن لؤي * علق ساق سامة العلاقة^(٢)
 رب كأس هرقها ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهراقه^(٣)

نسبه ونسب قبيله
 بنى سامة

وقال من يدفع بنى سامة من نسابي قریش : وكانت معه امرأته ناجية . فلما مات
 تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير . فلما
 ترعرع طمعت أمه في أن تلحقه بقرينس ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي . فرحل

(١) في ابن خلكان : « بن كعب بن جابر بن مالك » . (٢) في ابن خلكان : « عتبة » .
 (٣) في ابن خلكان : « ... ابن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك
 ابن عبيدة بن الحارث بن سامة ... الخ » . (٤) المماظة : الخاصة والمنازة . (٥) ورد في لسان
 العرب (في مادة « فوق ») أن امرأة رجل من الأزد هي التي قالت هذا الشعر يرثيه وكان سامة نزل على زوجها
 ضيقاً . فلما أصبح تعد يستن ، فنظرت إليه زوجة الأزد فأهجمها . فلما رى سواكه أخذتها فصتها .
 فنظر إليها زوجها ، فغلب ناقة وجعل في حلابها مما وقدمه إلى سامة ، فغمزته المرأة فهراق اللبن وخرج يسير .
 فيينا كان في موضع يقال له جوف الخيلة نهش أفعى ، كما جاء في الأصل . وانظر بقية هذا الشعر في لسان
 العرب . (٦) العلاقة : في الأصل المنية . ويريد بها هنا الحية .

(١) من البحرين إلى عمه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة . فعرف كعب أمه وظنه صادقا في دعواه . ومكث عنده مدة ، حتى قدم مكة ركب من أهل البحرين ، فأروا الحارث فسأموا عليه وحادثوه ساعة . فسألهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه ، فقالوا له : هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره . فنفاه كعب ونفى أمه ، فوجعا إلى البحرين فكانا هناك ، وتزوج الحارث وأعقب هذا العقب .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عمي سامة لم يعقب » . وكان بنوناجية أرتدوا عن الإسلام . ولما ولي علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم وأقام الباقيون على الهدى فسباهم وأسترقهم ؛ فاشتراه مصقلة ابن هبيرة منه وأدى ثلث ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعتقهم وهرب من تحت ليله إلى معاوية ، فصاروا أحرارا ، ولزمه الثمن ، فشعث علي بن أبي طالب شيئا من داره ، وقيل بل هدمها . فلم يدخل مصقلة الكوفة حتى قتل علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وزعم ابن الكلبي : أن سامة بن لؤي وتقد غالب بن سامة وأمهم ناجية ، ثم هلك سامة نكف عليها ابنه الحارث بن سامة ، ثم هلك أبنا سامة ولم يعقب ، وأن قوما من بني ناجية بنت جرم بن ربان علف ادعوا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية

(١) في الأصول : « من أهل البحرين » . (٢) انظر هذه القصة مفصلة في الطبرى ق ١ ص ٣٤٣٩ — ٣٤٤٢ . (٣) يريد أنه نقض بعضها .

(٤) في ١ ، ٣ : « ثم هلك ابن سامة ولم يعقب » . (٥) في الأصول هنا : « ابن جرم » .

(٦) ربان علف : بالراء المهملة المفتوحة والباء الموحدة المشددة ، وليس في العرب غيره ، ومن

سواه فبالزاي المعجمة . وقد ورد هذا الاسم في الأصول محرفا بصورتي ، وفي أكثرها زيادة « ابن » .
بين ربان وعلف ، وهما لشخص واحد ، كما ذكر ذلك المؤلف في الصفحة التالية . (راجع القاموس وشرحه في مائتي ربان وعلف) .

هذه ونسبها هذا النسب، وأُتِمَّوا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مَصْقَلَةٍ . قال : ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جَرَمَ قولُ علقمة الخصى التميمي "أحد بني ربيعة بن مالك :

زعمتم أن ناجي بنت جَرَمَ * عجوزٌ بعد ما بلى السَّنامُ
فإن كانت كذاك فاليسوها * فإن الحلي للأُنثى تمامُ

وهذا أيضًا قولُ الهيثم بن عدي . فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال : هم قريشُ العازبة . وإنما سُمُّوا العازبة لأنهم عَزَبُوا عن قومهم فَنُسِبُوا إلى أُمِّهم ناجية بنت جَرَمَ بن رَبَّان وهو عَلاف ، وهو أول من اتخذ الرَّحَالِ العِلافِيَّةَ فَنُسِبَتْ إليه . وأسم ناجية ليلي ، وإنما سُمِّيت ناجية لأنها سارت في مَقَاذِيرٍ معه فَعَطِشَتْ فَاسْتَسْقَتْ ماء ، فقال لها : الماء بين يديك ، وهو يريها السَّرَابَ ، حتى جاءت الماء فشربت وسُمِّيت ناجية . وللزبير في إدخالهم في قريش مذهبٌ وهو مُخَالَفَةُ فِعْلِ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ومِثْلِهِ إليهم لإجماعهم على بُقْضِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك .

وكان علي بن الجهم شاعرا فصيحاً مطبوعاً ؛ وَخَصَّ بالتوكُّل حتى صار من جُلَسَائِهِ ، ثم أَبْغَضَهُ لأنه كان كثير السَّعَايَةِ إليه بُندُمَائِهِ والذِّكْرِ لَهُم بالقبيح عنده ، وإذا خلا به عَرَّفَهُ أنهم يَعْيَبُونَهُ وَيَتَلَبَّوْنَهُ وَيَتَقَصُّوْنَهُ ، فيَكْشِفُ عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفاه بعد أن حَسَسَهُ مَدَّة . وأخبارُهُ تُدْكَرُ على شَرِّجٍ بعد هذا . وكان ينحونحو مروان بن أبي حَفْصَةَ في هِجَاءِ آل أبي طالب وذمتهم والإغراء بهم وهِجَاءِ الشَّيْعَةِ ، وهو القائل :

ورافضة تقول بشيبي رَضَوِي * إمامٌ ، خاب ذلك من إمام
إمامٌ مَنْ له عشرون ألفاً * من الأتراك مُشْرِعَةُ السَّهامِ

كان شاعرا فصيحاً
اختص بالتوكُّل
وهجا عليا وشيعته

١٥

٢٠

وفيه يقول البُحْثَرِيُّ :

إذا ما حُصِّلَتْ عَلَيَّا قُرَيْشٌ * فلا في العِيرِ أَنْتَ ولا النَّفِيرِ
وما رُغْنَاؤُكَ الْجَهْمُ بْنُ بَدْرٍ * من الأَفْئَارِ ثُمَّ ولا الْهَدُورِ^(١)
ولو أعطاك رَبُّكَ ما تَمَنَّى * لَزَادَ الخَلْقَ في عَظِيمِ الأَيُورِ^(٢)
عَلَامَ هَجَوْتَ مَجْتَهِدًا عَلَيَّا * بما لَفَّقْتَ من كَذِبٍ وَزُورٍ
أَمَّا لَكَ في آسِيَتِكَ الْوَجْعَاءُ شُغْلٌ * يَكُفُّكَ عن أذى أَهْلِ القَبُورِ
وسَمِعَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ يَوْمًا يَطْعَنُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقال له :
أنا أدرى لِمَ تَطْعَنُ عَلِيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : فقال له : أتعنى قِصَّةَ بَيْعِهِ أَهْلِي مِنْ
مَصْقَلَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ ؟ قال : لا ! أَنْتَ أَوْضَعُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لِأَنَّهُ قَتَلَ الْفَاعِلَ فِعْلًا
قوم لوطٍ والمفعول به ، وَأَنْتَ أَسْفَلُهُمَا .

١٠

أخبرني عَمِّي قال حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْهَشَامِيُّ قال :
كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْجَهْمِ قَدْ هَجَا بَجْتِشُوعَ ، فَسَبَّهُ عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ فَحَبَسَهُ الْمُتَوَكِّلُ . فَقَالَ
عَلِيٌّ بْنُ الْجَهْمِ فِي حَبْسِهِ عِدَّةَ قِصَائِدَ كَتَبَ بِهَا إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فَأُطْلِقَهُ بَعْدَ سَنَةٍ ، ثُمَّ نَفَاهُ
بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى خُرَاسَانَ . فَقَالَ أَوَّلَ مَا حُسِبَ تَحْصِيدُهُ كَتَبَ بِهَا إِلَى أَخِيهِ ، أَوْهَا قَوْلُهُ :

هجا بختيشوع فسبه
عند المتوكل فحبسه
سنة ثم نفاه وقال
في ذلك شعرا

١٥

تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ * وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ
وَوَطَّنَا عَلَى غَيْرِ اللَّيَالِي * نَفُوسًا سَامَحَتْ بَعْدَ الْإِبَاءِ
وَأَفْنِيَةُ الْمُلُوكِ مَحْجَبَاتٌ * وَبَابُ اللَّهِ مَبْذُولُ الْفَنَاءِ

(١) الرغناء : أصلها عصب أو عرق في الثدي يدر اللبن . واستعملها البُحْثَرِيُّ هنا في الأب .

(٢) في ديوان البُحْثَرِيِّ طبع مطبعة الجوائب :

٢٠

ولو أعطاك ربك ما تمنى * عليه زاد في غلظ الأيور

(٣) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطبب . (انظر الطبري ق ٣ ص ٦٦٧ ،

١٤٣٧ ، ١٤٤٧ ، ١٧٩٠) .

هي الأيام تَكَلَّمْنَا ونَأْسُو * وتأتى بالسعادة والشقاء
وما يُجِدِي الثَّراءُ على غَنَى * إذا ما كان محظورَ العطاء
حَلَبْنَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ ومرت * بنا عقب الشَّدائد والرَّخاء
وجربنا وجرب أولونا * فلا شيء أعز من الوفاء
ولم ندع الحياءَ لمسَّ ضرر * وبعض الضرر يذهب بالحياء
ولم نحزن على دنيا بولت * ولم نسبق إلى حسن العزاء
توق الناس يا بن أبي وأمي * فهم تبع الخفافة والرجاء
ولا يغررك من وغد إخاء * لأمر ما غدا حسن الإخاء
ألم ترمظهم رين على عيبنا ^(٢) * وهم بالأمس إخوان الصفاء
فلما أن بليت غلوا وراحوا * على أشد أسباب البلاء
أبت أخطارهم أن ينصروني * بمال أو يجه أو ثراء
وخافوا أن يقال لهم خذلتكم * صديقاً فأدعوا قديم الحفاء
تضافرت الروافض والنصارى * وأهل الاعتزال على هجائي

— يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المصممي وقد كان بلغه عنه ذكر له : —

وعابوني وما ذنب إليهم * سوى علمي بأولاد الزناء
فبختيشوع يشهد لابن عمرو * وعزوت هارون المرائي
وما الجذماء بنت أبي سميير * يجذماء اللسان عن الخناء
إذا ما عُدَّ مثلكم رجالاً * فما فضل الرجال على النساء
عليكم لعنة الله ابتداء * وعوداً في الصباح وفي المساء

(١) العقب : جمع عقبة وهي النوبة . (٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « عبا »

وهو تصحيف .

إِذَا سُمِّيْتُمْ لِلنَّاسِ قَالُوا * أُولَئِكَ شَرٌّ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ
أَنَا الْمُتَوَكِّلُ هَوَىٰ ورَأْيَا * وما بِالوَاقِعَةِ مِنْ خَفَاءِ
وما حَبَسُ الخَلِيفَةِ لِي بِعَارٍ * وليس بِمُؤَيِّسِي مِنْهُ التَّنَائِي

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشَّيْبِلِ الْبُرْجُمِي : ما شعر علي
(١)
ابن الجهم في الحبس بدون شعر عدى بن زيد :

قال أبو الشَّيْبِلِ
شعره في الحبس
كشعر عدى بن زيد

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال :
كَانَ سَبَبُ حَبْسِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى بَنِ الْجَهْمِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْجُلَسَاءِ سَعَوْا بِهِ إِلَيْهِ
وَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ يَجْمَشُ الْخَدَمَ وَيَغْمِزُهُمْ ، وَإِنَّهُ كَثِيرُ الطَّعْنِ عَلَيْكَ وَالْعَيْبِ لَكَ وَالْإِزْرَاءِ
عَلَى أَخْلَاقِكَ ؛ وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يُوْغِرُونَ صَدْرَهُ تَقْلِيلَهُ حَتَّى حَبَسَهُ ؛ ثُمَّ أبلغوه عنه أنه
هَجَاهُ . فَنَفَاهُ إِلَى خُرَّاسَانَ وَكُتِبَ بَأْنُ يُصَلَّبُ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بِهَا ، ثُمَّ أُخْرِجَ فُصِّلَ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ
(٢)
مَجْرَدًا ثُمَّ أُنْزِلَ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

حبسه المتوكل
بسعاية جلسائه
ونفاه إلى خراسان
فعد به طاهر بن
عبد الله فقال شعرا

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الْإِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِمُحَمَّدِ اللَّهِ مِلَّةَ قُلُوبِهِمْ * شَرْفًا وَمِلَّةَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلًا
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً سُبُكُولَهُ * وَأَزْدَادَاتِ الْأَعْدَاءِ عَنْهُ نُكُولًا
(٣)
هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثَ فَارِقَ غَيْلِهِ * فَرَأَيْتَهُ فِي تَجَمُّلٍ مَحْمُولًا

(١) عدى بن زيد الشاعر حبسه النعمان ، وله شعر في حبسه . (انظر ترجمته في الجزء الثاني ص ٩٧)
وما بعدها من هذه الطبعة) . (٢) يجمش الخدم : يلاعبهم ويقرصهم . (٣) الشاذياخ :
من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان ، وكانت قديمًا بستانًا لعبد الله بن طاهر بن الحسين ملاصقًا بمدينة
نيسابور ، فبقي فيه دارا له ، ثم أمر الجند بالبناء حوله فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور وصارت
من جملة محالها . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) يريد بنكوله الأولى التثنية ، وبالثانية
الفرار عنه والاحجام . ويلاحظ في الأولى أنه يقال : نكل به تنكيلًا ونكل به تخفيفًا والاسم النكل بالفتح .

لا يَأْمَنُ الأَعْدَاءُ مِنْ شِدَاتِهِ * شَدًّا يَفْصِلُ هَامَهُمْ تَفْصِيلاً
 مَا عَابَهُ أَنْ بُرِّزَ عَنْهُ لِأُسِهِ * فَالْسَيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مُسَلَوِلاً
 إِنْ يُتَبَدَّلُ فَالْبَدْرُ لَا يُزِرِي بِهِ * أَنْ كَانَ لَيْلَةً تَمُّهُ مَبْذُولاً
 أَوْ يَسْلُبُوهُ الْمَالُ يُحْزِنُ فَقْدُهُ * ضَيْقًا أَلَمَ وَطَارِقًا وَتَزِيلًا
 أَوْ يُعْجِسُوهُ فَلَيْسَ يُحْبَسُ سَائِرُ * مِنْ شَعْرِهِ يَدْعُ الْعَزِيزُ ذَلِيلًا
 إِنَّ الْمَصَائِبَ مَا تَعَلَّتْ دِينَهُ * نَعْمٌ وَإِنْ صَعِبَتْ عَلَيْهِ قَلِيلُ
 وَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَمْرِهِ * وَكَفَى بِرَبِّكَ نَاصِرًا وَوَكِيلًا
 وَلَتَعْلَمَنَّ إِذَا الْقُلُوبُ تَكْشَفَتْ * عَنْهَا الْأَكِنَّةُ مِنْ أَضَلِّ سَبِيلِ

كتب المتوكل

لظاهر باطلاته

فأطلقه فقال شعراً

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كتب المتوكل الى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم . فلما أطلقه قال :
 أَطَاهِرُ إِنِّي عَنْ نُرَّسَانَ رَاحِلُ * وَمُسْتَخْبَرٌ عَنْهَا فَمَا أَنَا قَائِلُ
 أَأَصْدُقُ أَمْ أَكْذِبُ عَنِ الصِّدْقِ أَبْأُ * تَخَيَّرْتَ أَذْنَهُ إِلَيْكَ الْمَحَافِلُ
 وَسَارَتْ بِهِ الرُّجُجَانُ وَأَصْطَفَقَتْ بِهِ * أَكُفُّ قِيَانٍ وَأَجْتَنِبَتْهُ الْقَبَائِلُ
 وَإِنِّي بِغَالِي الْحَمْدِ وَالذَّمِّ عَالِمٌ * بِمَا فِيهِمَا نَامِي الرِّمِيَةِ نَاضِلُ
 وَحَقًّا أَقُولُ الصِّدْقَ إِنِّي لِمَائِلُ * إِلَيْكَ وَإِنْ لَمْ يَحْظَ بِالْوَدِّ مَائِلُ
 أَلَا حُرْمَةٌ تُرْعَى أَلَا عَقْدُ ذَمِّهِ * بِلَجَارٍ أَلَا فِعْلٌ لِقَوْلٍ مُشَاكِلُ
 أَلَا مُنْصَفٌّ إِنْ لَمْ نَجِدْ مُتَفَضِّلًا * عَلَيْنَا أَلَا قَاضٍ مِنَ النَّاسِ عَادِلُ

١٠٨
٩

(١) في أ م : « وليعلن » بالياء المثناة من تحت . (٢) في م : « عن الحق » . (٣) الرمية

النامية : التي أصيبت ثم غابت عن الرأى وماتت ؛ يقال أرمى فلان الصيد فرمى ؛ قال امرؤ القيس يهجو :

فهو لا تبي رميته * ماله لاعد من نقره

يريد علي بن الجهم أنه يصيب فرماه . وناضل : وصف من فضله إذا سبقه أو غلبه في المناضلة

وهي المباراة في الرمي .

فلا تَقْطَعَنَّ غِيْظًا عَلَيَّ أَنَا مَلَأَ * فَقَبْلِكَ مَا عَصَيْتُ عَلَيَّ الْأَنَامُ
أَطَاهِرُ إِن تُحْسِنُ فَإِنِّي مُحْسِنٌ * إِلَيْكَ وَإِن تَجْهَلَ فَإِنِّي بَاخِلُ
فَقَالَ لَهُ طَاهِرٌ : لَا تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا فَإِنِّي لَا أَفْعَلُ بِكَ إِلَّا مَا تَحِبُّ ، فَوَصَلَهُ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ .

أخبرني عمي قال حدثني محمد قال :

بحسب جارية فباعته
فقال شعرا فأجابته

كان علي بن الجهم في مجلس فيه قينة ، فعابها وجمشها ، فباعته وأعرضت
عنه ، فقال فيها :

خَفِيَ اللَّهُ فِيمَنْ قَدْ تَبَلَّتْ فَوَادَهُ * وَغَادَرْتَهُ نِيْضًا كَأَنَّهُ وَقَرَأَ
دَعَى الْبَخْلَ لَا أَسْمَعُ بِهِ مِنْكَ إِلَّا مَبَا * سَأَلْتُكَ أَمْرًا لَيْسَ يُعْرَى لَكُمْ ظَهْرًا
فَقَالَتْ لَهُ : صَدَقْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، لَيْسَ يُعْرَى لَنَا ظَهْرًا ، وَلَكِنَّهُ يَلَأُ بَطْنًا !!

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهوريه قال حدثنا
إبراهيم بن المدبر قال حدثنا علي بن الجهم قال

كان يتشاءم من
الحارثي فرآه فقال
شعرا

كان الحارثي يبيحني إلى حلوان وأنا أتولاهما — وكان علي بن الجهم على مظالمها —
فإذا وردها وقع الإرجاف^(٢) ، فلم يزل متصلاً حتى يخرج ، فإذا خرج سكن الإرجاف .
فأتاني مرة وظهر كوكب الذئب في تلك الليلة ، فقلت :

لَمَّا بَدَأَ أَيْقَنْتُ بِالْعَطَبِ * فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبٍ
لَمْ يَطْلُعْ إِلَّا لِأَيِّدَةٍ * الْحَارِثِيُّ وَكُوكَبُ الذَّئْبِ^(٤)

(١) . كذا في الأصول بإثبات الياء في «خفي» في هذا البيت ، وفي «دعي» في البيت بعده .
ونحسب أن هذه الياء من زيادات النسخ ، وأن الخطاب للذكر والمراد به أنثى ، كما يدل عليه سياق الكلام .
ولا بعيد أن يقع مثل علي بن الجهم في هذا الخطأ اللغوي ؛ إذ الأمر من «خاف» للخطبة «خافي» .
(٢) حلوان : مدينة بالعراق . (٣) الإرجاف هنا : الزلزلة ؛ يقال رجفت الأرض وأرجفت .
(٤) الأبدية : الداهية الخالدة الذكر ، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش .

قال ابن المدبر: وكان الحارثي أعور مقبج الوجه، وفيه يقول أبو علي البصير:

يا معشر البصرَاءِ لا تَنظَرُوا^(١) * جيشي ولا تتعرضوا لنكيري
رُدُّوا علي الحارثي فإنه * أَعْمَى يُدَلِّسُ^(٢) نفسه في العور

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر علي^(٣) ابن الجهم وذكر أن علياً أنشده إياه لنفسه:

أَمِيلُ مع الذَّمَّامِ علي ابن أُمِّي * وَأَخُذُ للصَّدِيقِ من الشَّقِيقِ
وإِنِ الْفَيْتَنِي حُرًّا مُطَاعًا * فَإِنَّكَ وَإِجْدَى عَبْدَ الصَّدِيقِ
أُفَرِّقُ بين معروفٍ ومَنِي * وَأَجْمَعُ بين بَالِي والحَقِيقِ

فقال إبراهيم: كَذَبَ والله علي بن الجهم وأُمِّي . والله لهذا الشعرُ أشهرُ بإبراهيم بن العباس من إبراهيم بالعباس أبيه .

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مَهْرُويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال قال المتنبي:

عَلَى بْنِ الْجَهْمِ أَكْذَبُ خَلْقِ اللَّهِ . حَفِظْتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِحُرَّاسَانَ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِيَ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالنُّغُورِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى وَأُنْسِيَ الْحِكَايَتَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِالْجَبَلِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَضَتْ مَدَّةٌ أُخْرَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَقَامَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ،
فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَمْرُهُ عَلَى هَذَا وَعَلَى التَّقْلِيلِ مِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَإِنَّمَا يَزَاهِي سَنَةً^(٤)
الْخَمْسِينَ سَنَةً . فَلَيْتَ شِعْرِي أَى فَائِدَةٍ لَهُ فِي هَذَا الْكَذْبِ وَمَا مَعْنَاهُ فِيهِ !!

(١) تطرف الشيء: تحيفه وأخذ من أطرافه . (٢) كذا في ح . وفي سائر النسخ

« بالعور » . . . (٣) في ب ، سب : « أشبه » . (٤) يلاحظ أن مجموع السنين التي ذكرها لا يبلغ مائة وخمسين .

قال المتنبي إنه
كذاب وأثبت
كذبه بكلامه له

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبدالله بن المعتز، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

عربد عليه بعض
ولد علي بن هشام
فهباهم

اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس ، فعربد عليه بعضهم ، فغضب وخرج من المجلس ، وأتصل الشر بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه وأغتابوه . فقال يهجوهم :

- بني مُتَبِّمَ هل تدرون ما الخبرُ * وكيف يُسْتَرَّ أمرٌ ليس يُسْتَرَّ
حاجيتكم : مَنْ أبوكم يا بني عَصَبٍ * شَتَّى وَلَكِنَّا للعاهر الحجرُ
قد كان شَيْخُكُمْ شَيْخًا لَهُ خَطَرٌ * لَكِنَّ أُمَّكُمْ فِي أَمْرِهَا نَظَرُ
ولم تكن أُمَّكُمْ - والله يكلِّؤُها - * محجوبةً دونها الحُرَّاسُ والسُّتُرُ
كانت مَغْنِيَةُ الْفَتَيَانِ إِنْ شَرَبُوا * وَغَيْرُ مَمْنُوعَةٍ مِنْهُمْ إِذَا سَكَبُوا
وَكَانَ إِخْوَانُهُ غُرًّا غَطَّارِفَةً * لَا يُمَكِّنُ الشَّيْخُ أَنْ يَعِصِيَ إِذَا أَمَرُوا
قَوْمٌ أَعْقَاءُ إِلَّا فِي بَيْوتِكُمْ * فَإِنَّ فِي مِثْلِهَا قَدْ تُمَلِّعُ الْأُذُرُ
فَأَصْبَحَتْ كُورَاجُ الشُّوْلِ حَافِلَةً * مِنْ كُلِّ لَاقِيَةٍ فِي بَطْنِهَا دَرَرُ
بَفْتَمٍ عَصَبًا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ * نَوْمًا نَخَانِيثَ فِي أَعْنَاقِهَا الْكَبَرُ^(٢)
فَوَاحِدٌ كَسَرَوِيٌّ فِي قَرَّاطِقِهِ * وَآخَرُ قَرَشِيٍّ حِينَ يُخْتَبَرُ^(٤)
مَا عِلْمُ أُمَّكُمْ مَنْ حَلَّ مِثْرَهَا * وَمَنْ رَمَاهَا بِكُمْ يَا أَيُّهَا الْقَدَرُ

- (١) في الأصول : « كرج » والمراح : مأوى الإبل . والشول من النوق : التي خف لبتها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية ، فلم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن أي بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان (بكسر أوله وسكون ثانيه) نتاجها . واحدها شائلة ، وهو جمع على غير قياس . وأما الناقة الشائل (بغير س) فهي اللامع التي تشول بذنبها للفعل أي ترفعه ، فذلك آية لقاحها ، وترفع مع ذلك رأسها وتشمخ بأفقها ، وهي حينئذ شامد ، وجمعها شول وشمد . والمراد من البيت ظاهر .
(٢) كذا في الأصل أي وهما نوما نخانيث ... الخ ، فسرهما في البيت الثاني ، وإن كان مع ذلك يحتمل أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفعل ، مثل نوك جمع أنوك أو نحو ذلك .
(٣) الكبر : الطبل . معرب . (٤) القراطق : جمع قرطق وهو القباء .

يوم إذا نُسيبوا فالأثم واحدة * والله أعلم بالآباء إذ كثروا
لم تعرفوا الطعن إلا في أسافلكم * وأنتم في المخازي فتية صبر
أحببت إعلامكم إني بأمركم * وأمر غيركم من أهلكم خير
تفكّهون بأعراض الكرام وما * أنتم وذُرُكم السادات يا عمر (١)
هذا الهجاء الذي تَبَيَّ مياس (٢) * على جباهكم ما أورد الشجر

سعى عند المتوكل
بندمائه وبلغه أنه
هجاه فحبسه ،
وأحسن شعره
في الحبس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال :
كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح أحترق
فمات . فقال علي بن الجهم : قد بلغني أن العامل قتله وصانع صاحب الخبر حتى
كتب بهذا . وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه
أنه هجاه فحبسه . وأحسن شعره قاله في الحبس قصيدته التي أولها :

قلت حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأى مُهَنِّدٍ لا يُغَمِّدُ (٣)
أوما رأيت اللَّيْثَ يَأْلُفُ غِيْلَهُ * كِبَرًا وأوباشُ السَّبَاعِ تَرْدُدُ
والشمسُ لولا أنها محجوبة * عن ناظرِك لما أضاء الفرقدُ
والبدرُ يُدْرِكُه السَّرَارُ فتنبلي (٤) * أيامه وكأنه مُتَجَدِّدُ
والغيثُ يَحْصِرُه الغمامُ فما يرى * إلا وريقه يروع (٥) ويرعدُ
والزَّاعِيَةُ لا يُقِيمُ كُعُوبَهَا * إلا النُّقَافُ وجَدوةٌ تَتَوَقَّدُ (٦)
والنَّارُ في أجارها غبوءة * لا تُصْطَلِي إن لم تُثَرِّها الأزدُ

١١٠
٩

- (١) العرر : جمع عرة وهو الرجل يكون شين القوم ؛ يقال : فلان عرة أهله .
(٢) المياسم : جمع ميسم (بكسر الميم) وهو هنا أثر الوسم والجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم ،
ومياسم على اللفظ . (٣) في ب ، سه : « قالوا » . (٤) السرار : (بالفتح والكسر)
آخر أيام الشهر . (٥) في الأصول : « يراع » . (٦) الزاعية : رماح منسوبة إلى
رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة . (٧) النُقَاف : آلة من خشب تسقى بها الرياح

والحبس ما لم تغشه لذنية * شنعاء نعم المتزل المتوحد^(١)
 بيت يحدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
 لو لم يكن في الحبس إلا أنه * لا يستذلك بالحجاب الأعبد
 كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجى ومات طيبه والعود
 يا أحمد بن أبي دؤاد إنما * تدعى لكل عظمة يا أحمد
 أبلغ أمير المؤمنين فدونه * خوض الردى وغايف لا تنفد
 أنتم بنو عم النبي محمد * أولى بما شرع النبي محمد
 ما كان من كرم فاتم أهله * كرم مغارسكم وطاب المخذ
 من السوية يا بن عم محمد * خصم تقربه وآخر تبعه
 إن الذين سعوا إليك بباطل * حساد نعمتك التي لا تحسد
 شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا * فينا وليس كغائب من يشهد
 لو يجمع الخصماء عندك مجلس * يوماً لبان لك الطريق الأقص
 فبأي جرم أصبحت أعراضنا * نهبا تقسمها للثيم الأوغد

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل
 الربيعي^(٢) قال قال لي علي بن الجهم :

دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلم قبيحة جاريته فأجابته بشيء أغضبه،
 فرماها بخدة فأصابته عينها فأثرت فيها، فتأوهت وبكت وبكى المعتز لبعثها، فخرج
 المتوكل وقد حم من الغم والغضب، فلما بصر بي دعاني وإذا الفتح يرى^(٣) بختيشوع
 القارورة ويشاوره فيها، فقال لي : قل يا علي في علي هذه شيئاً وصِفْ إن الطبيب
 ليس يدرى ما بي، فقلت :

دخل على المتوكل
 والطبيب يفحص
 عينه وكانت جاريته
 قبيحة أغضبه
 فضرها ثم اغتم
 لذلك فقال هو
 في ذلك شعرا

(١) المتوحد : الذي يورد ويزار مثل المورد . وفي ب ، سه : " المتوحد " وهو تحريف .

(٢) في أ ، م : « الربيعي » . (٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل بننديه .

- تَنَكَّرَ حَالِ عَلِيِّ الطَّيِّبِ * وقال أَرَى بِجِسْمِكَ مَا يَرِيبُ
جَسَسْتُ الْعِرْقَ مِنْكَ فَدَلَّ جَسِّي * عَلَى أَلَمٍ لَهُ خَبْرٌ عَجِيبُ
فَمَا هَذَا الَّذِي بَكَ هَاتِ قُلْ لِي * فَكَانَ جَوَابَهُ مِنِّي النَّحِيبُ
وَقُلْتُ أَيَا طَيِّبُ الْمَجْرُ دَائِي * وَقُلْتَنِي يَا طَيِّبُ هُوَ الْكَثِيبُ
فَحَرَّكَ رَأْسَهُ نَجَبًا لِقَائِي * وقال الحب ليس له طيبُ
فَأَعْجَبَنِي الَّذِي قَدْ قَانَ جِدًّا * وَقُلْتُ بَلَى إِذَا رَضِيَ الْحَبِيبُ
فَقَالَ هُوَ الشِّفَاءُ فَلَا تُقَصِّرْ * فَقُلْتُ أَجَلٌ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُ
أَلَا هَلْ مُسْعِدٌ يَبْكِي لَشَجْوِي * فَأَتَى هَائِمٌ قَرْدٌ غَرِيبُ
فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَحَيَاتِي! يَا غِلَامَ اسْقِنِي قَدَحًا؛ لِحَاجَةٍ بِقَدَحٍ فَتَرِبَ وَسُقِيَتِ الْجَمَاعَةُ
مِثْلَهُ. وَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَضَلُّ الشَّاعِرَةِ بِأَبْيَاتِ أَمْرَتِهَا قَبِيحَةٌ أَنْ تَقُولَهَا عَنْهَا، فَقَرَأَهَا فَاذْهَابُ: ١٠
- لَا كُتِبَ فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرْقٍ * حَتَّى أَمُوتَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يَقَانُ شَكَا مَنْ كَانَ يَعْشَقُهُ * إِنَّ الشَّكَاةَ لَمَنْ تَهَوَّى هِيَ الْيَأْسُ
وَلَا أَبُوحُ شَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ * عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ الْكَأْسُ
فَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ: أَحْسَنْتَ يَا فَضْلُ. وَأَمَرَ لَهَا وَلِي بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَدَخَلَ إِلَى
قَبِيحَةٍ فَتَرَضَّاهَا. ١٥

١١١
٩

خرج مع جماعة
إلى الشام فقطع
علمهم الأعراب
الطريق ففزع أصحابه
وثبت هو وقال
شعرا

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال :
خرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة ، فخرجت عليهم الأعراب في خساف^(١)
فهرب من كان في القافلة من المقاتلة ، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالا شديداً ،
وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحفظوا بشيء . فقال في ذلك :

٢٠ (١) في الأصول «خساف» بالحاء المهملة وهو تصحيف . وخساف : بركة بين بالس وحلب .
(معجم البلدان لياقوت) .

صَبَرْتُ وَمِثْلِي صَبْرُهُ لَيْسَ يُنْكِرُ * وَلَيْسَ عَلَى تَرْكِ التَّقَحُّمِ يَعْذِرُ
 غَرِيزَةُ حَرٍّ لَا اخْتِلَاقُ تَكْلُفٍ * إِذَا خَامَ^(١) فِي يَوْمِ الْوَعَى الْمُتَصَبِّرُ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَوْتَ تَهْفُو بُنُودُهُ * وَبَانَتْ عِلَامَاتُ لَه لَيْسَ تُنْكَرُ
 وَأَقْبَلَتِ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * وَنَارُ تَجَاجٍ أَسْوَدُ اللَّوْنِ أَكْذَرُ
 بِكُلِّ مُشِيحٍ^(٢) مُسْتَمِيتٍ مُشَمِّرٍ * يُحَوِّلُ بِهِ طَرْفَ أَقْبِ^(٣) مُشَمِّرُ
 بَارِضٍ خُسَافٍ حِينَ لَمْ يَكْ دَافِعٌ * وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَذْكُورُ^(٤)
 فَقَلَّلَ فِي عَيْنَيَّ عُظْمَ جَمْعِهِمْ * عَزِيمَةُ قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ يَصْغُرُ
 بُمَعْتَرِكٍ فِيهِ الْمُنَابَا حَوَاسِرُ * وَنَارُ الْوَعَى بِالْمَشْرِفَةِ تُسْعَرُ
 فَمَا صُدَّتْ وَجْهِي عَنْ ظُبَاتِ سِيوفِهِمْ * وَلَا انْحَزَتْ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ
 وَلَمْ أَكْ فِي حَرِّ الْكَرِيمَةِ مُعْجِمًا * إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ لِلْوَرْدِ مَصْدَرُ
 إِذَا سَاعَدَ الطَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانَهُ * وَأَسْمَرُ خَطَى وَأَبْيَضُ مَيْتَرُ^(٥)
 فَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الْكَرِيمُ بِنَفْسِهِ، * إِذَا أَصْطَكَّتِ الْأَبْطَالُ فِي النَّفْسِ عَسْكَرُ
 مَنَعْتَهُمْ مِنْ أَنْ يَنْالُوا قُلَامَةً * كَيْفَ تَنْجَاهُمْ وَالْأَسِنَّةُ تَقَطُرُ
 وَتَلْكَ سِجَايَا قَدِيمًا وَحَادَثًا * هَا عُرِفَ الْمَاضِي وَعَمَزَ الْمُؤَخَّرُ
 أَبَتْ لِي قُرُومٌ أَنْجَبْتَنِي أَنْ أَرَى * وَإِنْ جَلَّ خَطْبٌ خَاشِعًا أَتَضَجَّرُ
 أُولَئِكَ آلُ اللَّهِ فَهَرُ بْنُ مَالِكٍ * بِهِمْ يُخْبِرُ الْعُظْمُ الْكَاسِيرُ وَيُكْسَرُ
 هُمُ الْمَشِيكِبُ الْعَالِي عَلَى كُلِّ مَنِيكِبٍ * سِيوفُهُمْ تَفْنِي وَتُفْقِرُ

(١) خام : نكص وجبن . (٢) المشيح : المجحد . (٣) الطرف : الكريم

من الخيل . والأقب : الدقيق الخصر الضامر البطن . (٤) الصفيح هنا : السيف العريض .

(٥) المعروف في كتب اللغة أن يقال سيف باتر وبتار (بتشديد التاء) وبتار (وزان غراب) وبتور؛
 ولكن على بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة، فربحنا هذا الضبط؛ إذ المستعمل في القطع من هذه المادة
 إنما هو « بتر » الثلاثي، واسم الآلة منه مِيتَر .

أخبرني عيسى بن الحسين الوزاق والحسن بن علي قالوا جميعا حدثنا محمد ابن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني عيسى بن أبي حرب قال حدثني علي بن الجهم قال : حبسني أبي في الكتاب ، فكتبت إلى أمي :

قال إن أباه حبسه في الكتاب وهو صبي ثم كذب إلى أمه شعرا فكذبه إبراهيم بن المدبر

يا أُمُّنا أَفَدَيْكَ مِنْ أُمِّ * أَشْكُو إِلَيْكَ فَطَاطَةَ الْجَهْمِ
قد سُرحَ الصَّبِيانُ كُلُّهُمْ * وَبَقِيَتْ مُحْصُورًا بِلا جُرْمِ

قال : وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي ؛ فأرسلت إلى أبي : والله لئن لم تُطْلِقْهُ لَأَخْرُجَنَّ حَاسِرَةً حَتَّى أَطْلِقَهُ . قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال : علي بن الجهم كذاب ، وما يمنعه من أن يكون وَلَدَ هذا الحديث وقال هذا الشعر وله ستون سنة ، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ، ليرفع من شأن نفسه ! .

١١٢
٩

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

مدح أحمد بن أبي دؤاد وكان منحرفا عنه ليشفع له في حبسه فقعد عنه فهجاه وشتم به بعد أن نقاه المتوكل

كان أحمد بن أبي دؤاد منحرفا عن علي بن الجهم لأعتقاده مذهب الحشوية .^(١)
فلما حُيِسَ علي بن الجهم مدح أحمد بن أبي دؤاد عدة مدائح ، وسأله أن يقوم بأمره وَيَشْفَعَ فِيهِ ، فلم يفعل وقعد عنه . فمنها قوله :

يا أحمدُ بنَ أبي دؤادِ إني * تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يا أحمدُ
أَبْلُغْ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ودونَه * خَوْضُ الرَّدَى وَمَخَافُ لا تَنْفَدُ
أَتم بنو عم النبي محمد * أُولَى بما شرع النبي محمدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها :

* قالت حُبِسْتُ فَقُلْتُ ليس بضائري

(١) الحشوية : طائفة يقولون : حكم الأحاديث كلها واحد ، وعندهم أن تارك النفل كترك الفرض .

وهم فرقة من المرجئة . (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٦٢ طبع دار الكتب المصرية) .

فلما قَتَّى المتوكلُ أحمدَ بنَ أبي دُوادٍ سَمِيتَ به عليّ بن الجَهْمُ وهجاء فقال :

يا أحمدُ بنَ أبي دُوادٍ دعوةٌ * بعثتُ إليك جنادلاً وحديداً

ما هذه البِدْعُ التي سَمِيتَها * بالجهل منك العدل والتوحيداً

أفسدتَ أمرَ الدين حين وَلِيتَه * ورَمَيْتَه بأبي الوليد وليداً^(١)

لا مُحْكَمًا جَزَلاً ، ولا مُسْتَظَرَفًا * كَهَلًا ، ولا مُسْتَحْدَثًا مَعْمُوداً^(٢)

شِرْها ، إذا ذُكِرَ المكارمُ والعلا * ذَكَرَ انْقِلاباً مُبِيداً ومُعِيداً^(٣)

ويؤدُّ لو مُسِيخَتٍ ربيعةٌ كُلُّها * وبنو إِيَادٍ صَخْفَةً وثَرِيداً

وإذا تَرَبَّعَ في المجالسِ خَلَّتِه * ضُبْعاً وِخْلَتِ بَنِي أَبِيهِ قُرُوداً

وإذا تَبَسَّمَ ضاحِكاً شَبَّهَتْه * شِرْقاً تَعَجَّلَ شُرْبُهُ مَرْدُوداً

لا أَصْبَحَتْ بالخيرِ عَيْنٌ أَبْصُرَتْ * تلكَ المَنَاحِرَ والثَّنَايا السُّوداً

أخبرني عمي قال حدَّثنا محمد قال :

كتب عليّ بن الجَهْمُ الى طاهر من الحبس :

إن كان لي ذنبٌ فلي حُرْمَةٌ * والحقُّ لا يدفعه الباطلُ

وحُرْمَتِي أعظمُ من زَلَّتِي * لو نالني من عَذْلِكُم نائلُ

ولي حقوقٌ غيرُ مَجْهُولَةٍ * يعرفها العاقلُ والجاهلُ

وكلُّ إنسانٍ له مذهبٌ * وأهلُ ما يفعله الفاعلُ

وسيرةُ الأملاكِ منقولةٌ * لا جائزٌ يُخْفَى ولا عادِلُ

وقد تعجَّلتَ الذي خِفْتُهُ * منك ولم يأت الذي آمَلُ

كتب من حبسه
شعرا لطاهر بن
عبد الله بن طاهر
ابن الحسين

(١) أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبي دُوادٍ، كان يتولى المظالم بسامرا وعزله المتوكل سنة ٢٣٧هـ.

(٢) الجزل هنا : الجيد الرأي أصيله . (٣) لعلها « مستظرفا » بالطاء المعجمة أى معدودا ظريفا .

(٤) لعلها : « محمودا » . (٥) القلايا : المقلبات ، مفردة قلية . (٦) بعد هذه

الكلية وقبل الشعر كلمة « صوت » في ح ، ب ، س ؛ ولم يذكر فيه الحاناً حتى يكون لهذه الكلمة موقع .

شعره في مقين
كان ينزل عنده
في جماعة بالكرخ

جحدثنى عمي قال حدثنا محمد قال :

كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد
من النفي، وكانوا يتقايئون ببغداد، ويلزمون منزل مقين بالكرخ يقال له المفضل،
فقال فيه علي بن الجهم :

١١٣
٩

٥
نزلنا بباب الكرخ أطيّب منزل * على محسنات من قيان المفضل
فلا بن سريخ والفريض ومعبّد * بدائع في أسماعنا لم تبدل
أوانس ما للضيف منهن حشمة * ولا رهبر بالجليل المبجل
يسر إذا ما الضيف قلّ حياؤه * ويفعل عنه وهو غير معقل
ويكثر من دم الوقار وأهله * إذا الضيف لم يأنس ولم تبدل
ولا يدفع الأيدي المريسة غيرة * إذا نال حظا من لبوس وما تكل
ويطرق لإطراق الشجاع مهابة * ليطلق طرف الناظر المتأمل
أشرب بيد وأعجز بطرف ولا تخف * رقيقا إذا ما كبت غير مبجل
وأعيرض عن المصباح والهج بمنلة * فإن محمد المصباح فاذن وقبل
وسل غير ممنوع وقل غير مسكت * وتم غير مدعور وقم غير معجل
لك البيت ما دامت هداياك جمّة * وكنت مليا بالنبيذ المعسل
١٥
فبادر بأيام الشباب فإنها * تقضى وتقضى والغواية تتجلى
ودع عنك قول الناس أتلّف ماله * فلان فأصحنى مبدرا غير مقبل
هل الدهر إلا ليلة طرحت بنا * أو آخرها في يوم لموم مجل

(١) : ظاهر أن معناه : يجالسون القيان، وأن معنى مقين صاحب قيان .

سقى الله باب الكرخ من مَنَترَه * إلى قَصْرِ وَضاح فَبِرْكَة زَلْزَلِ^(٢)
 مَساحِبُ أَذْيَالِ الْقِيَانِ وَمَسَرَحِ الدَّ * حِسَانِ وَمَثْوَى كُلِّ خَرِقٍ مُعْدَلِ^(٣)
 لَوْ أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ بِنَ حُجْرٍ يَحُلُّهَا * لَأَقْصَرَ عَنْ ذِكْرِ الدَّخُولِ وَحَوْمِلِ^(٤)
 إِذَا لَرَأَى أَنْ يَمْنَحَ الْوُدَّ شَادِنًا * مَقْصَرِ أَذْيَالِ الْقَبَا غَيْرَ مُسْبِلِ^(٥)
 إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مَضْجَعِي مِنْهُ لَمْ يَقُلْ^(٦) * عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مَهْرُويَه قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِ
 قَالَ أَنْشَدَنِي عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ لِنَفْسِهِ :

وَإِذَا جَزَى اللَّهُ أَمْرَأً بِفِعَالِهِ * بَخَزَى أَخًا لِي مَا جَدًّا سَمَحًا
 نَادَيْتُهُ عَنْ كُرْبَةٍ فَكَأَنَّمَا * أَطْلَعْتُ عَنْ لَيْلٍ بِهِ صُبْحًا

أنشد إبراهيم بن
 المدبر شعرا لنفسه
 فكذبه وقال إن
 الشعر لإبراهيم بن
 العباس

- ١٠ فقلت له : وَيْلَكَ ! هذا لإبراهيم بن العباس يقول في محمد بن عبد الملك الزيات !
 بَخَضَنِي وَكَابِر . فدخل يوماً عليّ بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده . فلما
 رآني قال : اجتمع الإبراهيميان . فتركته ساعة ثم أنشدت البيتين ، وقلت لإبراهيم بن
 العباس : إن هذا يزعم أنّ هذين البيتين له . فقال : كَذَبٌ ، هذان لي في محمد

- (١) قصر وضاح : قصر بني الهدي قرب رصافة بغداد ، وقد تولى الزنقة عليه رجل من أهل الأنبار يقال له
 وضاح فنسب إليه . وقيل وضاح من موالى المنصور . وقال الخطيب : لما أمر المنصور ببناء الكرخ قلّد ذلك رجلاً
 يقال له الوضاح بن شبا ، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح . (معجم البلدان لياقوت) . (٢) بركة زلزل :
 ببغداد بين الكرخ والصراة (بفتح أوله) وباب الحول (بتشديد الواو مع فتحها) وسويقة أبي الورد تنسب
 إلى زلزل الضارب . (معجم البلدان لياقوت) . (٣) انخرق من الرجال : الكريم الذي ينخرق في كرمه
 أي يتسع فيه . والمعذل : الذي يكثر الناس عنده ولومه على إمرائه في الكرم . (٤) رواية معجم البلدان :
 منازل لا يستتبع الغيث أهلها * ولا أوجه اللذات عنها بمعزل

- ٢٠ منازل لو أن امرأ القيس حلها * لأقصر عن ذكر الدخول لحومل
 (٥) في ياقوت :

إذا لَرَأَى أَمْنَحَ الْوُدَّ شَادِنًا * مَقْلَصٌ

(٦) في الأصول : «لم أقل» . والتصويب من معجم البلدان لياقوت عند الكلام على قصر وضاح .

أبن عبد الملك الزيات . فقال له علي بن الجهم يقية : ألم أنك أن تتحل شعري ! فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سوءة عليك سوءة لك ! ما أوحك ! وهو لا ينكر في ذلك ولا يتجمل . ثم التقينا بعد مدة فقال : رأيت كيف أخزيت إبراهيم ابن العباس ! ! فجعلت أعجب من صلابة وجهه .

حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعل بن الجهم وفيه غناء :
شعر له في الفراق

١١٤
٩

إعلمي يا أحب شيء إليا * أن شوقي إليك قاض عليها
إن قضه الله لي رجوعا إليكم * لا ذكرت الفراق ما دمت حيا
إن حر الفراق أنحل جسمي * وكوى القلب منك بالشوق يكا

كان محمد بن
عبد الملك الزيات
منحرفا عنه ويسبهه
عند الخليفة فهجاه

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :
كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفا عن علي بن الجهم وكان يسبه عند
الخليفة ويعيبه ويدكره بكل قبيح . فقال فيه علي بن الجهم :

لعمري الله متابعات * مصبرات ومهجرات
على ابن عبد الملك الزيات * عرض شمل الملك للشئات
وانقذ الأحكام جارات * على كتاب الله ذاريات
وعن عقول الناس خارجات * يرمي الدواوين بتوقعات
معتقدات كركي الحيات * سبحان من جل عن الصفات
بعد ركوب الطوف في القرات * وبعد بيع الزيت بالحبات

(١) في ح ، ب ، س : « لا يفكر » . (٢) في ب ، س ، ح : « قال حدثني الخ »
وكلمة « قال » هنا لا موقع لها . (٣) سبعة (من باب سرب ومنع) شته ووقع فيه . وهذه
الكلمة محرفة في الأصول ، ففي ب ، س : « يسبه » وفي أ ، م : « يشبه » وفي ح : « يسيعه » .
(٤) كذا في الأصول بالذال المعجمة . وذاريات من ذوت الريح التراب تذروه وتذريه : فرقته
وأطارته . يريد أنها تعني تخاب الله . ويحتمل أن يكون ذاريات بالزاي أى عائبات .
(٥) الطوف : قرب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض كهيئة السطح يركب عليها في الماء ويحمل عليها .

صرتَ وزيراً شامخَ الثَّباتِ^(١) ! * هارونُ يابنَ سَيِّدِ السَّادِاتِ^(٢)
 أما ترى الأمُورَ مُهْمَلاتٍ * تشكو إليك عَدَمَ الكُفَاةِ
 فعاجِلِ العِلَجِ بِمُرَهَفاتٍ * مِن بَعْدِ أَلْفِ حُجُبِ الأصواتِ^(٣)
 بِمُثَمِّراتٍ غَيرِ مُورِقاتٍ * تُرى بِمَتْنِيهِ مَرَضَاتِ^(٤)
 * تَرَضَّفَتِ الأَسنانُ في اللُّثاتِ * .

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال :
 كان علي بن الجهم سأل عمر بن الفرج الرُّحَيْجِيَّ معاوَنَتَهُ ، وَأَسْتَرْفَدَهُ في نَكْبَتِهِ
 فلم يُعَاوِنِهِ ولم يُرْفِدْهُ ، ثم قُبِضَ على عمر بن الفرج وأُسْلِمَ إلى نَجَّاحٍ ليصادره . فقال
 علي بن الجهم له :

استرفد عمر بن
 الفرج فلم يرفده
 ثم قبض على عمر
 فشمته به وقال
 شعرا

أَنلِغَ نَجَّاحًا بَنَى الْفَيْتَانِ مَالِكَةً^(٥) * تَمَضَى بِهَا الرِّيحُ إِصْدَارًا وَإِيرَادًا
 لَنْ يَخْرُجَ الْمَالُ عَفْوَاً مِنْ يَدَيِ عُمَيْرٍ * أَوْ يُغَمَدَ السَّيْفُ فِي قَوْدِيهِ إِغْمَادًا
 الرُّحَيْجِيُّونَ لَا يُؤْفُونَ مَا وَعَدُوا * وَالرُّحَيْجِيَّاتُ لَا يُخْلِفْنَ مِيعَادًا
 قال وقال في عمر بن الفرج أيضا :

جَمَعْتُ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا * تَبَيَّنَ الْمَسْلُوكُ وَأَفْعَالُ الْمَسَالِكِ

٢١٥

(١) كذا في الأصول والنفس غير مرادة لها (٩) :

(٢) يريد هارون الواثق الخليفة العباسي . (٣) يريد ألفا من السياط .

(٤) مثرات : لها ثمر . والثمره من السوط : عقدة في طرفه تشبها بالثمر في الهيئة والتدلي عنه كندل الثمر .

(٥) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكُتَّابِ في أيام المأمون إلى أيام المتوكل . غضب عليه المتوكل ؛

لأن الواثق وكله به حين الغضب عليه ، يكتب عنه ويحفظ أخباره . فلما ولي الخلافة نكبه في شهر رمضان

سنة ٢٣٣ هـ وأمر بحبسه ومصادرة أمواله . (راجع الطبري ق ٣ ص ١٣٧٠ و ١٣٧٧) .

(٦) - هو نَجَّاح بن سُلَيْمَة أبو الفضل ، كان على ديوان التوقيع والتبليغ على النعال في عهد المتوكل ، ثم نكبه

عنده عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة ٢٤٥ هـ ، وكان ممكنا من المتوكل وإليه الوزارة . وجاءت أعماله .

(راجع الطبري ق ٣ ص ١٤٤٠ - ١٤٤٧) . (٧) المالبكة : الرسالة .

أهدت شكرًا بلا ير ومرتزة^(١) * لقد سلكت طريقًا غير مسلوكة
ظننت عرضك لا يُرمى بقارعة * وما أراك على حال بمترولة

تمثل بشعره نديم
لسليمان بن وهب
وكان عريده عليه
واشبهه فرضى عنه

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال :
كان لسليمان بن وهب نديم يأتس به ويألفه ، فعربد عليه ليلة من الليالي
عريده قبيحة ، فأطرحه وجفاه^(٢) ، فوقب له على الطريق . فلما مر به وثب^(٣)
إليه فقال له : أيها الوزير ، ألا تكون في أمرى كما قال علي بن الجهم :

القوم إخواني صديق بينهم تسب * من المودة لم يعدل بها تسب
تراضعوا ديرة الصبهاء بينهم * فأوجبوا الرصيع الكأس ما يجب
لا تحفظن على السكان زنتن * ولا تريننك من أخلاقه ريب

١١٥
٩

١٠ فقال له سليمان : قد رضيت عنك رضا صحيحا ، فعد إلى ما كنت عليه من ملازمتي .
وأول هذه أبيات :

الورد يضحك والأوتار تضطرب * إوالنأي يندب أشجاءا ويتحب
والراح تعرض في نور الربيع كل * تجلى العروس عليها الدر والذهب
واللهو يلحق مغبوقا بمضطرب * والدور سيان محشوت ومتمحب^(٤)
وكلما أنسكبت في الكأس آونة * أقسمت أن شعاع الشمس يتسكب

١٥

(١) يقال : رزأ ماله من باب قطع وعلم رزأ ومرزئة إذا أصاب منه خيرا .

(٢) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد . كتب التامون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم
لأشناس ، ثم ولي الوزارة للهندي بالله ثم العتد على الله ، وقد مدحه خلق كثير من أعيان الشعراء كإبي تمام
والبحري . وينقل سليمان المذكور في الدراوين الكبار والوزارة . ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضا عليه
في منتصف صفر سنة ٢٧٢ . (راجع ابن خلكان) .

٢٠

(٣) يقرب : سب ، مح : عليه . (٤) كذا في الأصول .

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال :

أنشد عبد الله بن طاهر شعرا وكان متهما فسرى عنه

دخل علي بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر في غدوة من غدوات الربيع وفي السماء غيم رقيق والمطر يحيى قليلا ويسكن قليلا ، وقد كان عبد الله عزم على الصبوح . فغاضبته حظية له ، فتغصص عليه عظمته وقتل . فخبّر علي بن الجهم بالخبر . وقيل له : قل في هذا المعنى شيئا ، لعله ينشط للصبوح . فدخل عليه فأنشده :

صوت

أما ترى اليوم ما أحبل شمالك * صفو وغيم وإبراق وإرعاد
كأنه أنت هاهنا لا شبيه له * وفيل وهجر وتقريب وإبعاد
فما كبر الراح وأشر بها معتقة * لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد
وأشرب على الروض إذ لاحت زخارفه * زهر ونور وأوراق وأوراد
كأنا يومنا فنزل الحبيب بنا * بذل وبخل وإبعاد وميعاد
وليس يذهب عني كل فعلكم * نغي ورشد وإصلاح وإفساد
فأستحسن الأبيات وأمر له بثلاثمائة دينار : وحمله وخلع عليه ، وأمر بأن يغنى في الأبيات . الغناء لبذل الطاهرية ، خفيف رمل . وفيه غيرها هزج .

١٥

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجل من أهل خراسان قال : رأيت علي بن الجهم بعد ما أطلق من حبسه جالسا في المقابر ، فقلت له : ويحك ! ما يجلسك هاهنا ؟ فقال :

جلس في المقابر بعد خروجه من السجن وقال شعرا

يشنق كل غريب عند غربته * ويذكر الأهل والجيران والوطنا
وليس لي وطن أسيت أذكره * إلا المقابر إذ صارت لهم وطنا

٢٠

حدثني عمي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد علي بن الجهم وفيه غناء : شعر له وفيه غناء .

صوت

لو تَنَصَّلْتَ إلينا * لوَهَبْنَا لك ذَنَبَكَ
بأبي ما أبغض العيد * شَ إِذَا فَارَقْتُ قُرْبَكَ
لَتَنِي أَمْلِكُ قَلْبِي * مِثْلَ مَا تَمْلِكُ قَلْبَكَ
أيها الواثق بالله لقد ناصحت ربك
بما رأى الناس إماماً * أَنَهَبَ الْأَمْوَالَ نَهَبَكَ
أَصْبَحْتُ مُجْتَنِكُ الْعَدُوِّ * يَا وَحِيزُ اللَّهِ حِرْبَكَ
الغناء لعريب رمل . وفيه لغيرها هرج .

مدح أبا أحمد بن
الرشيد فلم يعطه
شيئا فجهجاه

١١٦
٩

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كان علي بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئا فقال يهجوهُ :

يا أبا أحمد لا يُنْتَمِئُ عِجِي مِنَ الشَّعْرِ الْفِرَارُ
لبنى العباس أحلام * م عِظَامٌ وَوَقَارُ
ولهم في الحرب إقدا * م ورأى وَأَصْطَبَارُ
ولهم ألسنة تب * يرى كما تَبْرِي الشَّفَارُ
ووجوه كنجوم الليل تهدي من يحار
ونسيم كنسيم الروض جادته القطار
ولعطفك عن المحج * يد شمس وأز رار
إن تكن منهم بلا شك فلعود قنار^(١)

(١) القنار : ريج العود المحرق .

حَدَّثَنِي بِحُظَّةٍ وَعَمِّي قَالَا حَدَّثَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ
دَخَلَ إِلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ بِعَقِبِ مَوْتِ أَبِي وَالْمَجْلِسُ حَافِلٌ بِالْمُعْزِينَ ، فَتَلَّ قَائِمًا
وَأَنشَدَنَا يَرثِيهِ :

رثى عبد الله بن
طاهر بشعره وأنشده
ابنه يعزبه

أَيُّ رَكْنٍ وَهَى مِنَ الْإِسْلَامِ * أَيُّ يَوْمٍ أَخْنَى عَلَى الْأَيَّامِ
جَلَّ رُزْءُ الْأَمِيرِ عَنْ كُلِّ رُزْءٍ * أَلَا كَيْفَهُ خَوَاطِرُ الْأَوْهَامِ
سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ ظِلًّا ظَلِيلًا * وَأَبَاحَتْ حِمَى عَزِيزِ الْمَرَامِ
مَا بَنَى مُضْعَبٍ حَلَّتْهُ مِنَ النَّاسِ * سَحَلَّ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَامِ
فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ قُلْدَهْ رَيْبٌ * عَمَّ مَا خَصَّكُمْ جَمِيعَ الْأَنَامِ
أَنْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ إِلَّا دُمُوعًا * شَاهِدَاتٍ عَلَى قُلُوبٍ دَوَامِ
مَنْ يُدَاوِي الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْلَأُ الْمُدَّ * لَكَ لَدَى فَادِحِ الْخَطُوبِ الْعِظَامِ
نَحْنُ بِمُنَا بِمَوْتِهِ وَأَجَلُ الْإِلَ * خَطِيبِ مَوْتِ السَّادَاتِ وَالْأَعْلَامِ
لَمْ يَمُتْ وَالْأَمِيرُ طَاهِرٌ حَتَّى ^(١) دَائِمُ الْإِنْتِقَامِ وَالْإِنْعَامِ
وَهُوَ مِنْ بَعْدِهِ نِظَامُ الْمَعَالِي * قَوْمُ الدُّنْيَا وَسَيْفُ الْإِمَامِ
قَالَ : فَمَا أَذْكَرَ أُنَى بِكَيْتٍ أَوْ رَأَيْتُ فِي دُورِنَا بَايِكًا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمَيْدٍ .

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الدَّهْقَانَةِ النَّدِيمُ قَالَ :
دَخَلْنَا يَوْمًا إِلَى الْمَعْتَرِ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ عَلَى صَوْتِ اخْتَارِهِ وَأَقْتَرَحِهِ عَلَى عَرِيبٍ ،
وَأُظُنُّ الصَّنْعَةَ لَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، فَلَمَّا سَكِرَ أَمْرُهَا بَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ ، وَفَرَّقَ عَلَى الْجُلَسَاءِ كُلِّهِمُ الْجَوَائِزَ وَالطَّيِّبَ وَالْخَلَعَ . وَالصَّوْتُ :

غنت عريب المعتز
بشعره فطرب
وفزق مالا

(١) يريد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

العينُ بعدَكَ لم تنظر إلى حسنٍ * والنفسُ بعدَكَ لم تسكن إلى سكنٍ
كَانَ نفسى إذا ما غبت غائبةً * حتى إذا عُدت لى عادت إلى بدنهِ
والشعرُ لعلّى بن الجهم .

نرج مع عبد الله
ابن طاهر للصيد
وشربوا فقال شعرا
يصف ذلك

حدثني بَحْظَةُ ومحمد بن خلف وَكَيْعٌ وَعَمِي قالوا جميعاً حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ
عبد الله بن طاهر قال :

لَمَّا أَطْلَقَ أَبِي طَاهِرٌ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ مِنَ الْحَبْسِ أَقَامَ مَعَهُ بِالشَّادِ بِجِجْدَةٍ ، فخرجوا
يَوْمًا إِلَى الصَّيْدِ ، وَاتَّفَقَ لَهُمْ مَرْجٌ كَثِيرُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَكَانَتْ أَيَّامُ الزَّعْفَرَانِ ،
فَأَصْطَادُوا صَيْدًا كَثِيرًا حَسَنًا ، وَأَقَامُوا يَسْرُبُونَ عَلَى الزَّعْفَرَانِ . فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ
يَصِفُ ذَلِكَ :

وَطَيْنَا رِيَاضَ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكْتُ * عَلَيْنَا الْبَزَاءُ الْبَيْضُ حُمَرَ الدَّرَاجِ (٢)
وَلَمْ تَنْمِهَا الْأَذْغَالُ مِنَّا وَإِنَّمَا * أَبْجَنَّا حِمَاهَا بِالْكَلابِ النَّوَاجِ (٣)
بِمُسْتَرْوِحَاتٍ مَسَابِحَاتٍ بِطُونُهَا * عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالُ السَّهَامِ الزَّوَالِ (٤)
وَمُسْتَشْرِفَاتٍ بِالْمَسَادِي كَأَنَّهَا * وَمَا عَقَفْتُ مِنْهَا رِئُوسَ الصَّوَالِ (٥)
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسُنًا فَكَأَنَّهَا * لَحَى مِنْ رِجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَالِ (٦)
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسُنًا فَكَأَنَّهَا * لَحَى مِنْ رِجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَالِ (٧)

(١) راجع الحاشية رقم ٣ صفحة ٢٠٨ من هذا الجزء .
(٢) الدراج : جمع دراج : وهو طير جميل المنظر ملون الريش . وفي الأصول : « الدراج » وهو تحريف . (٣) نباج الكلب : نباحه . وفي أ ، ح ، م : « النواج » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . وفي ب ، س : « البواج » وهو تحريف . (٤) استروح الشيء : تسممه . وسابحات : سريمات .
(٥) الزوال : هنا بمعنى السريمة . يقال سهم زالج أى يزج على وجه الأرض ثم يمضى .
(٦) المهادى هنا : الأعناق . وعقفت : مطقت وعوجت .
(٧) دالعات ألسنا : مخرجات ألسنها من أفواهها . والكويج : الذى لحبته على ذفته لا على عارضيه .

فَلَيْنَا بِهَا الْغِيْطَانُ فَلَيْلًا كَأَنَّهَا * أَنَامُلُ إِحْدَى الْغَانِيَاتِ الْخَوَالِجِ^(١)
 فَقُلْ لِبُعَاةِ الصَّيْدِ هَلْ مِنْ مُفَاحِرٍ * بَصِيدٍ وَهَلْ مِنْ وَاصِفٍ أَوْ مُخَارِجِ^(٢)
 قَرْنًا بُزَاةً بِالصُّقُورِ وَحَوَمَتٍ * شَوَاهِينَا مِنْ بَعْدِ صَيْدِ الزَّمَايِجِ^(٣)

حدَّثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال :

كتب علي بن الجهم إلى المتوكل وهو عجبوس :

كتب من حبسه
 إلى المتوكل شعرا

صوت

أَقْلَسْنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ * يَتَّبِكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى
 وَيَقْذُوكَ بِالنِّعَمِ السَّابِغَاتِ * وَلَيْدًا وَذَا مَيْعَةٍ أَمْرَدَا
 وَتَجَرِي مَقَادِيرُهُ بِالَّذِي * تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى
 وَيُعْلِيكَ حَتَّى لَوَافَتْ السَّمَاءَ * تُنَالُ لِحَاوِزَتَهَا مُضْعِدَا
 فَمَا بَيْنَ رَبِّكَ جَلِّ أَسْمِهِ * وَبَيْنَكَ إِلَّا نَبِيَّ الْهُدَى
 فَشَكَرَا لِأَنْعَمِهِ إِنَّهُ * إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَّدا
 وَعَفَاكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ * فَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُقْعِدَا
 إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَقْضَى بِهِ * إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقُدَا
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً * تَعُوذُ بِفَضْلِكَ أَنْ أَبْعِدَا
 لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْ * لِأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا
 أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدَا هَدَى

(١) حوایج : جمع حائلة وهي : ف القطن حتى يخلص الحب منه .

(٢) خارجه : ناهده . يريد : هل من مناهض يناهضنا في الصيد . (٣) كذا في أكثر

الأصول . والزماج : مع زيج (وزان سكر) وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب ، تغلب على لونه
 الحمرة . وفي ب ، س : « الزماج » . جمع راج ، وهو ملوحي تصاد به الجوارح كالصقور ونحوها .
 وهذا لا يصلح في هذا المقام .

وَمُفْسِدَ أَمْرِ تَلَايَتِهِ * فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرُ * تَ حَتَّى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدَا
وَلَا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى
وَكُنْتُ كَعُزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُسِجَّ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا
يَكْثُرُ فِي الْبَيْتِ صِبْيَانُهُ * يَغِيظُ بِهِمْ مَعْشَرًا حُسَدَا

٥

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ :

شمت بأحمد بن
أبي دراد حين فُلج
وقال شعرا يهجو

لَمَّا فُلِجَ ابْنُ أَبِي دُرَادٍ شِمْتُ بِهِ بَنُ الْجَهْمِ وَأَظْهَرَ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَ فِيهِ :
لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى خِيَالِكَ لَا مَعَا * فَوْقَ الْفِرَاسِ مُمَهَّدَا بُوَسَادِ
فَرَحْتُ بِمَصْرَعِكَ الْبَهْرِيَّةِ كُلِّهَا * مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوقِنًا بِمَعَادِ
كَمْ بَجَلِسَ لَكَ قَدْ عَطَلْتَهُ * كَيْ لَا يُحَدِّثَ فِيهِ بِالْإِسْنَادِ
وَلَكُمُ مَصَابِيحُ لَنَا أَطْفَأَتْهَا * حَتَّى يَزُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الْهَادِي
وَلَكُمُ كَرِيمَةٌ مَعْتَبِرٌ أَرْمَلْتَهُ * وَمُحَدِّثٌ أَوْقَعْتُ فِي الْأَفْيَادِ
إِنَّ الْأَسَارَى فِي السُّجُونِ تَفَرَّجُوا * لَمَّا أَتَاكَ مَوَاصِبُ الْعُودَادِ
وَعَدَا لِمَصْرَعِكَ الطَّيِّبِ فَلَمْ يَجِدْ * شَيْئًا لَدَائِكَ حِيلَةَ الْمُرْتَادِ
فَذُقِ الْهَوَانَ مُعْجَلًا وَمُؤْجَلًا * وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرِيشِ بِالْمَرْصَادِ
لَا زَالَ فَالْجُحُكُ الَّذِي بَكَ دَائِبًا * وَخُفَّتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ

١٠

١٥

١١٨
٩

أَنشَدَنِي عَمِّي لِابْنِ الْجَهْمِ وَفِيهِ غِنَاءٌ لِعَرِيبٍ :

شعر له غنت فيه
عريب

نَطَقَ الْهَوَى بِجَوَى هُوَ الْحَقُّ * وَمَلَكَتْنِي فَلَيْمَنِكَ الرَّقُّ
رِفْقًا بِقَلْبِي يَا مَعْدَبَهُ * رِفْقًا وَلَيْسَ لظَالِمٍ رِفْقُ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ لَا تَكَلِّمْنِي * ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ

٢٠

وأنشدني له وفيه غناء أيضا ، ويقال إنه آخر شعر قاله :

يارحمةً للغريب بالبلد الذ * لاج ماذا بنفسه صنعاً

فأرق أحبابه فما آتفعوا * بالعيش من بعده وما آتفعوا

وقال لمن حضر معه مجلساً وكان غير طيب :

كنت في مجلس فقال معنى ال * قويم كم بيننا وبين الشتاء

فذر عت البساط مني إليه * قلت هذا المقدار قبل الغناء

فلذا ما عرهم أن تتعني * أدن الحر كله بأنقضاء

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال :

لما حدثني أمير المؤمنين المتوكل على بن الجهم ، وأجمع الجلوس على عداوته

وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه ووصفهم مساويه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره حقوقه عليه ، وهي :

عفا الله عنك ألا حرمة * تعوذ بعفوك أن أبعداً

ووجه بها إلى بيدون الخادم ، فدخل بها إلى قبيحة وقال لها : إن علي بن الجهم

قد لاذ بك وليس له ناصر سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل

من أهل السنة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدعت المعتز

وقالت له : اذهب بهذه الرقعة يا بني إلى سيدك وأوصلها إليه ، بخاء بها ووقف بين

يدى أبيه . فقال له : ما معلنك فديتك ؟ فدنا منه وقال : هذه رقعة دفعتها إلى أمي .

فقرأها المتوكل وضحك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله — فديته —

خصمكم . هذه رقعة على بن الجهم يستقبل ، وأبو عبد الله شفيعة ، وهو ممن لا يرد ،

وقراها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

فلا عدت أعصيك فيما أمرت * إلى أن أحل الشرى ملحداً

(١) يستقبل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه .

استشفع بقبيحة
إلى المتوكل وهو
في حبسه فأرسلت
إليه ابناً المعتز

- وإلا نغالفُ رَبَّ السماء * وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى

وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا

وَتَبَّ ابْنُ حَمْدُونَ وَقَالَ لِلْعَتَرِ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ دَفَعَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ إِلَى السَّيِّدَةِ ؟ قَالَ
بَيْدُونَ الْخَادِمَ : أَنَا ، فَقَالُوا لَهُ : أَحْسَنْتَ ! تُعَادِينَا وَتَوْصِلُ رُقْعَةً عَدُونًا فِي هِجَانِنَا !!
فَأَنْصَرَفَ بَيْدُونَ وَقَامَ الْمُعْتَرِّ فَأَنْصَحَ ف. وَأَسْتَلَبَ ابْنُ حَمْدُونَ قَوْلَهُ :

وَكُنْتُ كَعَزُونَ أَوْ كَابْنِ عَمْرٍو * مُبِيعَ الْعِيَالِ لِمَنْ أَوْلَدَا

١١٩
٩

بِفَعْلٍ يُنْشِدُهُمْ إِيَّاهُ وَهُمْ يَشْتُمُونَ ابْنَ حَمْدُونَ وَيَضْجُونَ وَالتَّوَكَّلُ يَضْحَكُ وَيَصْفَقُ
وَيَشْرَبُ حَتَّى سَكِرَ وَنَامَ ، وَسَرَقُوا قَصِيدَتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ التَّوَكَّلِ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَوْقِعْ
بِإِطْلَاقِهِ وَنَسِيَهُ . فَقَالُوا لِابْنِ حَمْدُونَ : وَيْلَكَ ! تُعِيدُ هِجَانَنَا وَشَتْمَنَا ! ! فَقَالَ : يَا حَقِّ وَاللَّهِ
لَوْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَيَضْحَكُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَسْكُرَ وَيَنَامَ لَوْقِعَ فِي إِطْلَاقِهِ وَوَقَعْنَا مَعَهُ
فِي كُلِّ مَا نَكْرَهُ .

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ هَارُونَ بْنِ زِيَادٍ قَالَ حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالَ :

لَمَّا أَفْتَتِحَتْ أَرْمِينِيَّةٌ وَقُتِلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فَأَنشَدَ
الْمَتَوَكَّلَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يُهَنِّئُ فِيهَا بِالْفَتْحِ وَيَمْدَحُهُ ، فَقَالَ فِيهَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الرَّسُولِ
الْوَارِدِ بِالْفَتْحِ وَبِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ * جِئْتُ بِمَا يَشْفِينِي مِنَ الْغَلِيلِ

بِجَمَلَةٍ تُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ * بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ

* قَهْرًا بَلَا خَتْلٍ وَلَا تَطْوِيلِ *

(١) في الأصول : « فَوْتَب » . (٢) هو إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، ظَفَرَهُ بِغَا

وَأَحْرَقَ مَدِينَةَ تَقْلَيْسَ سَنَةَ ٢٣٨ هـ .

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتداه ، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم ، وتمم القصيدة . وفيها يقول :

جاء نهر الكر^(١) بالخيول * تردى بفتيان كاسد النيل
معودات طلب الدحول^(٢) * نخر العيون طيبي النصول^(٣)
شعث على شعث من الفحول * جفن يلف الحزن بالسحول
كانه معتلج السيول^(٤) * يسوسة كهل من الكهول
لا يثنى للصعب والذل^(٥) * على أغر واضح الخول
حتى إذا أصح^(٦) للخذول * أجزة بصارم صقيل
ضربا طلقا ليس بالقليل * ومنجنيق مثل حلق الفيل^(٧)
ترفض عن خرطومه الطويل * صواعق من حجر السجيل^(٨)
ترك كيد القوم في تضليل * ما كان إلا مثل رجيع القيل
حتى انجلت عن حزبه المفلول * وعن نساء حسر دهل
صواريخ يعثرن في الذبول * ثواكل الأولاد والبعل
لا والذي يعرف بالعقول * من غير تحديد ولا تمثيل
ما قام لله وللرسول * بالدين والدنيا وبالتنزيل
* خليفة بكعفر المأمول *

١٥

(١) الكر (بضم أوله) : نهريين أرمينية وأزان يشق مدينة تفلوس . وتردى الخيل رديا ورديانا : ترجع الحصا بجوافرها من شدة وطئها . (٢) في أكثر الأصول : « الدحول » بالبدال والحاء وهو تصحيف وفي ج : « الدحول » بالذال والحاء المهملتين . والدحول : جمع ذحل وهو الثأر .
(٣) نخر : جمع أنخر ونخراء . ونخر العين : ضيقها ، وهو كناية عن الغضب .
(٤) في ج : « طيب » . وفي أ ، م هكذا : « حبي » . وفي ب ، سه : « صبي » .
(٥) انجلت الأمواج والسيول : التطلمت . (٦) أصغر : برز . (٧) طلقا : شديدا .
(٨) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة . فارسي معرب . (٩) السجيل : حجارة كالدر .

٢٠

مدح المتوكل
بقصيدة وأرسلها
من حبسه مع علي
ابن يحيى

١٢٠
٩

أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال :
رأيت مع علي بن يحيى المنجم قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل ويصف
(١)
الهاروني ، فقلت له : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحك وقال :
قصيدة لعلي بن الجهم سألتني عرّضها على أمير المؤمنين فعرضتها . فلما سمع قوله :
وَقَبَّةٌ مُلْكٌ كَأَنَّ النَّجْوَى * مَ تَصْنِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
(٢)
تَخْرُ الْوَفُودُ لَهَا . إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا
وَفَوَارَةٌ تَأْرُهَا فِي السَّمَاءِ * فَلَيْسَتْ تُقْصِرُ عَنْ تَأْرِهَا
تُرْدُ عَلَى الْمُنْزِلِ مَا أَنْزَلَتْ * إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مِدْرَارِهَا
تهلل وجهه وأستحسنها . فلما انتهت إلى قوله :
تَبَوَّأَتْ بَعْدَكَ قَعَرَ السَّجُونِ * وَقَدْ كُنْتُ أَرَى لَزْوَارِهَا
غضب وتردد وجهه وقال : هذا بما كسبت يداه ، ولم يسمع تمام القصيدة .

شاع مذهب وشرة
فسافر حلب فقتل
في الطريق وقال
شعرا قبل موته

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال :
لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشرة وذكره كل أحد بسوء من
صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام ، فاتفقنا في قافلة إلى حلب .
ونخرج علينا نفر من الأعراب ، فتسرع إليهم قوم من المقاتلة ، وخرج فيهم فقاتل
١٥ قتالا شديدا وهزم الأعراب . فلما كان من غد خرج علينا منهم خلق كثير ، فتسرع
إليهم المقاتلة وخرج فيهم فأصابته طعنة قتلته ، بخننا به واحتملناه وهو يتزرف دمه .
فلما رآني بكى وجعل يوصيني بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا
فلقا قلعا شديدا وأحس بالموت ، فجعل يقول :

(١) الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله . وهو على دجلة بينه وبين
سامراء ميل .
(٢) يحتمل جدا أن تكون : « تفضي » .

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ * أَمْ سَالَ بِالصُّبْحِ سَيْلٌ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ^(١) * وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ

فأبى كل من كان في القافلة، ومات مع السَّحَر، فُرِفِن في ذلك المنزل على مرحله
من حلب .



ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل

صوت

إِنَّ النَّاسَ غَطَّوْنِي تَغَطَّتْ عَنْهُمْ * كَرُّ إِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ^(٢)
وإِنْ حَقَرُوا يَرَى حُفْرَتِ بَنَاتِهِمْ * فَسَوْفَ تَرَى مَاذَا تُشِيرُ النَّبَاتُ

الشعر لأبي دلامة . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل، ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن المعتز .

(١) دجيل : نهر يخرج من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامراء .

(٢) النبات : جمع نبئة ، وهي تراب البئر .

أخبار أبي دلّامة ونسبه

- أبو دلّامة زَند بن الجَوْن . وأكثُرُ الناس يُصحِّفُ اسمَه فيقول "زَيد" بالياء ،
وذلك خطأ ، وهو زَند بن النون . وهو كوفِّي أسودٌ ، مولَى لَبْنَى أَسَدَ ، كان أبوه - بدأ
لرجل منهم يقال له فضا فض فاعته - أدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم
نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، وأتقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور
والمهدي ، فكانوا يقدّمونه ويصلونه ويستطيون مجالسته ونوادره . وقد كان أتقطع
إلى رُوح بن حاتم المُهَلَّبِيّ أيضًا في بعض أيامه . ولم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل
إلى أبي دلّامة من المنصور خاصّة . وكان فاسد الدين ، ردى المذهب ، مرتكباً
للمحارم ، مُضَيِّعاً للفروض ، مجاهرّاً بذلك ، وكان يُعلم هذا منه ويُعرف به ، فيتجافى
عنه لِلطَّيفِ محمّله . وكان أوّل ما حُفِظَ من شعره وأُسْنِيتِ الجوائز له به قصيدة
مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم . فأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار
قال حدّثنى محمد بن داود بن الجراح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيب قال :
لَمَّا قال أبو دلّامة قصيدته في قتل أبي مسلم التي يقول فيها :
أبا مُسلمٍ خَوَّفَتْنِي القَتْلَ فَأُتَيْتُ * عليك بما خَوَّفَتْنِي الأَسَدُ الْوَرْدُ
أبا مُسلمٍ ما غَيَّرَ اللهُ نعمةً * على عبده حتى يغيّرها العبدُ
اشدّها المنصور في تحفيل من الناس ، فقال له : أحكم . قال : عشرة آلاف درهم ،
فأمر له بها . فلما خلا به قال له : إياه ! أما والله لو تعدّيتها لقتلتك .
أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدّثنى علي بن مُسلم عن أبيه قال :
سمّي لي أبو دلّامة نفسه زَنداً (بالنون) ابن الجَوْن . وأسلم مولاه فضا فض ، وله
أيضاً شعر ، وكان في الصحابة .

نسبه وهو مولى
لبنى أسد وكان
فاسد الدين متمكناً

أول شعر عرف به
١٢١
٩

١٠

١٥

٢٠

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر
ابن الحسين المهلبّي قال :

أعفاء المنصور
من لبس السواد
والقلانس دون
اللباس

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانسٍ طوال تدعم
بعيا إني من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم :
(فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزيّ ، فقال
له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شرّ حال ، وجهي في نصفي ، وسيفي في آسفي ،
وكتاب الله وراء ظهري ، وقد صبغت بالسواد ثيابي ، فضحك منه وأعفاه وحده
من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد .

ونسخت من كتاب لابن النطاح فذكر مثل هذه القصة سواءً وزاد فيها :
وكنّا نربّي من إمام زيادة * بخاد بطول زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها * دنان يهود جالّت بالبرانس
فضحك منه وأعفاه .

أخبرني علي بن سليمان الأنخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني
الجاحظ قال .

طلب من المنصور
أو السفاح ، كلب
صيد ثم تدرج
في الطلب إلى أشياء
كبيرة

كان أبو دلامة بين يدي المنصور واقفاً — وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة
أنه كان واقفاً بين يدي السفاح — فقال له : سلني حاجتك . قال أبو دلامة : كلب
أتصيده . قال : أعطوه إياه . قال : ودابة أتصيده عليها . قال : أعطوه . قال : وغلام
يصيد بالكلب ويقوده . قال : أعطوه غلاماً . قال : وجارية تُصلح لنا الصيد وتطعمنا
منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بدّ لهم من دار
يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : فإن لم تكن لهم ضيعة فن أين

يعيشون ! قال : قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نبات فيه . فقال : قد أقطعك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد . فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة . قال : فأذن لي أن أقبل يدك . قال : أما هذه فدعها . قال : والله ما منعت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها . قال الجاحظ : فأنظر إلى حدقه بالمسالة ولطفه فيها : ابتدأ بكلب فسئل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة ، حتى نال ما لو سأل بهية لما وصل إليه .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السُّكْرِيُّ عن محمد بن حبيب قال :
 اسم أبي دلامة زُندُ بالنون ، ومن الناس من يرويه بالياء ، وكُنِيَ أبا دلامة باسم جبل بمكة ١٢٢
 بمكة يقال له أبو دلامة ، كانت قريش تتد في البنات في الجاهلية ، وهو بأعلى مكة .
 وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني عمي
 قال حدثني الشُّكْرَانِيُّ عن العُمَيْرِيِّ عن الهَيْثَمِ قال :

أنشد المنصور
 شعرا فأجازه

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَانْتَجَعُوا * وَزَوَّدَكَ خَبَالًا بئس ما صنعوا
 والله يعلم أن كادت لينهم * يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
 عجبت من صبيتي يوماً وأُمهم * أمَّ الدَّلَامَةِ لِمَا هاجها الجزع
 لا بارك الله فيها من منبهة * هبت تلوم عيالي بعد ما هجعوا
 ونحن مُسْتَنهِو الألوان أوجهنا * سود قباح وفي أسمائنا شنع
 إذا تشككت إلى الجوع قلت لها * ما هاج جوعك إلا الرى والشنع

(١) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستمئة ذراع ، وقيل : عشرة آلاف ذراع . (٢) كان الأنفل
 أن يكون «أجدرا البين فانتجعوا» ليتفق الضميران . على أنه يجوز أن يكون ضمير «الخليط» مفردا وجمعا .

— وَيُرَوَّى وَهُوَ الْجَيِّدُ :

أَذَابَكَ الْجُوعُ مُذْ صَارَتْ عِيَالُنَا * عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْهُ الرَّيُّ وَالشَّبَعُ —
لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى * لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرِّفْعُ
مَا زِلْتُ أَخْلِصُهَا كَسْبِي فَنَأْكُلُهُ * دُونِي وَدُونِ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ
شَوْهَاءُ مَسْنَأَةً فِي بَطْنِهَا تَجَلُّ * وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعِ
ذِكْرُهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حُرْمَتَنَا * وَلَمْ تَحْكَنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَتَنَفَّعُ
فَاخْرَنْطَمْتُ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُغَضَّبَةٌ * أَنْتِ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا لُكْعُ
أُخْرِجْ لَيْتَنِي لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً * كَمَا لِحَيْرَانَا مَالٌ وَمَزْدَرَعُ
وَأَخَذَ خَلِيفَتُنَا عَنْهَا بِمَسْأَلَةٍ * إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدَعُ

- ١٠ فضحك أبو جعفر وقال: أرضوها عني وأكتبوا له بمائتي جريب عامرة ومائتي جريب غامرة — وقال الهيثم: بستمائة جريب عامرة وغامرة — فقال له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب عامرة فيما بين الحيرة والنجف، وإن شئت زدتك. فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة .

١٥ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الطَّلَاسِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :

شَهِدَ أَبُو دُلَامَةَ بِشَهَادَةِ بِلَّارَةٍ لَهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَلَى أَنْتَانِ نَازِعِي فِيهَا رَجُلٌ .
فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الشَّهَادَةِ قَالَ : اسْمِعْ مَا قُلْتُ فَيْكَ قَبْلَ أَنْ آتِيَكَ ثُمَّ أَقِضْ مَا شِئْتَ .
قَالَ : هَاتِ ، فَأَنْشَدَهُ :

شهد عند ابن أبي ليل
بلارة له وقال شعرا
فأماضي ابن أبي ليل
شهادته

- (١) الثجل : عظم البطن واسترخاؤه . والفدع : الاعوجاج . (٢) اخرنطمت : رفعت أنفها واستكبرت وغضبت . (٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فاضى الكوفة . أول من استقضاء على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي واستقضاء بعد ذلك بنو العباس .

إِنَّ النَّاسَ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ * وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
وَإِنْ حَقَرُوا بَثْرَى حَفَرْتُ بِثَارِهِمْ * لِيُعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تِلْكَ النَّبَاحِثُ.

ثم أقبل على المرأة فقال : أَتَبِيعِينِي الْآنَ ؟ قالت نعم . قال : بِكُمْ ؟ قالت :
بِمِائَةِ دِرْهَمٍ . قال : ادْفَعُوهَا إِلَيْهَا ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبته لك ،
وقال لأبي دلّامة : قد أَمْضَيْتُ شَهَادَتَكَ ولم أبحث عنك ، وأبتعتُ مِمَّنْ شَهِدَتْ
له ، ووهبتُ مِلْكَى لِمَنْ رَأَيْتُ . أَرْضَيْتَ ؟ قال نعم ، وأنصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال
حدثنا محمد بن سَلَامٍ عن عليّ بن إسماعيل قال :

كنتُ أَسْقِي أبا دُلّامَةَ والسَّيِّدَ ، إِذْ خَرَجْتُ بِنْتُ لَأْبَى دُلّامَةَ ، فَقَالَ فِيهَا
أَبُو دُلّامَةَ :

فَمَا وَلَدَتْكِ مَرْيَمُ أُمَّ عَيْسَى * وَلَا رَبَّاءُكَ لُقْمَةُ الْحَكِيمِ
أَحْزَيْتُ أَبَا هَاشِمٍ . فَقَالَ السَّيِّدُ :

وَلَكِنْ قَدْ تَضَمُّكِ أُمُّ سَوَّءٍ * إِلَى لَبَّائِهَا وَأَبُ لَثِيمٍ

فَضَحِكَ لَذَلِكَ . ثُمَّ غَدَا أَبُو دُلّامَةَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَأَلْفَاهُ فِي الرَّحْبَةِ يُصَلِّحُ فِيهَا شَيْئًا
يُرِيدُهُ ، فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ بِنْتِهِ وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ ، ثُمَّ أَنْدَفَعَ فَأَنْشَدَهُ بَعْدَهُمَا :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرِيمٍ * قَوْمٌ لَقِيلَ أَقْعِدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ

ثُمَّ آرْتَقُوا فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمْ * إِلَى السَّمَاءِ فَاتَمَّ أَظْهَرُ النَّاسِ

وَقَدَّمُوا الْقَائِمَ الْمَنْصُورَ رَأْسَكُمْ * فَالْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأُذُنَانِ فِي الرَّاسِ

(١) كذا في ح . وفي سائر النسخ : « السندى » . وقد رجحنا رواية ح لأن أبا هاشم كنية السيد
الجمري . وسيأتي في الصفحة التالية هذا الخبر بين أبي دلّامة وأبي عطاء السندى . قلعل ذلك هو الذي أوقع
النساخ في هذا اللبس .

شرب مع السيد
الجمري أبا عطاء
السندى فذم ابنته
وأخبر المنصور
فاكرمه

١٢٣
٩

١٠

١٥

٢٠

فَأَسْتَحْسِنُهَا، وَقَالَ لَهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ تَحِبُّ أَنْ أُعِينَكَ عَلَى قُبْحِ ابْنَتِكَ هَذِهِ؟ فَأَخْرَجَ
نَخْرِيَّةً قَدْ كَانَ خَاطُهَا مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : تَمَلَّأْ لِي هَذِهِ دَارَهُمْ، فَمَلِئْتُ فَوْسَعْتُ أَرْبَعَةَ
آلَافٍ دِرْهَمٍ .

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعُمَرِيُّ عَنْ الْمُهَيْمَنِ
ابْنِ عَدِيٍّ قَالَ :

دَخَلَ أَبُو عَطَاءٍ السَّنْدِيُّ يَوْمًا إِلَى أَبِي دُلَامَةَ مَا حَتَبَسَهُ عِنْدَهُ، وَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلَا
وَشَبِعَا، وَخَرَجَتْ إِلَى أَبِي دُلَامَةَ صَبِيَّةٌ لَهُ فَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ، فَبَالَتَ عَلَيْهِ فَنَبَذَهَا عَنْ
كَتِفِهِ، ثُمَّ قَالَ :

بَلَّغْتُ عَلَى - لِأَخِيَّتِي - ثَوْبِي * فَبَالَ عَلَيْكَ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ
فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمٌ أُمُّ عِيسَى * وَلَا رَبَّكَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ

ثُمَّ آتَيْتُ إِلَى أَبِي عَطَاءٍ فَقَالَ لَهُ : أَجِزْ . فَقَالَ :

صَدَقْتَ أَبَا دُلَامَةَ لَمْ تَلِدْهَا * مُطَهَّرَةٌ وَلَا فَحْلٌ كَرِيمٌ
وَلَكِنْ قَدْ حَوَّيْتُهَا أُمُّ سَوَاءٍ . إِلَى لَبَّائِهَا وَأَبُ لَثِيمٍ

فَقَالَ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ : عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ! مَا حَبَلَكَ عَلَى أَنْ بَلَغْتَ بِي هَذَا كُلَّهُ ! وَاللَّهِ
لَا أَنَا زَعَكَ بَيْتَ شَعْرٍ أَبَدًا . فَقَالَ أَبُو عَطَاءٍ : لِأَنْ يَكُونَ الْهَرَبُ مِنْ جَهَنَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :

لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَالنَّاسُ عِنْدَهُ يُعْزُونَهُ ؛
فَانْشَأَ أَبُو دُلَامَةَ يَقُولُ :

أُمْسَيْتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرِهَا تَحْوِيلًا
وَبَلَى عَلَيْكَ وَوَيْلَ أَهْلِ كُلِّهِمْ * وَيْلًا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا

رَأَى السَّفَّاحَ عِنْدَ
الْمَنْصُورِ فَغَضِبَ
وَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ إِلَى
الْحَرْبِ فَاسْتَرْضَاهُ

فَلْتَبْكِينَ لَكَ النِّسَاءُ بَعْبَرَةً * وَلْيَبْكِينَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلًا

مات الندى إذ مُتَّ يابن مجد * فجعلته لك في الثراء عديلا^(١)

إني سألت الناس بعدك كلهم * فوجدت أسمع من سألتُ بخيلا

أليشوقني أئثرتُ بعدك للتي * تدعُ العزيز من الرجال ذليلا

فلا تخلفنَّ يمينَ حقِّ برة * بالله ما أُعطيتُ بعدك سُولا^(٢)

١٢٤
٩

قال : فأبكي الناس قوله . فغضب المنصور غضباً شديداً وقال : ائن سمعتك تُشددُ

هذه القصيدة لأقطعنَّ لسانك . فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس

أمير المؤمنين كان لي مُكرِّماً وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ،

فقل كما قال يوسف لإخوته : (لَا تَثْرِيْبَ ، عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

فسرَّى عن المنصور وقال : قد أفلناك يا أبا دلامة ، فسأل حاجتك . فقال : يا أمير

المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم ونحسين ثوبا وهو مريض

ولم أقبضها . فقال المنصور : ومن يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى

جماعة ممن حضر . فوثب سليمان بن جُبالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة ،

نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيط : يا سليمان أدفعها إليه

وسيره إلى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن علي) ، وقد كان خرج بناحية الشام ،

وأظهر الخلاف) . فوثب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أعيدك بالله أن أخرج

معهم ، فوالله إني لمشئوم . فقال المنصور : امض فإن يُمْنِي يَغْلِبُ شُؤْمَكَ فأنخرج .

(١) الثراء : لغة في الثرى . وسيرد في الصفحة التالية رواية أخرى : « بالتراب » . (٢) السول

(يهمز ولا يهمز) : ما سأله . (٣) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور ،

خرج عليه سنة ست وثلاثين ومائة ودعا لنفسه ؛ فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني ووقعت له معه وقعة

هائلة دارت فيها الدائرة أخيرا على عبد الله .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجربَّ ذلك منى على مثل هذا العسكر؛
فإني لأدري أيهما يَغْلِبُ : أَيْمُنُكَ أم شَوْمِي ، إلا أنى بنفسى أوثق وأُعرفُ وأطولُ
تجربةً . قال : دَعْنِي من هذا فَمَالِكَ من الخروج بَدْ . فقال : إني أَصْدُقُكَ الآنَ ، شَهِدْتُ
والله تسعةَ عشرَ عسكرًا كُلُّها هُزِمَتْ ؛ وَكُنْتُ سَبِيهَا . فإن شئتَ الآنَ على بصيرةٍ
أن يكونَ عسكرُكَ العشرين فافْعَلْ . فَأَسْتَغْرِبُ أَبُو جَعْفَرٍ ضَحِكًا ، وأمره أن يتخلفَ
مع عيسى بن موسى بالكوفة .^(٢)

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال :
لما مات أبو العباس السفاح وولي المنصور ، دخل عليه أبو دُلَامة ، فقال له
أبو جعفر : أَلَسْتَ القاتِلَ لأبي العباس :

أغضب المنصور
لكثرة مدحه
السفاح

وَكُنَّا بالخليفة قد عَقَدْنَا * لِوَاءِ الأَمْرِ فَأَنْتَقِضَ اللِّوَاءُ
فَنَحْنُ رَعِيَّةٌ هَلَكَتْ ضَيَاعًا * تَسُوقُ بِنَا إِلَى الفِتَنِ الرِّوَاءُ
قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كَذَبْتَ والله ! أَفَلَسْتَ القاتِلَ :
هَلَكَ النَّدَى إِذْ بَنَتْ يَا بَنُ مُحَمَّدٍ * بِفَعْلَتِهِ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلًا
ولقد سألتُ النَّاسَ بِعَدِكَ كُلِّهِمْ * فَوَجَدْتُ أَكْرَمَ مَنْ سَأَلْتُ بِجِيلَا
ولقد حَلَفْتُ عَلَى يَمِينٍ بَرَّةٍ * بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بِعَدِكَ سُولا

١٥

فقال أبو دُلَامة : إِنَّ أَخَاكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى صَبْرِي ، وَسَلْبِي عَزِيمَتِي ، وَعَزَّتِي
بِإِحْسَانِهِ إِلَى وَجْزِي عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ مَا لَمْ أَتَأَمَّلْهُ ، وَإِنِّي أُرْغَبُ فِي الثَّنِ فَأَسْتَفِرَّهُ
السَّلْعَةَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، فَإِنْ أُعْطِيتُ مَا أُعْطِيَ ، أَخَذْتُ مَا أَخَذَ ، فَأَمْرٌ بِهِ خُفِيسٌ ثَلَاثًا
ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ فَوَصَّلَهُ ، ثُمَّ حَادَ لَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .

(١) أى أكثر من الضحك وبالغ فيه . (٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي
العباسي أمير الكوفة . وكان ولي عهد المنصور بعهد من السفاح ثم قدم المنصور عليه في ولاية العهد ابنة المهدي ،
ثم خلفه المهدي من ولاية العهد .

٢٠

أمره روح بن
حاتم بمبارزة
خارجي نخدعه

١٢٥
٩

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدثني
أبو دلالة قال :

أتى بي المنصورُ أو المهديُّ وأنا سكران ، خلّف ليُخْرِجَنِي في بَيْتِ حَرْبٍ ، فأخرجني
مع رَوْح بن حاتم المهلبيّ لِقِتَالِ الشُّرَاةِ ^(١) . فلما آلتني الجمعان قلت لروح : أما والله
لو أن تحتي فرسك ومعى سلاحك لأبُتُّ في صدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك
وقال : والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك ، ولأخذنّك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن
فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك
في يدي وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ،
وقد قلت بيتين فأسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

إني أستجرك أن أقدم في الوغى * ليطاعن وتنازل ويضرب
فهب السيوف رأيتها مشهورة * فتركها ومضيت في الهرب
ماذا تقول لما يحيى وما يُرى * من واردات الموت في النشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : اخرج
إليه يا أبا دلالة . فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي . قال : والله لتخرجن .
فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع
ما شبعت مني جارحة من الجوع ، فمُر لي بشيء أكله ثم اخرج . فأمر لي برغيفين
ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رأني الشاري أقبل نحوى عليه
فرو وقد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فأقفعل ^(٢) وعيناه تقدان ، فأسرع إلى .

(١) هوروح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلا
شجاعا جوادا . (٢) الشراة : الخوارج . (٣) كذا في ح . واقفعل : تقبض .
وفي سائر النسخ : « فاقفعل » ، هو تحريف .

فقلت له : على رِسْلِكَ يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت : أقتل مَنْ لا يقاتلك ؟ قال لا . قلت : أقتل رجلاً على دينك ؟ قال لا . قلت : أفستحلُّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، فأذهب عني إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قطُّ عداوة أو ترة ، أو تعرفني بحالٍ تُحفظك علي ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي ، وإني لأهواك وأتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أرادك . قال : يا هذا جزاك الله خيراً فأنصرف . قلت : إن معي زاداً أحبُّ أن أكله معك ، وأحبُّ مَوَاكِلِكَ لتتوَكَّد المسودةُ بيننا ، ويَري أهلُ العسكر هوانهم علينا . قال : فأفعل . فتقدَّمتُ إليه حتى اختلفتُ أعناق دوابِّنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا صَحَّحَا . فلما استوفينا ودَّعني . ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتبعني وتتعب . فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلتُ ، ثم أنصرف وأنصرفت . فقلت لروح : أما أنا فقد كنتُ بك قِرني فقل لغيري أن يكفيك قِرنه كما كفيتك ، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البراز ، فقال لي : انخرج إليه . فقلت : ^(١)

- ١٠ إني أعوذ بروح أن يقدمني * إلى البراز فتخزي بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقرباء أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفك المنايا إذ صمدت لها ^(٢) * وأصبحت للجمع الخلق بالرصد

(١) وردت هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان هكذا :

- ٢٠ إني أعوذ بروح أن يقدمني * إلى القتال فيخزي بي بنو أسد
إن المهلب حب الموت أوثقكم * ولم أرث أنا حب الموت من أحد
إن الدوق إلى الأعداء أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
(٢) في الأصول : « إن صمدت » وهو تحريف .

إِنَّ الْمَهْلَبَ حُبُّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ * وَمَا وَرِثْتُ اخْتِيَارَ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ
لَوْ أَنَّ لِي مَهْجَةً أُخْرَى لَجُدْتُ بِهَا * لَكِنِّي خَلَقْتُ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ
فَضِيحَكَ وَأَعْفَانِي .

أمره مروان
ابن محمد بمبارزة
خارجي فخرمه
١٢٦-
٩

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلالة :

كُنْتُ فِي عَسْكَرِ مَرْوَانَ أَيَّامَ زَخَفٍ إِلَى سِنَانِ الْخَارِجِيِّ ، فَلَمَّا تَقَى الزُّحْفَانُ
خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فَنَادَى : مَنْ يَبَارِزُ ! فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْجَلَهُ وَلَمْ يَنْهَيْهِ ، فَنَظَرَ
ذَلِكَ مَرْوَانَ وَجَعَلَ يَنْدُبُ النَّاسَ عَلَى تَحْسِيئَةٍ ، فَقَتَلَ أَصْحَابَ الْخُمْسِيَّةِ ، فَزَادَ
مَرْوَانُ وَنَدَبَهُمْ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُمْ حَتَّى بَلَغَ خُمْسَةَ آلَافٍ دَرَاهِمٍ . وَكَانَ تَحْتَى
فَرَسٌ لَا أَخَافَ خَوْنَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِالْخُمْسَةِ آلَافِ تَرْقِيَتِهِ وَأَقْتَحَمَتْهُ الصِّفِّ ، فَلَمَّا
نَظَرَنِي الْخَارِجِيُّ عَلِمَ أَنِّي خَرَجْتُ لِلطَّمَعِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ مُتَهَيِّئًا وَإِذَا عَلَيْهِ فَرَسٌ قَدْ أَصَابَهُ
الْمَطَرُ فَأَبْتَلَّ ، ثُمَّ أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ فَأَقْفَعَلَّ ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَقِيدَانِ كَأَنَّهُمَا مِنْ غُورِهِمَا
فِي وَقَبَيْنِ (١) ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي أَنشَأَ يَقُولُ :

وَخَارِجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعِ * قَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ
* مَنْ كَانَ يَنْتَوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ *

فَلَمَّا وَقَرْتُ فِي أَذُنِي أَنْصَرَفْتُ عَنْهُ هَارِبًا . وَجَعَلَ مَرْوَانُ يَقُولُ : مَنْ هَذَا الْفَاضِحُ ؟
إِيتُونِي بِهِ ، فَدَخَلْتُ فِي غِمَارِ النَّاسِ فَتَجَوَّتُ .

أعطاه موسى
ابن داود مالا
ليجئ معه فهرب
إلى السواد وسك
ما لا

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال
حدثنا جعفر بن الحسين اللهي قال :

(١) يعني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . (٢) نهجه : كفه وزجره . وسياق الكلام
يقتضي أن يكون « ولم يمهله » . (٣) في الأصول : « عن » . (٤) هذه لغة ضعيفة
وأفصح اللغات : « بخمسة الآلاف » . (٥) ترقبته : رصده . (٦) الوقب هنا : قفرة
في الجبل يجتمع فيها الماء .

(١) عززم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج . فقال لأبي دلامة : اجمع معي
ولك عشرة آلاف درهم . فقال : هايتها ، فدفعته إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد ،
فجعل ينفقها هناك ويشرب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشي قوت الحج
نفريج . فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى أخرى
وهو سكران ، فأمر يأخذه وتقييده وطرحه في سجن بين يديه ففعل ذلك به . فلما
سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه :

يأيها الناس قولوا أجمعون معاً * صلى الإله على موسى بن داود
كأن ديباً جنى خذبه من ذهب * إذا بدا لك في أثوابه السُّود
لأني أعبد بداود وأعظمه * من أن أكلف حجاً يأبى داود
خبرت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربني بتصيد (٢)
والله ما في من أجرت طلبه * ولا الشئ على ديني بمحمود
فقال موسى : ألتقوه لعنه الله عن التحمل ودعوه ينصرف ، فألقي وعاد إلى قصفه
بالسواد ، حتى نفذت عشرة آلاف درهم . (٣)

أخبرني الحرقي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللهي ،
وأخبرني عمي عن الكرائي عن العمري عن الهيثم بن عدي قال : (٤)
قال أبو أيوب المورياني لأبي جعفر ، وكان يشنأ أبا دلامة ، : إن أبا دلامة
معتكف على الخمر فما يحضر صلاة ولا مسجداً ، وقد أفسد فتیان العسكر . فلو أمرته

أمره المنصور
بملازمة الجماعة
في مسجد القصر
فقال شعرا يستعفيه

(١) هو ابن عم السفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده
موسى . فاستعمل السفاح خاله زيادا على مكة ، وموسى بن داود هذا على إمرة المدينة .
(٢) في الأصول : « خارج » . (٣) في الأصول المخطوطة : « أجمعين » .
(٤) صرد شربه : قطعه . (٥) راجع الحاشية رقم ٤ في الصفحة السابقة .
(٦) كذا في - . وفي سائر الأصول : « قال » وهو تحريف .

بالصّلة معك لأجرت فيه وفي غيره من فتيان عسكريك بقطعه عنهم . فلما دخل عليه أبو دلّامة قال له : يا بن النّناء ، ما هذا الجوّن الذي يبلغني عنك ! . قال أبو دلّامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد شارفتُ بابَ قبري ! . قال : دعني من استكانتك وتضرّعك ، وإياك أن تفوتك صلاةُ الظهر والعصر في مسجدي . فلئن فاتتاك لأحسِن أدبَكَ ولأطيلن حبسَكَ . فوقع في شرّ ولزِم المسجد أياماً ، ثم كتب قصّته ^{١٢٧} ودفعها إلى المهديّ فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها :

ألم تعلمي أنّ الخليفة لَزَنِي ^(١) * بمسجده والقصر مالى وللقصر !
أصَلّي به الأولى جميعاً وعصرها * فويلى من الأولى وويلى من العصر ^(٢)
أصليهما بالكُره في غير مسجدي * فإلى في الأولى ولا العصر من أجر
لقد كان في قومي مساجدُ بحمة * سواء ولكن كان قدراً من القدر
يكلفني من بعد ما شئتُ حُطّة * يحطُّ بها عني الثّقل من الوزر
وما ضرّه والله يغفر ذنبه * لو آت ذنوب العالمين يهلى ظهري
قال : فلما قرأ المنصور قصّته ضحك وأباه من الحضور معه ، وأخلفه أن يصليّ الصلاة في مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبير عن عمّه ،
ونسختُ من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخزاز عن أبيه عن الهيثم بن عديّ ^(٣)
وروايته بعض من روى عن الزُّبير .

أنّ أبا جعفر كان يحبُّ العبثَ بأبي دلّامة — وقال الآخر : إنّ أبا العباس السّفّاح
كان يحب ذلك — فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت الخمارين لا فضّل فيه . فعاتبه

٢٠ (١) لزه بكذا : أزمه أياه . (٢) في ج : « وصى » . (٣) في ح : « الخرزى » .
وفي ٢٠ : « الخرازى » .

على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّيَ . فعلم أنه يُحَاجِرُهُ ،
فأمر الربيع أن يوكل به من يُحَضِّرُهُ الصلوات معه في جماعة في الدار . فلما طال
ذلك عليه قال :

- ألم تَرَيَا أَنْتَ الْخَلِيفَةَ لَزَّنِي * بِمَسْجِدِهِ وَالْقَصِيرَ مَالِي وَالْقَصْرَ !
فقد صَدَّنِي عَنْ مَسْجِدِ اسْتَلَذُّهُ * أَعْلَى فِيهِ السَّمْعُ وَبِالْخَمْرِ
وَكَلَّفَنِي الْأَوَّلَى جَمِيعاً وَعَصَرَهَا * فَوَيْلِي مِنَ الْأَوَّلَى وَعَوَّلِي مِنَ الْعَصْرِ
أَصْلَاهُمَا بِالكَرْهِ فِي غَيْرِ مَسْجِدِي * فَمَالِي مِنَ الْأَوَّلَى وَلَا الْعَصْرِ مِنْ أَجْرِ
يَكْلَفَنِي مِنْ بَعْدِ مَا شَبْتُ تَوْبَةً * يَحِطُّ بِهَا عَنِ الْمَثْقِيلِ مِنْ وَزْرِي
لَقَدْ كَانَ فِي قَوْمِي مَسَاجِدُ بَحْمَةٍ * وَلَمْ يَنْشَرْحْ يَوْمًا لِفِشْيَانِهَا صَدْرِي
وَوَاللَّهِ مَالِي نِيَّةٌ فِي صَلَاتِهِ * وَلَا الْبِرُّ وَالْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ مِنْ أَمْرِي
وَمَا ضَرَّهُ وَاللَّهُ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ * لَوْ أَنَّ ذُنُوبَ الْعَالَمِينَ عَلَى ظَهْرِي

- فبلغته الأبيات فقال : صدق ! ما يضرني ذلك ، والله لا يصلح هذا أبداً ، فدَعُوهُ
يَعْمَلْ مَا يَشَاءُ . وقال الهيثم في خبره : فقال له أبو جعفر : قد أعفيناك من هذه الحال ،
ولكن على ألا تدعَ القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أَظْلَمَ^(٢) . فقال : أفعل . قال :
إنك إن تأثرت لشرب الخمر علمت ذلك . ووالله لئن فعلت لأحدنك . فقال أبو دُلَامَةَ :
البلية في شهر أصلح منها في طول الدهر ، سمياً وطاعةً . فلما حضر شهر رمضان
لزم المسجد . وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يحمي به ؛ فشق ذلك عليه ،
وفزع إلى الخيزران وأبى عبيد الله وكل من كان يلوذ بالمهدي ليشقوا له في الإعفاء

أثره المنصور
بالقيام شهر رمضان
فكتب إلى ربيعة
شعرا يستشفع بها
للهدي

- (١) يعني : يخلص منه ويتحلل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه . (٢) أظلم : غشى وأشرف
وأقبل . (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير . كان من رجالات
المنصور ثم المهدي . عزله المهدي عن الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ هـ

من القيام ، فلم يُجِبه . فقال له أبو عبيد الله : الدالُّ على الخير كفاعله ، فكيف
شُكرك ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك رِيطَةٌ ^(١) فإنه لا يخالفها . قال : صدقت ، الله ،
ثم رفع إليها رُقعةً يقول فيها :

١٢٨
٩

أبلغَ رِيطَةَ أُنَى * كنتُ عبداً لأبيها
فمضى يرحمه الله * له وأوصى بي إليها
وأراها نَسِيتُنِي * مثلَ نسيانِ أخيها
جاء شهر الصَّومِ عِشَى * مِشْيَةً ١٠ أَشْتَمِهَا
فائدًا لي ليلةَ القَدْرِ * رِكَائِي أَشْتَمِهَا
تَنَطَّحُ القِبْلَةَ شَهْرًا * جَبَّهَتِي لَا تَأْتِلِهَا
ولقد عشتُ زمانًا * في فَيَافِيٍّ وجيها
في لِيَالٍ من شتاءٍ * كنتُ شيخًا أَصْطَلِمِهَا
قاعدًا أوقِدُ نَارًا * لِضَبَابٍ أَشْتَوِهَا
وصَبُوحٍ وَغَبُوقٍ * في عِلَابٍ ^(٢) أَحْتَسِهَا
ما أبالي ليلةَ القَدْرِ * رَ وَلَا تُسْمِعْنِيهَا ^(٣)
فاطلبي لي فرجًا من * عِهَا وَأَجْرِي لَكَ فِيهَا

١٠

١٥

فلما قرأت الرُقعةَ ضَحِكَتُ وأرسلتُ إليه : اصْطَبِرْ حَتَّى تَمُضِيَ لَيْلَةُ القَدْرِ . فكتب
إليها : إني لم أسألك أن تكلميه في إعفائي عامًا قابلاً ؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد
فَنِيَ الشَّهْرُ . وكتب تحتها أبياتا :

(١) رِيطَةٌ : هي ابنة الخليفة أبي العباس السفاح وزوجة المهدي . (٢) العِلَاب : جمع

علبة وهي قدح ضخم من جلود الإبل أو هي قدح من خشب . (٣) لا هنا نافية ، وهو خبر
يراد به النهي .

- خَافِي إِلَهِيكَ فِي نَفْسٍ قَدْ آخَضَرَتْ * قَامَتْ قِيَامَتُهَا بَيْنَ الْمُصَلِّينَ
 مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنْ هَمٍّ فَأُطْلِبَهَا * إِنِّي أَخَافُ الْمَنَايَا قَبْلَ عَشْرِينَا
 يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَدْ كَثُرَتْ أَرْجُلُنَا * يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ حَقًّا مَا تُمَنِّينَا! ؟
 لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي خَيْرٍ أَوْمَلُهُ * فِي لَيْلَةٍ بَعْدَ مَا قَمْنَا ثَلَاثِينَ
 فَلَمَّا قَرَأْتُ الْآيَاتَ نَحِكَتُ ، وَدَخَلْتُ إِلَى الْمَهْدِيِّ فَشَفَعْتُ لَهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْشَدْتُهُ
 الشَّعْرِينَ ، فَضَحِكَ حَتَّى أَسْتَلَقِي ، وَدَعَا بِهِ وَرَيْطَةً مَعَهُ فِي الْمَجْلَةِ ^(١) فَدَخَلَ ؛ فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ
 إِلَيْهِ وَقَالَ : قَدْ شَفَعْنَا رَيْطَةَ فَيْكِ ، وَأَمَرْنَا لَكَ بِسَبْعَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ . فَقَالَ : أَمَّا شَفَاعَةُ
 سَيِّدَتِي فِي حَتَّى أَعْفَيْتَنِي فَأَعْفَاهَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ . وَأَمَّا السَّبْعَةُ الْآلَافُ فَمَا أَعْجِبُنِي مَا فَعَلْتَهُ ؛
 إِنَّمَا أَنْ تُتِمَّهَا بِثَلَاثَةِ آلَافٍ فَتَصِيرَ عَشْرَةٌ ، أَوْ تَنْقُصُنِي مِنْهَا أَلْفَيْنِ فَتَصِيرَ خَمْسَةُ آلَافٍ ،
 فَإِنِّي لَا أَحْسِنُ حِسَابَ السَّبْعَةِ . فَقَالَ : قَدْ جَعَلْتُهَا خَمْسَةً . قَالَ : أَعِيدْكَ بِاللَّهِ أَنْ
 تَخْتَارَ أَدْنَى الْحَالَيْنِ وَأَنْتِ أَنْتِ . فَعَبِثَ بِهِ الْمَهْدِيُّ سَاعَةً ثُمَّ تَكَلَّمْتُ فِيهِ رَيْطَةً فَأَتَمَّهَا
 لَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٍ .

- أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
 مَرَّ أَبُو دُلَامَةَ بِخَنَاسٍ يَبِيعُ الرِّقِيقَ ، فَرَأَى عِنْدَهُ مِنْهُنَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٌ ،
 فَانْصَرَفَ مَهْمُومًا ، فَدَخَلَ إِلَى الْمَهْدِيِّ فَأَنْشَدَهُ :

أَنشَدَ الْمَهْدِيُّ شَعْرَهُ
 فِي نَحَّاسٍ فَضَحِكَ
 مِنْهُ

- إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعَيْشَ حُلُولًا صَافِيًا * فَالشَّعْرَ أَعْرِزْ بِهِ وَكُنْ نَحَّاسًا
 تَتَلَّى الطَّرَائِفَ مِنْ ظُرَافٍ مُنْهَدٍ .. يُخَدِّثُنَ كُلَّ عَشِيَّةٍ أَعْرَاسًا
 وَالرَّبْحُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ رَاهِبٌ * سَمَحًا بَيْنَعَكَ كُنْتَ أَوْ مَكَّاسًا ^(٢)
 دَارَتْ عَلَى الشَّعْرَاءِ حِرْفَةُ نَوْبَةٍ ^(٣) * فَتَجَزَّعُوا مِنْ بَعْدِ كَأْسٍ كَاسَا

١٢٩
 ٩

- (١) المجلة : بيت يزين بالثياب والأمرة والستور . (٢) مكس في البيع يمكس (من باب ضرب) : نقص الثمن . والمراد هنا المشاحة في البيع والشراء . (٣) لعل صوابها : « نوبة حرفة » .

وَتَسْرَبُلُوا قُمَصَ الْكَسَا حَاوِلُوا * بِالنَّخْسِ كَسْبًا يَذْهَبُ الْإِفْلَاسَا
بِفَعْلٍ الْمَهْدَى يَضْحَكُ مِنْهُ .

لنق وريا المنصور
وأخذ منه ثيابا

نسخت من كتاب ابن النطاح قال :

دخل أبو دلالة على المنصور فأنشده :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي * ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي

فَكَانَ بِنَفْسِي جُلِّي الْحَزَّ فِيهَا * وَسَاجٌ نَاعِمٌ فَأَتَمَّ زَيْنِي ^(١)

فَصَدَّقَ بِأَقْدَتِكَ النَّفْسُ رُؤْيَا * رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي ^(٢)

فأمر له بذلك وقال له : لَا تَعُدْ أَنْ تُتَحَلَّمَ عَلَى ثَانِيَةٍ ، فَأَجْعَلَ حُلْمَكَ أَضْعَافًا وَلَا أُحَقِّقَهُ . ^(٣)

حبسه المنصور
لسكره فبعث له من
الحبس شعرا فعفا
عنه

ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكر وأنسرف وهو يميل .
فَلَقِيَهُ الْعَسَسُ فَأَخَذُوهُ ، وَقِيلَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ وَمَا دِينُكَ ؟ فَقَالَ :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ * مَا خُتِمَ الطِّينُ عَلَى الْقِرْطَاسِ

إِنِّي أَصْطَبِحْتُ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ * فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بَرَأْسِي

* فَهَلْ بِمَا قُلْتَ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ *

فَأَخَذُوهُ وَمَضَوْا ، وَخَرَقُوا ثِيَابَهُ وَسَاجَهُ وَأَتَى بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ - وَكَانَ يُؤْتَى بِكُلِّ مَنْ أَخَذَهُ

الْعَسَسُ - فَحَبَسَهُ مَعَ الدَّجَاجِ فِي بَيْتٍ . فَلَمَّا أَفَاقَ جَعَلَ يَنَادِي غَلَامَهُ مَرَّةً وَجَارِيَتَهُ

أُخْرَى فَلَا يَجِيبُهُ أَحَدٌ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَسْمَعُ صَوْتَ الدَّجَاجِ وَزُقَاءَ الدُّيُوكِ ، فَلَمَّا

أَكْثَرَ قَالَ لَهُ السَّجَّانُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : وَيْلَكَ مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ أَنَا ؟ قَالَ :

فِي الْحَبْسِ ، وَأَنَا فُلَانُ السَّجَّانِ . قَالَ : وَمَنْ حَبَسَنِي ؟ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :

(١) الساج : الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور ينسج كذلك . وفي الأساس : « لبسوا

السيجان وهي الطيلاسة المدورة الواسعة » . (٢) في ب ، س : « الناس » .

(٣) محمل فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب .

وَمَنْ نَحَرَ طَبْلَسَانِي؟ قَالَ : الْحَرَسُ . فطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ فَعَمِلَ ،
فَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي * عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَنَحَرْتَ سَابِحِي
أَمِنْ صَفَرَاءَ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ * كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّجَّاجِ
وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى * لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النَّطْفِ النَّضَاجِ^(١)
تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا * إِذَا بَرَزَتْ تَرْقُقُ فِي الرُّجَاجِ^(٢)
أَقَادَ إِلَى السُّجُونِ بَغِيرَ جُرْمٍ * كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْحَرَجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبْسْتُ لَكَانَ سَهْلًا * وَلَكِنِّي حُبْسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي * بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِي
عَلَى أَنِّي وَلِمَنْ لَاقَيْتُ شَرًّا * لَخَيْرُكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فَدَعَا بِهِ وَقَالَ : أَيْنَ حُبْسْتِ يَا أَبَا دُلَامَةَ؟ قَالَ : مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ : فَمَا كُنْتَ
تَصْنَعُ؟ قَالَ : أَقْبَرُ مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ . فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَأَمَرَ بِهِ بِجَائِزَةٍ .
فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : إِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَوَقَّدَ طُبِخَتْ
بِنَارِ اللَّهِ؟ (يَعْنِي الشَّمْسُ) . فَأَمَرَ بِرَدِّهِ ثُمَّ قَالَ : يَا خَيْثُ شَرِبْتَ الْخَمْرَ؟ قَالَ لَا .
قَالَ : أَفَلَمْ تَقُلْ «طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ» تَعْنِي الشَّمْسُ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَنَيْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ
الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى فَوَادِ الرَّبِيعِ . فَضَحِكَ وَقَالَ : خُذْهَا يَا رَبِيعَ وَلَا تَعَاوِدِ التَّعَرُّضَ .

١٣٠
٩

قَالَ ابْنُ النَّطَّاحِ : وَمَرَّ أَبُو دُلَامَةَ بِبَغَارٍ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ :
رَأَيْتُكَ أَطْعَمْتَنِي فِي النَّامِ * قَوَاصِرَ^(٣) مِنْ تَمْرِكَ الْبَارِحَةِ

لَفَقَ رَوْيَا نَمَارَ
وَأَخَذَ مِنْهُ تَمْرًا

(١) النطفة : الماء الصافي قل أو كثر . (٢) في ١ ، ٢ : « برقت » . ورتق :
تلا لا أي تحيى، وتذهب . (٣) قواصر : واحدها قوصرة ، وهي وعاء من قصب يرفع
فيه الصبر من البوارى .

فَأَمَّ الْعِيَالِ وَصِيْبَانَهَا * إِلَى الْبَابِ أَعِيْنُهُمْ طَاعَةً
فَاعْطَاهُ جُلَّتْ^(١) تَمْرٌ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ هَذِهِ الرُّوْيَا ثَانِيَةً لَمْ يَصِحَّ تَفْسِيرُهَا . فَأَخَذَهَا
وَانْصَرَفَ .

هنا المهدي بقدمه
من الرى فلا حجره
دراهم

وقال ابن النطّاح :

لَمَّا قَدِمَ الْمَهْدِيّ مِنْ الرَّيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُلَّامَةَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
إِنِّي نَذَرْتُ لِنِّ رَأْيِكَ سَالِمًا * بَقَرَى الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ
لِتَصَلِّيَنَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ * وَلِتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي
فَقَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الدِّرَاهِمُ فَلَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُمَرَّقَ
بَيْنَهُمَا ثُمَّ تَخْتَارُ أَسْهَلَهُمَا . فَأَمَرَ بِأَنْ يُمْلَأَ حِجْرُهُ دِرَاهِمًا .

وَمِثْلُ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَارِثِ
عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ :

قَدِمَ الْمُكَلَّبُ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ ، فَلَقِيْتُهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ إِلَّا وَقَفْتَ فَوْقَ . فَدَنْتَ وَقَبِلْتَ يَدَهُ وَقَالَتْ : هَذَا نَذْرُكَ
عَلَيَّ ، إِنِّي نَذَرْتُ عَلَى اللَّهِ أَنْ أَقْبَلَ يَدَكَ إِنْ قَدِمْتَ سَالِمًا وَتَهَبَ لِي أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا
وَجَارِيَةً صُغْدِيَّةً تَخْدُمُنِي . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ وَفَّيْنَا بِنَذْرِكَ ، ادْفَعُوا إِلَيْهَا
ذَلِكَ ، وَإِيَّاكَ يَا أُمَّاهُ وَهَذِهِ النُّذُورُ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَفِي لَكَ بِهَا وَيَنْشِطُ لِتَحْلِيلِكَ مِنْهَا .

شجر من الصوم
والحرف فكتب
للمهدي شعرا فعبج
جائزته

قال ابن النطّاح :

وَصَامَ النَّاسُ فِي سَنَةِ شَدِيدَةِ الْحَرِّ عَلَى عَهْدِ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ أَبُو دُلَّامَةَ
يَنْتَجِزُ جَائِزَةً أَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِهَا . فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَّامَةَ رُقْعَةٌ يَشْكُو فِيهَا أَذَى الْحَرِّ
وَالصَّوْمِ وَهِيَ :

(١) الجلة (بالض) : ففة كبيرة للتمر .

أدعوك بالرحم التي هي جمعت * في القرب بين قريتنا والأبعد
إلا سمعت وأنت أكرم من مشي * من مُنشدٍ يرجو جزاء المُنشد
جاء الصيام فصمته متعبداً * أرجو رجاء الصائم المتعبداً
ولقيت من أمر الصيام وحره * أمرين قيساً بالعذاب المؤصد^(١)
وسجدت حتى جبهتي مشجوجة * مما يُناطحني الحصا في المسجد
فأمن بتسريحى بمطك بالذي * أسلفتني من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدي رقعته غضب وقال : يا حاض كذا من أمه أي قرابة بيني وبينك ؟ !
قال : رحم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما ؛
وأمر بتعجيل ما أجاز به وزاد فيه . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال
حدثنا الخزازي عن المدائني وزاد فيه قال : وأنشده أيضاً في ذم الصوم :

هل في البلاد لرزق الله مفترش * أم لا ففي جلده من خشية برش

— يعني أن جلده الرزق خشن الملمس فهو يُفترش كما يُفترش الضب^(٢) — : شعر :

أضحي الصيام منيخاً وسط عرصتنا * نيت الصيام بأرض دونها حرش^(٣)

إن صمت أوجعني بطني وأقلبني * بين الجوانح مس الجوع والعطش

وإن خرجت بليل نحو مسجدهم * أضرتني بصر قد خانه العمش

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير عن عمه ،
ونسخت من كتاب ابن النطاح قال اليزيدي في خبره :

١٣١
٩
عزى أم سلمة بنت
يعقوب في السفاح
فأضحكها

(١) المؤصد : المطبق . (٢) في الأصول : « الملبس » بالباء . (٣) احتش الضب
وحرشه : صاده ، وهو أن يحرك يده على بحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه . ومنه المثل :
« أتعلمني بضب أنا حرشته » يخاطب به العالم بالثي من يريد تعليمه . (٤) الحرش (بالتحريك) لغة :
الخشونة . يتنى لو كان بينه وبين الصوم من غلظ الأرض وحزونها ما يحول دونه .

دخل أبو دلّامة على رَيْطَةَ بعد وفاة المهديّ، وقال آمن النطّاح : دخل على أمّ سَلَمَةَ بنتِ يعقوب بن سَلَمَةَ بعد وفاة أبي العباس، وهو الصحيح، فعزّاها به وبكى وبكت معه، ثم أنشدتها :

مَنْ يُجِلُّ فِي الصَّبْرِ عَنْكَ فَلَمْ يَكُنْ * صَبْرِي عَلَيْكَ غَدَاةً بِنْتُ جَمِيلَا
يَجِدُونَ أَبَدًا لَهُ وَأَنَا أَمْرٌ * لَوْ مِتُّ وَجَدًا مَا وَجَدْتُ بَدِيلَا
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِعَدِّكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَجُودَ مَنْ سَأَلْتُ بِجَمِيلَا

فقالَتْ أمّ سَلَمَةَ : لم أرَ أحدًا أَصِيبَ به غيري وغيرك يا أبا دلّامة . فقال : ولا سَوَاءَ يَرْحُمُكَ اللَّهُ، لك منه ولد وما ولدْتُ أنا منه . فضحكتُ — ولم تكن منذ مات أبو العباس ضحكتُ إلا ذلك الوقت — وقالت له : لو حَدَّثْتَ الشَّيْطَانَ لِأَضْحَكَتَهُ .

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّوْلِيُّ قال حَدَّثَنَا الْغَلَّابِيُّ قال حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بن الضَّحَّاك قال :

خدع المهدي بموت
زوجته وخذعت
زوجته الخيزران
بموتة كذلك فضحكا
منهما

دخل أبو دلّامة على المهديّ وهو يبكي . فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أمّ دلّامة، وأنشدته لنفسه فيها :

وَكُنَّا كَرُوحٍ مِنْ قَطَا فِي مَفَازَةٍ * لَدَى خَفِضِ عَيْنِ نَاعِمٍ مُؤَيَّنِي رَغْدٍ
فَأَفْرَدَنِي رَيْبُ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ * وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدٍ

فأمر له بتياب وطيب ودنانير، وخرج . فدخلت أمّ دلّامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلّامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك، وخرجت، فلما التقى المهديّ والخيزران عرّفا حيلتهما بفعلهما يضحكان لذلك ويعجبان منه .

(١) أم سلمة : هي أم سلمة المخزومية امرأة الخليفة أبي العباس السفاح، وتزوجها بعده عبد الله.

ابن عبد الحميد المخزومي . (انظر الأغاني ج ٤ ص ٣٣٥ من هذه الطبعة) .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمرو بن شبة، ونسخت أنا من كتاب
آبن. النطاح قال :

فرض له المنصور
على كل هاشمي عطاء
فنقصه العباس بن
محمد دينار بن فذمه

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده :

أَمَّا وَرَبُّ الْعَادِيَاتِ صُبْحًا * حَقًّا وَرَبُّ الْمُسَوِّرَاتِ قَدَحًا
إِنَّ الْمُنِيرَاتِ عَلَى صُبْحًا * وَالنَّاكِتَاتِ مِنْ فَوَادِي قَرَحًا
عَشْرُ أَيَّالٍ بَيْنَهُنَّ صُبْحًا * يَحْلِفُنَّ مَالِي كُلِّ عَامٍ صَبْحًا

فقال له أبو جعفر: وكم تذبج يا أبا دلامة؟ قال: أربعة وعشرين سنة. وفرض له
على كل هاشمي أربعة وعشرين ديناراً، فكان يأخذها منهم. فأتى العباس بن محمد
في عشر الأصحى يتنجزها. فقال: يا أبا دلامة، أليس قد مات أبئك؟ قال بلى.
قال: أنقصوه دينارين. قال: أصلح الله الأمير لا تفعل، فإنه ترك علي ولدين. فأبى
إلا أن ينقصه. فخرج وهو يقول :

أَخْطَاكَ مَا كُنْتَ تَرْجُوهُ وَتَأْمُلُهُ * فَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الْعَبَّاسِ بِالْيَاسِ
وَأَغْسِلْ يَدَيْكَ بِأَشْنَانٍ فَأَنْقِهْمَا * مِمَّا تَوَمَّلَ مِنْ مَعْرُوفِ عَبَّاسٍ
بِجَزَاكَ رَبُّكَ يَا عَبَّاسُ عَنْ قَرَجٍ * جَنَاتٍ عَدْنٍ وَعَنِّي جُرْزَنِي آسٍ

- ١٥ (١) الضبح: صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا حجمة. (٢) نكأ القرح: قشره قبل أن يبرأ فيندى. وقد وردت هذه الكلمة في الأصول محرقة؛ ففي ح: «الناكثات». وفي أ، م: «الناكثات». وفي ب، س: «الفاتكات». (٣) في الأصول: «قدحا» بالدال، وهو تحريف. (٤) في أ، م: «صبحا» بالصاد المهملة. وهي في كلتا صورتها غير واضحة. (٥) يحلفن: يستأصلن. وفي ب، س: «يتلفن». وفي سائر الأصول: «يحلفن» بالخاء المهملة. وهو مصحف عما أثبتناه، كما يحتمل أن يكون مصحفاً عن «يحلفن» بالظاف بمعنى يستأصلن أيضاً. (٦) الأشنان (بالضم): حمض تفصل به الأيدي. (٧) الجرزة: الخزمة.

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، وأغتاظ على العباس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى . هذه رواية يزيد . وأما ابن النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه الدينارين على بن صالح وقال له : إنما نقصتُك دينارين لموت أبنك دُلّامة . فحلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً ، ثم قام مُغضباً ، فأتبعه الرسول فأعطاه إياها . فقال له : أولى له . أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنف فقد أمنه . وقد كان قال فيه :

لعلى بن صالح بن علي * تسب لو يعينه بساج
وبنو مالك كثير ولكن * مالنا في بقائهم من فلاج
غير فضيل فإن للفضيل فضلاً * مستبيناً على قریش البطاح

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال :

خاصم رجل أبا دُلّامة في داره ، فأرتفعا إلى عافية القاضي ففانسا أبو دُلّامة يقول :

لقد خاصمتني دُهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافية
فأدحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافية
ومن خفت من جورهِ في القضاء * فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية : أما والله لأشكوّنك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني . قال : إذا يعزّلك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لاتعرب المديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دُلّامة بجائزة .

(١) أولى له : معناها التهديد والتروعد .

أمره المهدي بهجاء
أحد الحضور
فهجا نفسه

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال :

دخل أبو دلامة على المهديّ وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى
والعبّاس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم ، فقال له : أنا أعطى
الله عهداً لئن لم تهجّ واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك — ويقال إنه قال : لأضربن
عنقك — فنظر إليه القوم ، فكلموا نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه . قال
أبو دلامة : فعلبتُ أني قد وقعتُ وأنها عزيمة من عزماته لا بدّ منها ، فلم أرَ أحداً
أحقّ بالهجاء مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

أَلَا أبلغُ إليك أبا دُلامة * فليس من الكرام ولا كرامة

إذا ليس العمامة كان قرداً * ويتزيّراً إذا نزع العمامة

جمعت دمامة وجمعت لؤماً * كذاك اللؤم تتبعه الدمامة

فإن تك قد أصبت نعيم دُنيا * فلا تفرّح فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلّا أجازه .

قال شعرا في المهدي
وعلى بن سليمان
وقد خرجا للصيد
فأصاب الأترل
وأعطى الثاني

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن عمّه قال :

خرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصّيد ، فسّح لهما قطعاً من ظباء ، فأرسلت
الكلابُ وأجريت الخيلُ ، فرمى المهديّ ظيياً بسهم فصّره ، ورمى عليّ بن سليمان
فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة :

قد رمى المهديّ ظيياً * شكّ بالسهم فؤاده

وعليّ بن سليماً * ن رمى كلباً فصّاده

فهنيئاً لهما كلٌّ أمرى يا كل زاده

١٣٣
٩

فَضِيحُكَ الْمَهْدِيَّ حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْقُطَ عَنْ سَرَجِهِ ، وَقَالَ : صَدَقَ وَاللَّهِ أَبُو دِلَامَةَ ،
وَأَمْرٌ لَهُ بِجَائِزَةِ مَنِيَّةٍ . أَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ عَمَى عَنْ الْكُرَّانِيِّ عَنْ الْعُمَرِيِّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ
عَدِيِّ فَذَكَرَ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ وَقَالَ فِيهِ : فَلَقَّبَ بِلِيِّ بْنِ سَلِيْمَانَ "صَائِدَ الْكَلْبِ" وَعَلَّقَ بِهِ .

قال ابن النطاح : وأنشد أبو دلالة المنصور يوماً :

هَاتِيكَ وَالِدَتِي عَجُوزٌ هُـ ^(١) * مِثْلُ الْبَلْبَةِ دِرْعُهَا فِي الْمَشْجَبِ ^(٢)
مَهْزُولَةُ الْخَيْتَيْنِ ^(٣) مَنْ يَرَاهَا يَقُلْ * أَبْصَرْتُ غُولاَ أَوْ خَيْالاً ^(٤) الْطَرْبِ
مَا إِذَا زَكَتْ لَهَا وَلَا لَابْنٍ لَهَا * مَا لَا يُؤْمَلُ غَيْرَ بَكْرٍ أَجْرَبِ
وَدَجَانِجًا نَحْسًا يَرْحَنُ ^(٥) إِلَيْهِمْ * لَمَّا يَيْضُرُ وَغَيْرَ غَيْرٍ مُغْرِبِ ^(٦)
كَتَبُوا إِلَى هَمِيصَةٍ مَطْبُوعَةٍ * جَعَلُوا عَلَيْهَا طِينَةً كَالْعَقَرِبِ ^(٧)
فَعَلِمْتُ أَنَّ الشَّرَّ عِنْدَ فَكَاكِهَا * فَفَكَكْتُهَا عَنْ مِثْلِ رِيحِ الْجَوَرِبِ
وَإِذَا شَبِيهُ بِالْأَفَاعَى رُقِشَتْ * يُوعِدُنِي بِتَلْطِيفٍ وَتَقْوِبِ ^(٨)
يَشْكُونَ أَنَّ الْجُوعَ أَهْلَكَ بَعْضَهُمْ * لَزِبًا ^(٩) فَهَلْ لَكَ فِي يَالِ لَزِبِ
لَا يَسْأَلُونَكَ غَيْرَ طَلِّ سَحَابٍ * تَغْشَاهُمْ مِنْ سَبِيلِكَ الْمُتَحَلِّبِ
يَا بَاذِلَ الْخَيْرَاتِ يَا بَنَ بَذُولِهَا * وَأَبْنَ الْكَرَامِ وَكُلَّ قَرِيمٍ مُنْجِبِ
أَتَمُّ بَنُو الْعَبَّاسِ يُعْلَمُ أَنَّكُمْ * قَدَمًا فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ أَشْهَبِ

أنشد المنصور
شعرا فأعطاه دارا
وكسوة ثم احتاج
الى الدار وعوضه
بدها

(١) الهمة : العجوز القانية . (٢) المشجب (ومثله الشجاب) : خشبات موقفة منصوبة توضع عليها
التياب وتلشر . يريد أن أمه فنيت حتى أشبهت خشبات المشجب . (٣) الخى : عظم الحنك وهو الذى
عليه الأسنان . (٤) القطرب هنا : ذكر الفيلان أو الصغير من الجن . (٥) يجوز فى تابع المستثنى
بغير مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى . وقد روى هنا المعنى . (٦) العير (بالفتح) : الحمار . والمغرب :
الذى اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرفاغه . (٧) مطبوعة : مخنومة . (٨) فى الأصول :
«وتناوب» ويقال لغة ثناب وتناوب بالتضعيف . وقد آثرنا الثانية لأنه على رواية الأصول تكون فى التمافية
ألف الأساس ، وإذا كانت لزمت فى القصيدة كلها . (٩) اللزب (بالتحريك) : ضيق العيش .

أَحْلَاسُ خَيْلِ اللَّهِ وَهِيَ مُغِيرَةٌ * يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَالِ الْغُبَارِ الْأَكْهَبِ^(٢)

قال : فأمر له دار يسكنها وكسوة ودراهم . وكانت الدار قريبة من قصره ، فأمر بأن تزداد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها . فدخل عليه أبو دُلَامة فأنشده قوله :

يَا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ دَعْوَةَ شَيْخٍ * قَدْ دَنَا هَدْمُ دَارِهِ وَدَمَارُهُ

فهو كالماخض التي اعتادها الطلح * قُيِّ فَقَرَّتْ وَمَا يَقْرُّ قَرَارُهُ

إِنْ تَحْزُ عُسْرُهُ بِكَفِّكَ يَوْمًا * فَبِكَفِّكَ عُسْرُهُ وَيَسَارُهُ

أَوْ تَدْعُهُ فَلِلْبَوَارِ ، وَأَنْتِ * وَلِمَاذَا وَأَنْتِ حَتَّى بَوَارُهُ

هل يخاف الهلاك شاعر قوم * قَدَّمْتُ فِي مَدِيحِهِمْ أَشْعَارُهُ

لَكُمْ الْأَرْضُ كُلُّهَا فَأَعِيرُوا * شَيْخَكُمْ مَا آحْتَوَى عَلَيْهِ جِدَارُهُ

فَكَأَنَّ قَدْ مَضَى وَخَلَّفَ فِيكُمْ * مَا أَعْرَيْتُمْ وَأَقْفَرْتُمْ مِنْهُ دَارُهُ

فَاسْتَعَبَزَ الْمَنْصُورُ ، وَأَمَرَ بِتَعْوِيضِهِ دَارًا خَيْرًا مِنْهَا وَوَصَلَهُ .

قال ابن النطاح :

ودخل أبو دُلَامة على المهدي وعنده مُحَرِّزٌ وَمُقَاتِلٌ ابْنَا دُؤَالٍ يَعَاتِبَانِهِ عَلَى تَقْرِيْبِهِ .

أَبَا دُلَامة وَيَعْيِيَانِهِ عِنْدَهُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامة :

أَلَا أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ هَلْ أَنْتَ مُحَرِّرِي * وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ سَائِلِي

أَلَمْ تَرْحِمِ اللَّحْيَيْنِ مِنْ لِحْيَتَيْهِمَا * وَكَلْتَاهُمَا فِي طَوْلِهَا غَيْرُ طَائِلِ

وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَهَلْ أَنْتَ مُكْرِمِي * بِخَلْقِهِمَا مِنْ مُحَرِّرِي وَمُقَاتِلِ

فَأَنْتَ يَا ذَنْ الْمَهْدِيُّ لِي فِيهِمَا أَقْلٌ * مَقَالًا كَوْفَعِ السِّيفِ بَيْنَ الْمَفَاصِلِ

وَالَا تَدْعُنِي وَالْمَعْمُومُ تَنْوِبُنِي * وَقَلْبِي مِنَ الْعِلْجَيْنِ جَمُّ الْبَلَابِلِ^(٣)

عابه عند المهدي
محرز ومقاتل ابنا
دؤال فهجاهما
بمحضرته

١٣٤
٩

(١) أحلاس الخيل هنا : الملازمون ظهورها . (٢) الكهبة : غيرة مشربة سوادا .

(٣) فعل الشرط محذوف أي ولا تفعل تدعني .

فقال . أو أخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بها أعراضهما منك ؟ قال :
ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

قال ابن النطاح :

ودخل أبو دلالة على سعيد بن دعلج مولى بني تميم فقال :

إذا جئت الأمير فقل « سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم * من الأعراب قبج من غريم
غريم لازم بفناء بيتي * لزوم الكلب أصحاب الرقيم^(٢)
له مائة على ونصف أخرى * ونصف التصف في صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني تميم
أتوني بالعشيرة يسألوني * ولم ألك في العشيرة باللقيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد
كافأتك عن قومك وزدتك مائة .

(١) كان أميراً على شرطة البصرة وأحدثها لأبي جعفر المنصور ، ثم ولى البحرين له أيضاً وعزله بعد
ذلك . وولى للهدى طبرستان وعزله عنها . (انظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦ و ٧ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٩ و ٤١)
(٢) قال الزنجشیری فی تفسیر قوله تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا) : « الرقيم اسم كلهم ، قال أمية بن أبي الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف هم

وقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماءهم جعل على باب الكهف ، وقيل إن الناس رقوا حديثهم
نقرا في الجبل ، وقيل : هو الوادي الذي فيه الكهف ، وقيل الجبل ، وقيل قريتهم ، وقيل مكانهم بين
غضبان وأيلة دون فلسطين » . وفي اللسان مادة رقم : « قال أبو القاسم الزجاجي في الرقيم خمسة
أقوال : أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماءهم . الثاني أنه الدواة بلغة الروم عن مجاهد .
الثالث القرية عن كعب . الرابع الوادي . الخامس الكتاب عن الضحاك وقتادة ، وإلى هذا القول
يذهب أهل اللغة » .

ملح سعيد بن دعلج
فأجازه

أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهيّ عن عمّه
مصعب :

داعب المنصور
في جنازة بنت عمه
حتى ضحك

أَنَّ حَمَادَةَ بِنْتَ عَيْسَى تُوفِّيَتْ وَحَضَرَ الْمَنْصُورُ جَنَازَتَهَا . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى حُفْرَتِهَا
قَالَ لِأَبِي دُلَامَةَ : مَا أَعَدَدْتَ لِهَذِهِ الْحَفْرَةِ ؟ قَالَ : بِنْتُ عَمِّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَادَةُ
بِنْتُ عَيْسَى يُجَاءُ بِهَا السَّاعَةَ فَتُدْفَنُ فِيهَا . فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ حَتَّى غَلِبَ فَسَرَّ وَجْهَهُ .

أخبرني حمّي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكرائيّ قال قال أبو عمر
حفص بن عمر العمريّ حدثنا الهيثم قال :

سأل الخيزران
جارية فوءده
بها وأبطأت
فاستنجزها بشعره
وفصة زوجته وابنه
مع هذه الجارية

تَجَّتِ الْخَيْزُرَانُ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ صَاحَ بِهَا أَبُو دُلَامَةَ . قَالَتْ : سَلُّوهُ مَا أَمْرُهُ .
فَقَالُوا لَهُ : مَا أَمْرُكَ ؟ فَقَالَ : أَذْنُونِي مِنْ تَحِلِّهَا . قَالَتْ : أَذْنُوهُ ، فَأَذْنِي . فَقَالَ : آيَتُهَا
السَّيِّدَةُ ، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ وَأَجْرُكَ فِيَّ عَظِيمٌ . قَالَتْ : فَهَ . قَالَ : تَهَيَّئِي لِي جَارِيَةً مِنْ
جَوَارِيكَ تَوْسِنِي وَتَرْفُقِي بِي وَتُرِيحِي مِنْ عَجُوزٍ عِنْدِي ، قَدْ أَكَلْتُ رِفْدِي ،
وَأَطَالَتُ كَدِّي ، وَقَدْ عَافَ جِلْدِي جِلْدَهَا ، وَتَمَنَيْتُ بُعْدَهَا ، وَتَشَوَّقْتُ فَقْدَهَا .
فَضَحِكَتِ الْخَيْزُرَانُ وَقَالَتْ : سَوْفَ أَمْرُكَ بِمَا سَأَلْتَ . فَلَمَّا رَجَعَتْ تَلَقَّاهَا
وَذَكَّرَهَا ، وَخَرَجَ مَعَهَا إِلَى بَغْدَادٍ فَأَقَامَ حَتَّى غَرَضَ ^(١) . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أُمِّ عَيْدَةَ حَاضِنَةِ
مُوسَى وَهَارُونَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا رُقْعَةً قَدْ كَتَبَهَا إِلَى الْخَيْزُرَانِ فِيهَا :

أَبْلَغِي سَيِّدَتِي بِاللَّهِ * يَا أُمَّ عَيْدَةَ
أَنَّهَا أَرَشَدَهَا اللَّهُ * وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً
وَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَخ * رَجِّ لِحْجٍ وَلَيْدَةٍ
فَتَأْنَيْتُ وَأَرْسَلْتُ * ثُبُوعَ بَعِثَرِينَ قَصِيدَةٍ

(١) غرض : ضمير ومثل .

كَلَّمَا أَخْلَقْنِ^(١) أَخْلَقَ * تَ لَهَا أَنْوَى جَدِيدِهِ

لَيْسَ فِي بَيْتِي لَتَهِي * لَدَى فِرَاشِي مِنْ قَعِيدِهِ

غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ * سَاقُهَا مِثْلُ الْقَدِيدِهِ

وَجْهُهَا أَقْبَحُ مِنْ حُو * تِ طَرِيٍّ فِي عَصِيدِهِ

مَاحِيَةً مَعَ أَتْنِي * مِثْلَ عِرْسِي بِسَعِيدِهِ

١٣٥
٩

فلما قُرِئت عليها الأبيات ضحكَتْ واستعادتْها منه لقوله « حُوت طَرِيٍّ فِي عَصِيدِهِ »
وجعلَتْ تَضْحَكُ، ودعت بجمارية من جواربها فائقَةً فقالت لها : خُذِي كُلَّ مَا لَكَ
فِي قَصْرِى ففعلتْ، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سَلِّمْهَا إِلَى أَبِي دُلَامَةِ . فَأَنْطَلَقَ
الْخَادِمُ بِهَا فَلَمْ يَصَادِفْهُ فِي مَنْزِلِهِ . فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : إِذَا رَجَعْتَ فَأَدْفَعِيهَا إِلَيْهِ ، وَقُولِي لَهُ : تَقُولُ
لَكَ السَّيِّدَةُ : أَحْسِنُ صُحْبَةَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ فَقَدْ آثَرْتُكَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ . فَلَمَّا خَرَجَ دَخَلَ
أَبْنَاهُ دُلَامَةُ فَوَجَدَ أُمَّهُ تَبْكِي . فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُبَرِّئَنِي
يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَالْيَوْمَ . فَقَالَ : قُولِي مَا شِئْتِ لِأَبْنِي أَفْعَلْهُ . قَالَتْ : تَدْخُلُ عَلَيْهَا
أَنْتَكَ مَا لِكُنْهَا وَتَطْطُوها فَتَحْرُمُ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا دَهَبْتُ بِعَقْلِهِ وَجَفَانِي وَجَفَاكَ . ففعل ودخل
إِلَى الْجَارِيَةِ فَوَطَّأَهَا وَوَأَفَقَهَا ذَلِكَ مِنْهُ : وَخَرَجَ . ثُمَّ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ :
أَيْنَ الْجَارِيَةِ ؟ قَالَتْ : فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا شَيْخٌ مُحْطَمٌ ذَاهِبٌ ، فَمَدَّ يَدَهُ
إِلَيْهَا وَذَهَبَ لِيَقْبَلَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : مَا لَكَ وَبَيْتُكَ ! تَنْسَحُ وَإِلَّا لَطَمْتُكَ لَطْمَةً دَقَقْتُ
مِنْهَا أَنْفَكَ . فَقَالَ لَهَا : أَهَذَا أَوْصَيْتُكَ السَّيِّدَةُ ! . فَقَالَتْ : إِنَّهَا قَدْ بَعَثَتْ بِي إِلَى
فَتًى مِنْ حَالِهِ وَهَيْئَتِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي أَنْفًا ، وَنَالَ مِنِّي حَاجَتَهُ . فَعَلِمَ
أَنَّهُ قَدْ دُهِىَ مِنْ أُمِّ دُلَامَةَ وَأَبْنَاهَا . فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ فَلَطَمَهُ وَلَبَّيْهِ وَحَلَفَ^(٢)

(١) كَذَا فِي ١ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « أَخْلَقْنِ » بِالْقَاءِ الْمُرْحَدَةِ .

(٢) لَبَّيْهِ : أَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ أَيْ جَمَعَ ثِيَابَهُ عِنْدَ صَدْرِهِ وَنَحَرِهِ فِي الْخَصُومَةِ ثُمَّ جَرَّه .

- أَلَا يَفَارِقُهُ إِلَّا عِنْدَ الْمَهْدَى . فَخَصَى بِهِ مُلَبِّيًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَهْدَى . نَعْرِفُ
خَبْرَهُ وَانْه قَدْ جَاءَ بِابْنِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ : مَا لَكَ
وَيْلَكَ ؟ ! قَالَ : عَمِلَ بِي هَذَا ابْنُ الْخَيْثَةِ مَا لَمْ يَعْمَلْ وَلَدٌ بِأَبِيهِ ، وَلَا تُرْضِينِي إِلَّا أَنْ
تَقْتُلَهُ . فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ فَمَا فَعَلَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ . فَضَحِكَ حَتَّى اسْتَلْقَى ثُمَّ جَلَسَ . فَقَالَ
لَهُ أَبُو دُلَامَةَ : أَعْجَبَكَ فَعْلُهُ فَتَضَحَّكَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : عَلَى بِالسِّيفِ وَالنَّطْعِ . فَقَالَ لَهُ
دُلَامَةُ : قَدْ سَمِعْتَ حُجَّتَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْمَعْ حُجَّتِي . قَالَ : هَاتِ . قَالَ : هَذَا
الشَّيْخُ أَصْفَقُ النَّاسَ وَجَهًا ، يَذِيكَ أُمِّي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا غَضِبْتُ ، وَنَكْتُ جَارِيَتَهُ
مَرَّةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ وَصَنَعَ بِي مَا تَرَى ! فَضَحِكَ الْمَهْدَى أَكْثَرَ مِنْ ضَحْكِ الْأَوَّلِ ،
ثُمَّ قَالَ : دَعَهَا لَهُ يَا أَبَا دُلَامَةَ وَأَنَا أَعْصِيكَ خَيْرًا مِنْهَا . قَالَ : عَلَى أَنْ تَحْبَاهَا لِي
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَّا نَاكَهَا وَاللَّهِ كَمَا نَاكَ هَذِهِ . فَتَقَدَّمَ إِلَى دُلَامَةَ إِلَّا يُعَاوِدُ
بِمِثْلِ فَعْلِهِ ، وَحَلَفَ أَنَّهُ إِنْ عَاوَدَ قَتْلَهُ ، وَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً أُخْرَى كَمَا وَعَدَهُ .

وقال ابن البطاح :

- دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدَى وَعِنْدَهُ شَاعِرٌ يُنْشِدُهُ . فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ :
إِنَّهُ قَدْ جَهَّدَ نَفْسَهُ لَكَ فَأَجْهَدْ نَفْسَكَ لَهُ . فَقَالَ الْمَهْدَى : وَأَبِيكَ إِنَّهَا لَكَلِمَةٌ عَدْرَاءُ
مِنْكَ ، أَحْسِبُكَ تَعْرِفُهُ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهُ وَلَا قُلْتُ أَنَا إِلَّا حَقًّا . فَأَمَرَ لِلشَّاعِرِ
بِمَجَازَةٍ ، وَلَأَبَى دُلَامَةَ بِمِثْلِهَا لِحَسَنِ مُحَضَّرِهِ .

سأله المهدي عن
شاعر فاطمراه
فأجازه لحسن
محضره

قال ابن النطاح وحدثني أبو عبد الله العقيلي قال :

- رَأَيْتُ عَلَى أَبِي دُلَامَةَ قُرُوءَةً فِي الصَّبَفِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَمَلُّ هَذِهِ الْقُرُوءَةَ ! قَالَ :
بَلَى ، وَرَبِّ مَمْلُوءٍ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ . فَتَزَعْتُ فَاضِلَ ثِيَابِي فِي مَوْضِعِي وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ .
قَالَ : وَأَهْدِي لِلْمَهْدَى فَيْلًا ، فَرَأَاهُ أَبُو دُلَامَةَ فَوَلَّى هَارِبًا وَقَالَ :

خلع عليه العقيلي من
ثيابه التي عليه

يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْفَيْلَ بَعْدَكُمْ * لَا بَارَكَ اللَّهُ لِي فِي رُؤْيَا الْفَيْلِ

فزع من رؤية
الفيل وقال فيه
شعرا

ابصرتُ قصرًا له عينٌ يلقبها * فكذتُ أرمي بسلحي في سَراويل
قال ابنُ النطّاح :

ودخل أبو دلالة على المهدي فأنشده قصيدته في بقلته المشهورة :
أتاني بغلةٌ يسْتامُ^(٢) مني * عريقٌ في الخسارة والضلال^(١)
فقال تبيعها؟ قلت أرّبطها * بحكك إن بيعي غير غالي
فأقبل ضاحكًا نحوي سرورًا * وقال أراك سمحًا ذا جمال
هلمّ إليّ يخلو بي خداعًا * وما يدري الشقيّ^(٣) بن يخالي
فقلتُ باربعين فقال أحسن * إلىّ فإن مثلك ذو سجال^(٤)
فأترك خمسة منها لعلمي * بما فيه يصير من الخيال

١٠ فقال المهدي : لقد أفلت من بلاءٍ عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرًا أتوقع صاحبها أن يردّها . قال : ثم أنشده :

فأبدلني بها يا ربّ طرْفًا^(٥) * يكون جمال مرّكبه جمالي
فقال لصاحب ذوابه : خيره من الإصطبل مرّكين . قال : يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار لي وقعت في شرّ من البغلة ، ولكن مرّه أن يختار لي ، فقال : اختر له .
١٥ وأخبرني به عمي عن الكرائي عن العُمري عن الهيثم بن عدي ، وخبره أتم .

وأخبرني محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عدي قال :
دخل أبو دلالة يومًا على المهدي ، فنادته ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقي أحد من أهلي لم يصلك ؟ قال : إن أمتني أخبرتك ، وإن أعفيتني فهو أحبّ إلي .
قال : بل تخبرني وأنت آمن . قال : كلهم قد وصلني إلّا حاتم بن العباس . قال :

(١) في ج : « أتاني خائب » . (٢) استام : طلب السوم أي تعيين الثمن . (٣) السجال هنا :
المباراة والمساجلة يريد أنه لا يماكس في الثمن . (٤) الطرف من الخيل : الكريم . (٥) في ب ،
س : « بين مرّكين » .

أنشد المهدي شعرا
في بقلته واستوبه
أخرى غيرها

احتال على العباس
ابن محمد بشعرا وأخذ
منه ألفي درهم
وكان راهن المهدي
على ذلك فأخذ
منه ستة آلاف

(١) ومن هو؟ قال : عمك العباس بن محمد . فالتفت إلى خادم على رأسه وقال : جأ عَنقَ العاصِ بظُرِّ أمِّه . فلما دنا منه صاح به أبو دُلَامة : تَنَحَّ يا عبدَ السَّوءِ لا تُخَنِّثَ مولاكَ وتُثَكِّثَ عَهْدَه وأمانَه . فضحك المهدى وأمر الخادمَ فتنحَّى عنه ، ثم قال لأبي دُلَامة : وَيَلَّكَ ! والله عَمِّي أبْجُلُ الناسِ . فقال أبو دُلَامة : بل هو أَسَخَى الناسِ . فقال له المهدى : والله لو مِيتَ ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أُتَيْتُهُ فأجازني ؟ قال : لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم . فأنصرف أبو دُلَامة فخرَّ للعباس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده :

قَفَّ بالديارِ وأَيَّ الدهرِ لم تَقِفْ * على المنازلِ بين الظُّهرِ والنَّجَفِ
وما وُقُوفُكَ في أطْلالِ مَنزِلَةٍ * لولا الذي أَسْتَدْرَجْتُ من قَلْبِكَ الكَلَفِ
١٠ إن كنتَ أصبحتَ مشغولاً بساكنها * فلا وربَّكَ لا تَسْفِكُ من شَغَفِ
دَعْ ذَا وَقْلٍ في الذي قد فاز من مُضِرٍ * بالمَكْرُماتِ وعِزٍّ غيرِ مُقْتَرِفِ^(٣)
هذي رسالةُ شَيْخٍ من بَنِي أَسَدٍ * يَهْدِي السَّلامَ إلى العباسِ في الأَمْحَفِ^(٤)
تَحُطُّها من جَواري المِضِرِّ كاتِبَةٌ * قد طالما ضَرَبْتُ في اللامِ والأَلِفِ
وطالما آخَلْتُ صَيفاً وشاتِبَةً * إلى معلَّها بالألواحِ والكَتِفِ^(٥)
٢٥ حتَّى إذا نَهَدَ الثَّديانِ وأَمْتَلَأَا * منها وَخِيفَتْ على الإسرافِ والقَرَفِ^(٦)
صَبَلَتْ ثلاثَ مِيزِينٍ ما تَرى أحداً * كما يصونُ تِجَارَ دُرَّةِ الصَّدَفِ
فبينما الشَّيْخُ يَهْوِي نحو مَجْلِسِهِ * مبادِراً لصلاةِ الصُّبْحِ بالسَّدَفِ^(٧)
حانتَ له لَحْمَةٌ منها فأبصرها * مُطَلَّةً بين سَجَفَيْها من العُرَفِ

١٣٧
٩

(١) جأ : ضرب . (٢) الظهر : موضع . والنجف (بالتحريك) : موضع بظهر الكوفة وهو دومة الخندل بعينها ، والقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبي طالب . (٣) في ب ، س : « عزم » . (٤) مقترف : مكتسب . (٥) في ب ، س : « ضيقا » بالضاد المعجمة وهو تصحيف . (٦) القرف : التهمة . (٧) السدف : الظلمة .

خَفَرَّ وَاللَّهِ مَا يَذَرِي غَدَاتِيذٍ * أَخَرَّ مُنْكَشِفًا أَمْ غَيْرَ مُنْكَشِفٍ
 وَجَاءَهُ النَّاسُ أَفْوَاجًا بِمَاءِهِمْ * لِيَغْسِلُوا الرَّجُلَ الْمَغْشَى^(١) بِالنُّطْفِ
 وَوَسَّوْا بِقُرَائِنٍ فِي مَسَامِعِهِ * بِخَافَةِ^(٢) الْحِنِّ وَالْإِنْسَانُ لَمْ يَخَفِ
 شَيْئًا وَلَكِنَّهُ مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ * أَمْسَى وَأَصْبَحَ مَوْقُوفًا عَلَى التَّلَفِ
 قَالُوا : لَكَ الْوَيْلُ مَا أَبْصَرْتَ ؟ قُلْتُ لَهُمْ * تَطَلَّعْتُ مِنْ أَعَالَى الْقَصْرِ ذِي الشَّرَفِ
 فَقُلْتُ أَيُّكُمْ وَاللَّهِ يَأْجُرُهُ * يُعِينُ قُوَّتَهُ فِيهَا عَلِيٌّ ضَعِيفٌ
 قِصَامُ شَيْخٍ يَهِيءُ مِنْ رِجَالِهِمْ * قَدْ طَالَمَا خَدَعَ الْأَقْوَامَ بِالْخَلِيفِ
 فَابْتَاعَهَا لِي بِأَلْفَى دِرْهَمٍ فَاتَى * بِهَا لَمَّا لَمْ يَلْقَ سَاهَا عَلَى كَيْفِي
 فَبِتُّ أُنْتِمِهَا طَوْرًا وَأَلْزَمُهَا * طَوْرًا وَأَصْنَعُ بَعْضَ الشَّيْءِ فِي التُّخْفِ
 فَبَيْنَ ذَلِكَ كَذَا إِذْ جَاءَ صَاحِبُهَا * يَبْنِي الدِّرَاهِمَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفِّ^(٣)
 وَذِكْرَ حَقِّ عَلَى زَنْدٍ وَصَاحِبِهِ * وَالْحَقُّ فِي طَرْفٍ وَالطِّينُ فِي طَرْفٍ
 وَبَيْنَ ذَلِكَ شُهُودٌ لَا يَضُرُّهُمْ * أَكُنْتُ مُعْتَرِفًا أَمْ غَيْرَ مُعْتَرِفٍ
 فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ شَيْءٌ فَهُوَ حَقُّهُمْ * أَوْلَا فَإِنِّي مَدْفُوعٌ إِلَى التَّلَفِ

قال : فضحك العباس وقال : وَيَحْكُ أَصَادِقُ أَنْتَ ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام
 ادفع إليه ألفى درهم ثمنها . قال : فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما أحتال
 له به . فأمر له المهدي بستة آلاف درهم . وقال له المهدي : كيف لا يضرهم
 ذلك ؟ قال : لأنني مُعْدِمٌ لا شيء عندي . وقال عُمَى في خبره : فقال له العباس بن محمد
 شاركني في هذه الجارية . قال : أفعل ولكن على شريطة . قال : وما هي ؟ قال : الشَّرِكَةُ
 لَا تَكُونُ إِلَّا مَفَاوِضَةً^(٤) ، فاشتر معها أخرى ، ليعت كل واحد منا إلى صاحبه ما عنده

(١) النطف : جمع نطفة (بالضم) وهي الماء الصافي قل أو أكثر . (٢) في ح ، ب ، س :

« خافه » وهو تحريف . (٣) المشهور في مثل هذا أن يقال : فبينا ذلك كذا أو « بينا » . وقد جاء

بها أبو دلالة هنا على الأصل . (٤) شركة المفاوضة : هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان .

ويأخذ الأخرى مكانها ليلةً وليلةً . فقال له العباس : قَبِّحَكَ اللهُ وَقَبِّحْ مَا جِئْتَ بِهِ !
خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وأنصرف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني
العَبَّاسُ قال :

أمه أبو مسلم
بمبارزة رجل فقال
شعرا أضحك
فأعفاه

° كان أبو دُلَامَة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية . فدعا رجل إلى
البراز؛ فقال له أبو مسلم : اُبْرُزْ إِلَيْهِ . فأنشأ يقول :

أَلَا لَا تَمْنَى إِنْ فَرَرْتُ فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَى خُفَّارِي أَنْ تَحَطَّأَ
فَلَوْ أَنِّي فِي السُّوقِ أَتْبَاعُ مِثْلَهَا * وَجَدَّكَ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فَضِيحِكَ وَأَعْفَاه .

١٠ ونسخت من كتاب ابن النطّاح :

وعده ربيعة جارية
فاستنجزها بشعر

أَنَّ رَبيطَةَ وَعَدَتْ أَبَا دُلَامَةَ جَارِيَةً فَطَلَّتهُ حَتَّى أَمْتَدَحَهَا بِعِدَّةِ قَصَائِدَ ، كُلُّ
ذَلِكَ لَا تَقِي لَهُ ، ثُمَّ نَحَرَجَتْ إِلَى مَكَّةَ وَرَجَعَتْ . وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عَيْيِدَةَ
تَخْرُجُ وَتُكَلِّمُ الرِّجَالَ وَتَبْلُغُ عَنْهَا الرِّسَالُ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ لِأُمِّ عَيْيِدَةَ حِينَ عِيلَ صَبْرُهُ :

١٥ أبلغني سيّدتي إِن * شِئْتِ يَا أُمُّ عَيْيِدَةَ
أَنَّهُ أَرْشَدَهَا اللَّهُ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَهُ
وَعَدْتِي قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ لِلْحَجِّ وَلَيْدَهُ
فَتَنْظُرْتُ وَأَرْسَلْتُ * ثَلَاثَ عَشْرِينَ قَصِيدَهُ
كَلَّمَا تَخْلُقُ أُولَى * بَدَّلْتُ أُخْرَى جَدِيدَهُ
إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ * لَيْسَ فِي بَيْتِي قَعِيدَهُ
٢٠ غَيْرُ مِثْلِ الْغَوْلِ عِنْدِي * ذَاتِ أَوْصَالٍ مَدِيدَهُ

وجُهِهَا أَسْمَجُ مِنْ حُو * بِطَلَرِيٍّ فِي عَصِيدِهِ
ذَاتِ رَجُلٍ وَيَدِ كُل * تَاهَا مِثْلُ الْقَدِيدِهِ

فدخلت على رَيْطَةَ فَأَنَسَدَتْهَا الشَّعْرَ، فَأَمَرَتْ لَهُ بِجَارِيَةٍ وَمِائَتِي دِينَارٍ لِلتَّفَقَّةِ عَلَيْهَا .

(١) أخبرني الحسين بن يحيى نسخت من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدي :
أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ نَزَلَ بِالْكُوفَةِ، فَأَتَاهُ أَضْيَافُ فَعَدَاهُمْ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى سِنْدِيَّةٍ نَبَاذَةٍ
يَقَالُ لَهَا دَوْمَةٌ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمْ بَحْرَةً مِنْ تَيْسَازٍ فَشَرِبُوهَا، ثُمَّ أَعَادَ فَبَعَثَتْ إِلَيْهِمْ
بِأُخْرَى، ثُمَّ جَاءَتْ تَتَقَاضَى الثَّمَنَ . فَقَالَ : لَيْسَ عِنْدِي الثَّمَنُ، وَلَكِنِّي أَمْدَحُكَ بِمَا
هُوَ خَيْرٌ مِنْ تَيْسَازِكَ . فَقَالَ :

أَلَا يَا دَوْمُ دَامَ لَكَ النَّعِيمُ * وَأَحْمَرِ مِلْءُ كَفِّكَ مُسْتَقِيمٌ
شَدِيدُ الْأَصْلِ يَنْبُذُ حَالِيَاهُ * يَنْبُذُ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مُسَقِيمٌ

وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضا .

قال إسحاق وحدثني أبي :

أَنَّ أَبَا دُلَامَةَ كَانَ كَثِيرَ الزَّيَارَةِ لِلْجُنَيْدِ النَّخَّاسِ، وَكَانَ يَتَعَشَّقُ جَارِيَةً لَهُ وَيُبَغِّضُهُ .
بِفَاحِهِ يَوْمًا فَقَالَ : أَخْرِجْ لِي فُلَانَةً . فَقَالَ : إِلَى مَتَى تَخْرُجُ إِلَيْكَ وَلَسْتُ بِمَشْتَرٍ ! !

قال شعرا في الجنيد
النخاس يذمه
ويمدح جارية له

(١) يلاحظ أن جَدَّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي فارسي وهو ماهان أو ميون بن بهمن، وأنه مات وابنه
مفلح في الثانية أو الثالثة، فلا يعقل أن يكون إبراهيم روى عن أبيه . على أن ماهان لم يعرف أنه من رِوَاةِ
الأدب العربي . فلعل في كلمة «عن جدي» تحريفا أو هي من زيادات النساخ . (راجع ترجمة إبراهيم الموصلي
في الجزء الخامس من هذه العاجية ص ١٥٤) . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : «مثل» وهو
تحريف . وقد ورد هذا الشعر في الجزء العاشر صفحة ٩٤ من الأغاني طبع بلاق في ترجمة الأقيشر، وروايته :

أَلَا يَادُومُ دَامَ لَكَ النَّعِيمُ * وَأَسْمَرُ مِلْءُ كَفِّكَ مُسْتَقِيمٌ
شَدِيدُ الْأَسْرِ يَنْبُضُ حَالِيَاهُ * يَحْمُ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مُسَقِيمٌ
يَرْوِيهِ الشَّرَابُ فَيَزِدُّهُ * وَيَنْفُخُ فِيهِ شَيْطَانُ رَجِيمٍ

(٣) يَنْبُذُ : يَنْبُضُ .

١٥

٢٠

قال : فإن لم أكن مشترياً فلاني أخ يمدح ويطري . قال : ما أنا بنخرجها إليك
أو تقول فيها شعرا . قال : فأحلف بعنقها أن تروني إياه وتأمرها بإنشاده من أذاك
يعترضا ولا تحجبها . فحلف لا يحجبها . فقال أبو دلامة :

إني لأحسب أن سامي ميثا * أو سوف أصبح ثم لا أمي
من حب جارية الجنيذ وبغضه * وكلاهما قاض على نفسي
فكلامها يشفي به سقيمي * فإذا تكلم عاد لي نكسي

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال :
دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعود ، وكان إسحاق قد مريض مرضاً
شديداً ، ثم تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب يصف له
أدوية تقوى بدنه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا بن الكفرة ! أتصف هذه الأدوية
لرجل أضعفه المرض ! ما أردت والله إلا قتله . ثم ألتفت إلى إسحاق فقال : اسمع
أيها الأمير متى . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول :

عاد إسحاق الأزرق
وعنده طبيب فقال
شعرا يصفه فيه
بمجانبة الطبيب

نح عنك الطبيب وأسمع لنعتي * إنني ناصح من النصاح
ذو تجارب قد تقلبت في الصحة * دهرأ وفي السقام المتاح
فاد هذا الكتاب كل صبايح * من متون الفقيصة السطح^(١)
فإذا ما عطشت فأشرب ثلاثاً * من عتيق في الشم كالنقح
ثم عند المساء فاعكف على ذا * وعلى ذا بأعظم الأقداح^(٢)
فتقوى ذا الضعف منك وتلقى * عن ليال أصح هذي الصباح^(٣)
ذا شفاء ودع مقالة هذا * ناك ذا أمه بأي رباح

٢٠ (١) السطح : السمان ، واحداً ساح وساحة ، بالحاء المشددة . (٢) عن ليال أي بعد ليال .
(٣) رباح : القرد .

فَضَحَكَ إِسْحَاقُ وَعَوَّاهُ، وَأَمْرَ الْأَبِي دُلَامَةَ بِخَمْسِ مِائَةِ دِرْهَمٍ. وَكَانَ الطَّيِّبُ نَصْرَانِيًّا فَقَالَ:
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ يَا رَكْلُ (يُرِيدُ يَا رَجُلًا). وَقَالَ الطَّيِّبُ: أَقْبَلْ مِنِّي أَصْلَحَكَ اللَّهُ
وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ قَدَّمَاهُ. فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ: أَمَّا وَقَدْ أَخَذْتُ أَجْرَةَ صَفْقَتِي^(١) وَقَضَيْتُ
الْحَقَّ فِي نَصْحِ صَدِيقِي، فَأَنْعَمْتَ لَهُ الْآنَ أَنْتَ مَا أَحْبَبْتَ.

تُنادر بسلمة
الوصيف في حضرة
المهدي

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبِهِ قَالَ حَدَّثَنِي
أَبُو الشَّيْبَلِ عَاصِمُ بْنُ وَهَبِ الْبَرْجِيِّ قَالَ:

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَلَمَةُ الْوَصِيفِ وَاقِفًا، فَقَالَ: إِنِّي
أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُهْرًا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُشَرِّفَنِي بِقَبُولِهِ،
فَأَمْرُهُ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ. فَخَرَجَ وَأَدْخَلَ إِلَيْهِ دَابَّتَهُ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَهُ، فَإِذَا بِهِ يُرْذَوْنَ مُحْطَمٌ
أَعْجَبَ هَرَمٌ. فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا وَيْلَكَ! أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّهُ مُهْرٌ! فَقَالَ لَهُ:
أَوْ لَيْسَ هَذَا سَلَمَةُ الْوَصِيفِ بَيْنَ يَدَيْكَ قَائِمًا تَسْمِيهِ الْوَصِيفَ وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَهُوَ
عِنْدَكَ رَصِيفٌ! فَإِنْ كَانَ سَلَمَةُ وَصِيفًا فَهَذَا مُهْرٌ. فَعَلَّ سَلَمَةُ بِشْتَمِهِ وَالْمَهْدِيُّ
يَضْحَكُ. ثُمَّ قَالَ لِسَلَمَةَ: وَيْلَكَ: إِنَّ لَهُ مِنْهُ أَخَوَاتٍ، وَإِنْ أَتَى بِهَا فِي مُحْفَلٍ
فَضَحَكَ. فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ: وَاللَّهِ لَا أَفْضَحُنَّه يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَلَيْسَ مِنْ مَوَالِكَ أَحَدٍ
إِلَّا وَقَدْ وَصَلَنِي غَيْرُهُ، فَإِنِّي مَا شَرِبْتُ لَهُ الْمَاءَ قَطُّ. قَالَ: فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ
يَشْتَرِيَ نَفْسَهُ مِنْكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ يَدِكَ. قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ عَلَى أَنْ
لَا يُعَاوِدَ. فَقَالَ لَهُ: مَا تَرَى؟ قَالَ: أَفْعَلُ، فَلَوْلَا أَنِّي مَا أَخَذْتُ مِنْهُ شَيْئًا قَطُّ
بِمَا فَعَلْتُ مَعَهُ مِثْلَ هَذِهِ. فَضَى سَلَمَةُ فَعَمَلَهَا إِلَيْهِ.

عبث به ابنه فأراد
أن يخلصه فحكم
زوجته

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الْكَرَّانِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ:

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ. وَلَعَلَّهُ: «أَجْرَةَ صَفْقَتِي الْخ».

- جاء ابن أبي دُلَامَة يوماً إلى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالس ،
 بفلسر بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخي ، كما ترون ، قد كبرت
 سنُّه ، ورقَّ جلده ، ودقَّ عظمه ، وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أُشير
 عليه بالشيء يُمسِك رَمَقَه ويُبقي قُوَّتَه ، فيخالفني فيه . وأنا أسألكم أن تسألوه
 قضاء حاجة لي أذكركها بحضرتكم ، فيها صلاحٌ لجسمه ، وبقاءٌ لحياته ، فأسعدوني .
 بمسألته . فقالوا : تفعلُ حُبًّا وكرامةً . ثم أقبلوا على أبي دُلَامَة بالسنتهم وتناولوه
 بالعتاب حتى رضى وهو ساكت ، فقال قولوا للخبيث فليقل ما يُريد ، فستعلمون أنه
 لم يَأْب إلا ببلية . فقالوا له : قل . فقال : إنَّ أبي إنما يقتله كثرةُ الجماع ، فنعانوني عليه
 حتى أخْصِيه ، فلن يقطعَه عن ذلك غيرُ الخِصاء ، فيكون أصحَّ لجسمه وأطولَ لعمره .
 فعجبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه .
 فارتفع له بذلك ذكر ، فضحكوا منه . ثم قالوا لأبي دُلَامَة : قد سمعتَ فأجب . قال :
 قد سمعتم أتم وعرفتكم أنه لن يأتي بخير . قالوا : فما عندك في هذا ؟ قال : قد
 جعلتُ أمه حَكَمًا بيني وبينه فقوموا بنا إليها . فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها ، وقصَّ
 أبو دُلَامَة القصةَ عليها ، وقال لها : قد حكمتك . فأقبلت على الجماعة فقالت : إنَّ أباي —
 أصلحه الله — قد نصح أباه وبره ولم يألُ جهدًا ، وما أنا إلى بقاء أبيه بأخوج متى إلى
 بقائه ، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منا ، ولا جرت بمثله عادةٌ لنا ، وما أشك في معرفته
 بذلك . فليبدأ بنفسه فليخْصها ، فإذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرًا محمودًا آستعمله
 أبوه . فتعرَّ أبوه وجعل يضحك به ، وخجلَ أبْنُه ، وأنصرف القوم يضحكون
 ويعجبون من خُبثهم جميعًا وآتفاقهم في ذلك المذهب .

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل
عن أبيه قال :

أمر المهديّ
مروانياً يقتل
خارجي فنبأ السيّد
في يده فقال هو
في ذلك شعرا

كان عند المهديّ رجل من بني مرّزان ، فدخل إليه وسلّم عليه . فأتى
المهديّ ^(١) بعلج فأمر المروانيّ بضرب عنقه ، فأخذ السيّف وقام فضربه فنبأ السيّف
عنه ، فرمى به المروانيّ وقال : لو كان من سيوفنا ما نبأ . فسمع المهديّ الكلام
فغاضه حتى تغيّر لونه وبأنّ فيه . فقام يقطين ^(٢) فأخذ السيّف وحسّر عن ذراعيه
ثم ضرب العليّ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل
إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دلالة فقال :
يا أمير المؤمنين ، قد حضرنى بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده :

أيّها الإمام سيفك ماض * وبكفّ الوليّ خير ^(٣) ~~كهم~~

فإذا ما نبأ بكفّ علينا * أنها كفّ مبغض للإمام

قال : فسرى عن المهديّ وقام من مجلسه ، وأمر تحجابه بقتل الرجل المروانيّ فقتل .

(١) العليّ : الرجل من كفار العجم . (٢) يقطين : هو يقطين بن موسى البغدادي .
(انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٥ ج ٦ من كتاب الأغاني من هذه الطبعة) .
(٣) الكهام من السيوف : الكليل الذي لا يقطع .

[أخبار عبد الله بن المعتز]

ومن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلاً وشرقاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله .

- أدبه وشعره ودفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب
- وأمره ، مع قرب عهده بعصرنا هذا ، مشهور في فضائله وآدابه شهرة تُشركه في أكثر فضائله الخاص والعام . وشعره وإن كان فيه رقة الملوكة وغزل الطرفاء وهلهلة المحدثين ، فإن فيه أشياء كثيرة تجرى في أسلوب المجيدين ولا تقصر عن مدى السابقين ، وأشياء ظريفة من أشرار الملوك في جنس ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لصيوح ، في مجلس شكيل ظريف ، بين ندامى وقيان ، وعلى ميادين من النور والبنفسج والزرجس ومنضود من أمثال ذلك ، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفرش ومختار الآلات ، ورقة الخدم ، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبسط الرقيق الذي يفهمه كل من حضر ، إلى جعد الكلام ووخيشه ، وإلى وصف اليد والمهامية والظبي والظليم والناقة والجل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة ؛ ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل له مسيء ، ولا أن يغمط حقه كله إذا أحسن الكثير وتوسط في البعض وقصر في اليسير ، ويُنسب إلى التقصير في الجميع ، لنشر المقابح وطى المحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كل أحد بمن تقدم لوجد مساعاً . ولو أن قائلًا أراد الطعن على صدور الشعراء ، لقد رأى أن يطعن على الأعشى —

(١) السبسط : السهل المرسل . والجمد : المعقد .

(٢) الظليم : ذكر النعام .

وهو أحد من يقدّمه الأوائل على سائر الشعراء — بقوله : « فأصاب حبة قلبه وطحأها » . وبقوله :

ويأمر لليحموم كَلَّ عَشِيَّة * بَقَتْ وتعلّق فقد كاد يَسْتَقُ (٢)

١٤١
٩

وأمثال لهذا كثيرة . وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه ، ويلغى مالم يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . وإكث أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة ، ويسيدوا بذكرهم الخامل ، ويعلّوا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل والقُدح فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلا ضعةً ، ولا يزداد الآخرون إلا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن المعتز قد قُتِل أسوأ قتلة ، ودرج فلم يبق له خلفٌ يقيّظُه ولا عقبٌ يرفعُ منه ، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه في كل فنٍّ من العلوم إلا رفعةً

(١) اللبيب في هذا ورود كلمة الطحال فيه وهي مما يأبأها النوق . وقد ورد كلام فيه في هذا الجزء (ص ٨١ — ٨٢) فراجع .

(٢) تكذا في لسان العرب وكتاب نسب الخليل لابن الكلبي وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . واليحموم : اسم فرسه . والقت : حب برى . والتعلّق : ما تعلّفه الدابة من شعر ونحوه . ويستق : يأكل حتى يصيبه كالبيشم . وقد ورد هذا البيت في ب ، منه هكذا :

وقد كان أن يأمر هو كل ليلة * بقت وتعلّق فقد كاد يستق
وفي الأصول المخطوطة :

وقد كان يأمر في كل ليلة * بقت وتعلّق فقد كان يستق

وهما تحريف . وعيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة وهو لا يمدح به رجل من خصاص الجنود ؛ لأنه ليس من أحد له فرس إلا وهو يعلقه فتاً ويقضه شعيراً . وهذا مدح كالهجاء . وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : « ولست أرى هذا عيباً ؛ لأن الملوك تعد فرساً على أقرب الأبواب من مجالسها يسريه ولجامه خوفاً من عذق يفجزها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البدار ، فلا يحتاج إلى أن يتلوم على إسراج فرسه ولجامه . وإذا كان واقفاً غدى وعشى . فوضع الأعشى هذا المعنى ودل به على ملكه وعلى حزمه » .

(راجع كتاب الشعر والشعراء صفحة ١٤١ — ١٤٢ طبع أوروبا) .

(٣) كذا في الأصول . ويحتمل أن يكون : « يلقي » بالقاف .

وَعُلُوا . وَلَا نَظَرُ إِلَى أَضْدَادِهِ كَمَا أَزْدَادُوا فِي طَعْنِهِ وَتَقْرِيطِ أَنْفُسِهِمْ وَأَسْرَافِهِمْ
الَّذِينَ كَانُوا مِثْلَهُمْ فِي ثَلْبِهِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ ، زَادُوهَا سَقُوطًا وَضَعَةً ، وَكَلَمًا وَصَفُوهَا
أَشْعَارَهُمْ وَقَرَّظُوا آدَابَهُمْ ، زَادُوا بِهَا ثِقَلًا وَمَقْتًا . فَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْمُحْصَلُ الْمَوَافِقُ ،
عَدَلُوا عَنْ ثَلْبِهِ فِي الْآدَابِ ، إِلَى التَّشْنِيعِ عَلَيْهِ بِأَمْرِ الدِّينِ وَهَجَاءِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ،
وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَنَعَ بِهِ عَلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمُكْتَفَى حَتَّى نَهَاهُمْ عَنْهُ ،
فَعَدَلُوا عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ إِلَى عَيْبِهِ ، وَأَرْغَبُوا أَكْثَرَهُ مِنْهُ . وَأَنَا أَذْكَرُ ذَلِكَ
بِعَقَبِ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ ، مُصَرِّحًا بِهِ عَلَى شَرْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ حَسَنَ الْعِلْمِ بِصِنَاعَةِ الْمُسَبِّحِ ، وَالْكَلَامِ عَلَى النِّعَمِ وَعِلْمِهَا . وَهُوَ
فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْآدَابِ كُتِبَ مَشْهُورَةً ، وَمُرَاسَلَاتٌ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَبَيْنَ بَنِي حَمْدُونَ وَغَيْرِهِمْ ، تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَغَزَاوَةِ
عِلْمِهِ وَإِدْبَارِهِ .

علمه بصناعة
الموسيقى

وَلَقَدْ قَرَأْتُ بِنُحْطِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ رُقْعَةً إِلَيْهِ بِنُحْطِهِ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ
بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ حَمْدُونَ فِي أَنَّهُ يَحُوزُ وَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَغَيِّرَ الْإِنْسَانُ بَعْضَ نَعَمِ الْغِنَاءِ الْقَدِيمِ ،
وَيَعْدِلَ بِهَا إِلَى مَا يَحْسُنُ فِي حَلْقِهِ وَمَذْهَبِهِ . وَهِيَ رِسَالَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَشَاوَرَهُ فِيهَا . فَكُتِبَ
إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ : « قَرَأْتُ — أَيْدِكَ اللَّهُ — الرِّسَالَةَ الْفَاضِلَةَ الْبَارِعَةَ الْمَوْفُوقَةَ . فَأَنَا وَاللَّهِ أَقْرَأُهَا
إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى أَوَّلِهَا مَبْتَهَجًا ، وَأَتَأَمَّلُ وَأَدْعُو مَبْتَهَلًا ، وَعَيْنُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
عَلَيْكَ وَعَلَى نِعْمَةٍ عِنْدَكَ . فَإِنَّهَا — عِلْمُ اللَّهِ — النِّعْمَةُ الْمَعْدُومَةُ الْمِثْلُ . وَلَقَدْ تَمَثَّلَتْ
وَأَنَا أَكْرَرُ نَظْرِي فِيهَا قَوْلَ الْقَائِلِ فِي سَيِّدِنَا وَابْنِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

كتاب عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر له
وقد بعث إليه رسالة
إلى ابن حمدون

كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ وَمَا يَدْعُ * لَذَى إِرَابَةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ جِدًّا فِي هَزْلٍ ، وَلَا هَزْلًا فِي جِدٍّ يُشَبِّهُ هَذَا الْكَلَامَ فِي بِلَاغَتِهِ
وَفَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ وَإِنَارَةِ بَرَاهَانِهِ وَجَزَالَةِ أَلْفَافِهِ . وَلَقَدْ خَيَّلَ إِلَى أَنَّ لِسَانَ جَدِّكَ

٢٠

العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك - أعزك الله - نصفها، والنصف الآخر مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما. ولو أن هذه الرسالة جُهِت الإبراهيميين إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وأبْنَه إسحاق وهم مجتمعون لُبِيت منهم الناظر، وأُخْرِس الناطق، ولأَقْرُوا لك بالفضل في السَّبق، وظهور مُجْجَةِ الصِّدِّيق، ثم كان قولك لهم فَرْقًا بين الحقِّ والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون، إِلَّا بَرَزَتْ فيه تَبَرُّز الجواد الزائع، المُغَبِّ في وجه كلِّ حصان تابع. عَضَدَ الله الشرفَ ببقائك، وأحيا الأدبَ بِحياتك، وجَمَّلَ الدنيا وأهلها بطولِ عمرك.»

١٤٢
٩

هذا كلام العقلاء وذوى الفضل في مثله، لا كلام الثقلاء وذوى الجهل. والإطالة في هذا المعنى مُسْتَعْنَى عنها. والمشهور عنه وعن أصداده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففى معنى ما شَرَطْتُهُ من جنس ما هو المقصود في كتابي هذا.

أصوات له
في أشعار مختلفة

فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبئته فيها :

صوت

هل تَرَجِعَنَّ لِيَّالٍ قد مَضَيْنَ لَنَا * والدارُ جامعةٌ أَزْمَانٍ أَزْمَانًا^(١)

صَنَعْتُهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ.

(١) يقول : هل تعود ليال لنا مضت أزمان وأزمان والدار جامعة أسباب مرورنا وطونا . وأزمان أزمان يراد به أزمان طونا وأزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف إليه أزمان ويناسب المقام . ومثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالتركيب المزجي . وكل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه ، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أى كل صباح ومساء ، فحذف العاطف وركب الظرفان قصداً للتخفيف تركيب خمسة عشر . قال الشاعر :

ومن لا يصرف الواشين عنه * صباح مساء ييقوه خيالاً

ومن صنعته في الثقل الأول أيضا — وفيه لعلويه رمل قديم، وما لحنه : ون
لحن آوييه — :

صوت

تَرَنَى جَانِبَ الْقَصْرِينِ فَالْدِيرَ فَالْحِمَى * إِنِّي الشَّجَرُ الْمَحْفُوفُ بِالطَّيْنِ وَالْمَدْرُ^(١)
ومن نعتة الظَّريفَةِ الشَّكْلَةِ^(٢) مع جودتها :

صوت

وَا بِلَاثِي مِنْ مَحْضَرٍ وَمَغِيبٍ * وَحَبِيبٍ مَنِّي بَعِيدٍ قَرِيبٍ
لَمْ تَرِدْ مَاءَ وَجْهِهِ الْعَيْنُ إِلَّا * شَرَقَتْ قَبْلَ رِيَّاهَا بِرَقِيبٍ

خفيف ثقيل، ابتداءؤه نشيد .

زارته زرياب
في يوم السَّعَانِينَ
وغناها

- ومن صنعته ، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجّم عن زرياب قالت :
زرت عبد الله بن المعتز في يوم السَّعَانِينَ^(٣) ، فُسرَّ بورودي وصنع من وقته لحنًا في شعر
عبد الله بن العباس الرِّبَيعِي الذي له فيه هَزَجٌ وهو :

= وتقول : فلان يأتينا يوم أي يوما فيوما ؛ قال الشاعر :

آت الرِّزْقُ يَوْمَ يَوْمٍ فَأَجْمَلُ * طلبا وانغ للقيامَة زادا

- ومثال ما ركب من ظروف المكان قولهم : سهلت الهمزة بين بين ؛ ومنه قول الشاعر :

نَحْيُ حَقِيقَتَنَا وَبَعْدَ * ضِيقِ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

- والأصل بين هؤلاء وبين هؤلاء . (راجع شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام
الأنصاري طبع بلاق سنة ١٢٨٢ ص ٣٠٠ ، ٣١٠) وقد ورد هذا البيت في الأصول : «أزمان أزمان»
والنون عارية من الشكل ، وليس فيها ألف الاطلاق . ورجعنا الى ديوانه المطبوع فلم نجد فيه هذا البيت .
(١) المدر : التراب المتلبد ، أو هو قطع الطين اليابس . (٢) كذا في ح . وفي ب ، سه :
«الظريقة الشكل» . وفي أ ، م : «الظريقة الشكل» . (٣) في لسان العرب (في مادة سعن) :
«قال ابن الأثير : هو عيد لم يعرف قبل عيدهم الكبير بأسبوع ، وهو مرياني معرب . وقيل : هو جمع =

صوت

أنا في قلبي من الظُّلِّي كُؤُومٌ * فدعِ اللّوَمَ فَإِنَّ اللّوَمَ لَوُومٌ^(١)
 حبذا يومُ السَّعائين وما * نلتُ فيه من سرورٍ لو يدومُ

— الشعر لعبد الله بن العباس، ولحنه فيه هَزَجٌ — قالت : فصنع عبد الله بن المعتز في البيت الثاني، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هَزَجًا وهو :

زارني مولاي فيه ساعة * ليتَه والله ما عشتُ يُقيمُ

ولحنُ ابن المعتز في «حبذا يوم السَّعائين» وهذا البيت خفيف رَمَلٌ، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها .

ومن صنعه التي تظَّارَفُ فيها وملحٌ^(٢) :

زاحمَ كُمِّي كُمَّه فالتويا * وافق قلبي قلبه فاستويا
 وطالما ذاقا الهوى فاكثويا * يا قُرَّةَ العين ويا هَمِّي ويا

أراد هنا بقوله «ويا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح، فيقولون : قلتُ له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا، وكذلك ضده لِيُسْتغْنَى بالإشارة بهذا النداء عن الشرح . ولحنُ ابن المعتز في هذا هَزَجٌ .

١٥ = واحد سعنون « ١٥٠ » والمشهور فيه « السمانين » بالشين المعجمة ؛ فقد ورد في صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤١٥) في كلامه على أعياد القبط : « الثاني — الزيثونة ، وهو عيد السمانين ، وتفسيره بالعربية التسبيح ، يعملونه في سابع أحد من صومهم . وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة ، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور (وهو الحمار) في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » ١٥٠ .

٢٠ (١) لوم : مخفف لوم بالهمز . (٢) في ب، س : « تظافر » . وفي سائر الأصول :

« تضافر » . وظاهر أن كليهما تحريف .

سجنت عليه نشر
في صورة جميلة
فقال فيها شعرا على
البدئية

١٤٣

٩

حدّثني جعفر بن قدامة قال :

كما عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من
صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غلالة معصفرة وفي يديها جنابي باكورة^(١)
باقيلاً . فقالت له : يا سيدي تلعبُ معي جنابي ؟ فالتفت إلينا وقال على يديته^(٢)
غير متوقّف ولا مفكّر :

(١) كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة فيما كتبه عن لعب العرب في العدد الأول
من المجلة السلفية (السنة الثانية ص ٣٤) شرحاً لهذه اللعبة رأينا أن نقله كله لما حواه من قيمة علمية
كعادة الباشا عليه الرحمة والرضوان فيما يكتبه . قال :

« الجنابي — في القاموس : . الجناباء (بفتح أوله وثانيه) وكسائي (بضم أوله وفتح ثانيه) لعبة
للصبيان . وفي اللسان : « الجناباء والجنابي لعبة للصبيان يجناب الغلامان فيمتصم كل واحد من الآخر »
ونحوه في المخصص » .

وبعد أن نقل هذه العبارة عن الأغاني ومعاهد التنصيص قال : « قلنا قوله « جنابي » باقلاء يظهر أنه شيء
كأسلة ولم نعر عليه في اللغة ، ولعله مولد سمى بذلك لأنه يحمل في الجنب . والمفهوم من القصة أنه بتشديد
النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة ، وهو وارد بالتشديد في شعر ابن المعتز كما ترى وإليه
مال شارح القاموس . وعبارته : « والجناباء بالمد والجنابي كسائي مخففاً مقصوراً هكذا في النسخ التي رأيناها
وفي لسان العرب بالضم وتشديد النون . ويدل على ذلك أن المؤلف ضبط سمائي بالتشديد في (س م ن) فليكن
هذا الأصح ، ثم أنه في بعض النسخ بالمد في الثاني وكذا في لسان العرب أيضاً ، والذي قيده الصاغاني بالضم
والتخفيف ككسائي » . انتهى وتبني مصححه بأنه مهوول لأن المؤلف إنما ضبط سمائي في (س م ن) بوزن
جباري هـ . ونقول : المهوول من الشارح في تعيين المادة وكأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها
« وأحمد بن أبي الخوارى كسكاري ، وكسائي أبو القاسم الخوارى ، الزاهدان معروفان » وقد ناقشه فيها
هناك ولا يبعد أن يكون قوله وكسائي حرفه النساخ عن (وكشقاري) كما نبه عليه المصحح على حاشية هذه
المادة في نسخة القاموس المطبوعة ببلاط سنة ١٣٠٣

بقى قول شارح القاموس إن (الجنابي) بوردت بتشديد النون وبالمد أيضاً في لسان العرب . ولعلها وردت
كذلك مضبوطة بالقلم في النسخة التي كانت عنده ؛ فإن النسخة التي بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه .
وبعد ، فتشديد هذه لفظة في البيت إما أن يكون عن لغة فيها محكية اطلع عليها ابن المعتز أو عن خطأ شاع
بين المولدين فحرت به الستة الشعراء . والله أعلم اهـ .

(٢) في معاهد التنصيص طبع ببلاط سنة ١٢٧٤ ص ١٩٤ : « جنابي من باكورة باقلاء » .

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ يَمِينِي فِي مَعْصَرَةٍ * عَشِيَّةً فَسَقَانِي ثُمَّ حَيَّانِي
 وَقَالَ تَلَعَّبُ جَنَابِي فَقُلْتُ لَهُ * مَنْ جَادَ بِالْوَصْلِ لَمْ يَلْعَبْ بِهَجْرَانِ
 وَأَمْرٌ فُغْنِي فِيهِ . غَنَّتْ فَيَا أَرَى فِيهِ هَزَارُ حَنَّا ، وَهُوَ رَمْلٌ مُطْلَقٌ .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

جدر خادمه نشوان
 بخرع عليه ثم عوفى
 فسر وقال شعرا

كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ غِلَاٌ بِحَبِّهِ ، وَكَانَ يَغْنَى غِنَاءً صَالِحًا ، يُقَالُ لَهُ « نَشْوَانٌ » .
 بَجْدَرٍ وَبَحْرٍ عَبْدُ اللَّهِ لَذَلِكَ جَزْعًا شَدِيدًا ، ثُمَّ عُوْفِي وَلَمْ يُوْثِّرَ الْجُدْرِيُّ فِي وَجْهِهِ أَثْرًا
 قَبِيحًا . فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَدْ عُوْفِيَ فَلَانٌ بَعْدَكَ ، وَخَرَجَ
 أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ ، وَقُلْتُ فِيهِ بَيَّتِينَ وَغَنَّتْ زُرْيَابُ فَيَمَّا رَمَلًا ظَرِيفًا ، فَاسْمَعِيهِمَا
 إِنِّشَادًا إِلَى أَنْ تَسْمَعِيهِمَا غِنَاءً . فَقُلْتُ : يَتَفَضَّلُ الْأَمِيرُ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، بِإِنِّشَادِي
 إِيَّاهُمَا . فَأَنْشَدَنِي :

لِي قُرْجُدَّرٌ لَمَّا أَسْتَوَى * فَزَادَهُ حُسْنًا فَزَادَتْ هُمُومُ
 أَظْلَنَهُ غَنَى لَشَمْسِ الضُّحَى * فَتَقَطَّطَتْهُ طَرَبًا بِالنَّجُومِ

فَقُلْتُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ لِي : لَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ زُرْيَابٍ كُنْتُ أَشَدَّ
 أَسْتَحْسَانًا لَهُ . وَخَرَجَتْ زُرْيَابُ فَغَنَّتْهُ لَنَا فِي طَرِيقَةِ الرَّمْلِ فِي أَحْسَنِ غِنَاءٍ ، فَشَرَبْنَا
 عَلَيْهِ عَاقِمَةً يَوْمَئِذٍ .

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ قَالَ :

غضب عليه غلامه
 نشوان فقال شعرا
 يترضاه به

غَضِبَ هَذَا الْغُلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ ، بِجَهْدٍ فِي أَنْ يَتَرْضَاهُ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِيهِ
 حِيلَةٌ . فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَأَنْشَدَنِي فِيهِ :

بَابِي أَنْتَ قَدْ تَمَّا * دَيْتَ فِي الْهَجْرِ وَالْغَضَبِ

وأصطباري على صدو * دِكْ يوماً من العَجَبِ
ليس لي إن فَقَدْتُ وج * هَكَ في العيش من أَرَبْ
رَحِمَ الله مَنْ أعا * ن على الصلح واحتَسَبْ

قال : تَمَضَيْتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أداريه وأرفُقُ به حتى تَرَضَّيْتُهُ وجئْتُهُ به ،
فمررنا يومئذٍ أطيبَ يومٍ وأحسنه ، وَغَنَّتْنا هَزَّارُ في هذا الشعر رَملاً عجيباً .

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال :
دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل ، فوجدتُ عبدَ الله بن المعتز وقد جاءه
مُسَلِّماً ، وسنه يومئذٍ دون عشرين سنة ، إذ دخل علي بن محمد بن أبي الشوارب^(١)
القاضي ، فأكرم أبو عيسى ونهض إليه . فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى :
قد احتججتُ إلى معونتك في أمر دُفِعْتُ إليه لم أَسْتغْنِ فيه عن تكليفك المعاونة .
قال : وما هو ؟ قال : زوَّجْتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، فخرج عن مدينتنا ،
وأساء عِشرةَ أهله ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مَظَانِّه وأوطانه ، ويهدِّدنا
ويُوعِدنا بِشَرِّه ، حتى لقد نالنا من عيسى بَشْراً ليدله ولسانه فينا بالقبيح والقول
السيئ ، وكثرة معاونته له على ما يُزِرُّي بدينه ونسبه . وقد توعَّدنا بأنه يكشف وجهه
لنا في معاونة صهرنا هذا الغاوي علينا . ولولا نسبته الذي نخره لنا وعاره علينا ،
لانتصفتنا منه بالحق دون التعدي ، إلَّا أنَّي أَسْتَعِيذك منه . فقال له أبو عيسى : أنا
أُوجِّه إليه بعد انصرافك ، وأُرأسله بما أنا المتكفل بعده بالآل يعود إلى عِشرته ،

زار في حديثه
أبا عيسى بن المتوكل
وأشده من شعره
في كره البنات فدحه

١٤٤
٩

(١) هو علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي البصري قاضي القضاة أبو الحسن .
كان ولي القضاة بصر من رأى ، وكان عالماً عفيفاً ثقة . توفي سنة ٢٨٣ هـ (عن النجوم الزاهرة ج ٣
ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية) .

والضامن^(١) أن أُرَدَّ هذا الصَّهْرَ إلى حيث تحبَّ ويقع بموافقتك . فشكره ودعا له
وانصرف . فقال أبو عيسى : ألا تَرَوْنَ إلى هذا الرجل التَّيْبَةَ الفاضلة السَّريَّةَ الشريفَ
يُدْفَعُ إلى مثل هذا ! طُوبَى لمن لم تكن له بنت . فقال عبدُ الله بن المعتز : أيُّها الأمير
إنَّ لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله وأستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر . فقال :
هاتِه فِدَاكَ عَمَّكَ . فأنشده لنفسه :

ويَكْرِ قُلْتُ مَوْتِي قَبْلَ بَعْلِ * وَإِنْ أَتَرَى وَدَّ مِنْ الصَّيِّمِ
أَلْمُزَجَّ بِاللَّسَامِ دَمِي وَلَجِي * فَمَا عُذْرِي إِلَى النَّسَبِ الْكَرِيمِ

فقال له أبو عيسى : أمتع الله أهلك ببقائك ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك
وجملهم بكال محاسنك ، ولا أرانا شراً نيك .

١٠ أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبدُ الله بن موسى الكاتب قال :
دخلت على عبد الله بن المعتز في داره طبقات من الصُّنَّاع ، وهو يلبي داره
ويبيضا . فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيْلُ الذي جاء مُدُّ لِيَالٍ
أَحْدَثَ في داري ما أحوَجَ إلى الغرامة والكُلْمة ، وقال :

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ وَأَحْزَانِهَا * وَدَارٍ تَدَاعَى بِحِيطَانِهَا
أَظْلُ نَهَارِي فِي شَمْسِهَا * شَقِيًّا مَعْنَى بَيْنَانِهَا
أَسْوَدَ وَجْهِهِ بِتَبْيِيضِهَا * وَأَهْدِمَ كَيْسِي بِعَمْرَانِهَا

حدثني جعفر بن قدامة قال :
كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا الثُّمَيْرِيُّ ، حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فقام الثُّمَيْرِيُّ
فصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً جِدًّا ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته ومجدَّ بَجِدَّةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا ،
حتى آسَتْ ثِقَلُهُ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ سِوَهَا ، وعبدُ الله ينظر إليه متعجباً ثم قال :

(١) في ب ، س : « وأنا الضامن إن أراد هذا الصهر إلا حيث » وهو تحريف ٥٠

كان يمسر داره
ويبيضا وقال شعرا
في ذلك
خفف الثميري
صلاته وأطال
السجود بعدها
فقال هو شعرا

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْوَرَى نَقْرَةً * كَمَا آخُتْلَسُ الْجَزْعَةَ الْوَالِغُ
وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا تَجَدَّةً * كَمَا خُتِمَ الْمَزُودُ الْفَارِغُ

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبيد الله بن موسى الكاتب قال :
كانت بنت الكراة تالف عبد الله بن المعتز، وكان يحب عتاءها ويستظرفها
ويحبها ويواصل إحضارها، ثم أنقطعت عنه فقال :

انقطعت عنه بنت
الكراة وكان يحبها
فقال شعرا

لَيْتَ شِعْرِي بِنِ تَسَاغَلِيتَ بَعْدِي * وَهُوَ ابْنُ شَكِّ جَاهِلٍ مَغْرُورُ
هَكَذَا كُنْتُ مِثْلَهُ فِي سُرُورٍ * وَغَدًا فِي الْهَمُومِ مِثْلِي بِصِيرُ
حدثني جعفر بن قدامة قال :

كان يحب جارية
قبيحة الصورة
فاعترض عليه
النميري فأجابته شعر

كُنَا عِنْدَ ابْنِ الْمَتَرِيوِيَّ وَمَعَنَا الْتُمَيْرِيُّ، وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ لِبَعْضِ بَنَاتِ الْمَغْنَنِ
تَغْنِيهِ، وَكَانَتْ مُحِبَّةً لَهَا أَنَّهُ كَانَتْ فِي ظَايَةِ مِنَ الْقُبْحِ، فَفَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بِحَشَمِهَا
وَيَتَعَلَّقُ بِهَا. فَلَمَّا قَامَتْ قَالَ لَهُ التُّمَيْرِيُّ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْتَ عَشَقَ هَذِهِ الَّتِي
مَا رَأَيْتَ قَطُّ أَقْبَحَ مِنْهَا ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ :

قَلْبِي وَثَابُ إِلَى ذَا وَذَا * لَيْسَ يَرَى شَيْئًا فَيَأْبَاهُ
يَسِيمُ بِالْحُسَيْنِ كَمَا يَنْبَغِي * وَيَرْحَمُ الْقُبْحَ فِيهِوَاهُ

١٤٥
٩

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدثني أبو الحسن الأموي قال حدثني
عبد الله بن المعتز قال :

راسل خسزاي
فتأخرت عنه فقال
شعرا فأجابته

كَانَتْ تُرَاوِي جَارِيَةَ الضَّبْطِ الْمَغْنِيِّ تُنَادِمُنِي وَأَنَا حَدَّثْتُ ثُمَّ تَرَكْتُ النَّبِيذَ .
وَكَانَتْ مُغْنِيَةً مُحْسِنَةً شَاعِرَةً ظَرِيفَةً. فَرَأَسْتُهَا مَرَارًا فَتَأَخَّرْتُ عَنِّْي، فَكَتَبْتُ إِلَيْهَا :
رَأَيْتُكَ قَدْ أَظْهَرْتَ زُهْدًا وَتَوْبَةً * فَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِكَ الْخَمْرُ
فَاهْدَيْتُ وَرَدًّا كِي يُدْكَرَ عَيْشَةً * لِمَنْ لَمْ يَمْتَعْنَا بِهَجَّتِهَا الدَّهْرُ

٢٠ (١) المزود : وعاء الزاد . (٢) كذا في جميع الأصول هنا . وتقدم في الصفحة الماضية :
« عبد الله بن موسى » وذلك أيضا باتفاق الأصول .

فأجاست، :

أنا قريض يا أميري محبر * حتى لي نظم الدرر فصل بالشبر^(١)
 أنكرت يا ابن الأكرمين إناجى * وقد أفصحت لي ألسن الدهر بالزحر
 وآذنتي شرح الشباب بينه * فياليت شعري بعد ذلك ما عذري

شعره في موسم
الربيع

حدثني جعفر بن قدامة قال :

كنت أسرح مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا
 كالجنة المنزعة . فقال عبد الله :

حبذا آذار شهراً * فيه للنور انتشار
 ينقص الليل إذا حـا * ويمتد النهار
 وعلى الأرض أخضرار * وأصفرار وأحمرار
 فكأن الروض وشي * بالغت فيه التجار^(٢)
 نقشه أس وسريد * من وورد وبهار^(٣)

هنا عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر
بولاية ابنه محمد
شرطة بغداد

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال :

كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف
 مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد^(٤) :

(١) الشذر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

(٢) العباسية : محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

(٣) النسرين : ورد أبيض عطري قوي الرائحة . فارسي معرب . (٤) البهار : نبت طيب

الريح يجعل له فقاخه صفراء ينبت أيام الربيع . مؤنس : هو مؤنس الخادم . وكان يلقب

بالمظفر لما عظم أمره . وكان شجاعاً مقداماً فائقاً مهيباً . عاش تسعين سنة منها ستون سنة أميراً . وكان

قد أبعد المعتضد إلى مكة . ولما بويع المقتدر بالخلافة أحضره وقربه وقوض إليه الأمور . قتل

سنة ٣٢١ هـ (انظر النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٢٩) .

فَرِحْتُ بِمَا أَضْعَفُهُ دُونَ قَدْرِكُمْ * وَقُلْتُ عَسَى قَدْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ الدَّهْرُ
فَتَرْجِعَ فِينَا دَوْلَةً طَاهِرِيَّةً * كَمَا بَدَأَتْ، وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
عَسَى اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ * وَلَا بَدَّ مِنْ يُسْرِ إِذَا مَا أَتَهَى الْعُسْرُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُيَيْدُ اللَّهِ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَنَحْنُ إِذَا مَا نَالْنَا مَسَّ جَفْوَةٍ * فَمِنَّا عَلَى لَأَوَائِهَا الصَّبْرُ وَالْعُدْرُ
وَلِإِنْ رَجَعْتَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةً * إِلَيْنَا فَمِنَّا عِنْدَهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

قال : وجاءه محمد بن عبيد الله بعقيد هذا شاكرًا لتهنئته، ثم لم يعد إليه مدة طويلة . فكتب إليه عبد الله بن المعتز :

انقطع عنه محمد
هذا مدة طويلة
فكتب له شعرا
بعائنه

قَدْ جِئْنَا مَرَّةً وَلَمْ تَعُدْ * وَلَمْ تَزُرْ بَعْدَهَا وَلَمْ تَعُدْ
لَسْتُ أَرَى وَاجِدًا بِنَا عِوَضًا * فَأَطْلُبُ وَجَرَّبُ وَأَسْتَقِصُّ وَأَجْتَنِدُ
نَاوَلْنِي حَبْلَ وَضْلِهِ بِيَدٍ * وَهَجَرَهُ جَاذِبًا لَهُ بِيَدٍ
فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَا وَذَا أَمَدٌ * إِلَّا كَمَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَغَدٍ

✽✽

صنوت

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ * بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَلَمُتَّسَلِمٌ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمِشِينَ خَلْفَةً * وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُنْ مِنْ كُلِّ مَجْمَعٍ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً * فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمٍ

١٤٦
٩
أبيات من معلقة
زهير وشرحها

(١) أم أم أوفى : يريد أم منازل أم أوفى . (٢) الأطلاء : جمع طلاء وهو ولد البقرة والظبية الصغير . وقوله ينهضن : يعنى أنهم ينهضن أولادهم إذا أرضعنهم ثم يرعين ، فإذا طلن أولادهم فد أقعدن ما في أجوافهن من اللبن صوتن بأولادهم فينهضن من مجامعهن للأصوات ليرضعن . (عن شرح ديوان زهير للأعلم الشنمري) .

فلما عرفت الدار قلت لرَبِّها * ألا عِمَّ صباحاً أيها الربيع وأسلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * يطيع العوالي رُكبت كل لهزم
ومن هاب أسباب المنية يلقها * ولو رام أسباب السماء بسلم

عروضه من الطويل . الحومانة ، فيما ذكر الأصمعي ، الأرض الغليظة ، وجمعها
حوامين . وقال غيره : الحومانة : ما كان دون الرمل . والدراج والمنتلم : موضعان .
وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير "الدراج" مضمومة الدال . والعين : البقر .
والآرام تسكن : الجبال . خلقة : يذهب قوج ويحيى فوج يخلفه مكانه . ويروى :
جثم وجثم . فن قال جثم قال : جثم يجثم جثوماً ، ون قال جثم قال : جثم يجثم
جثماً ، والآي : البطء . الزجاج : جمع زج . قال : وأضله أن القوم كانوا إذا
أرادوا صلحاً قلبوا زجاج الرماح إلى فوق ، فإن أبوا إلا الحرب قلبوا الأسنة .
واللهزم : السنن المحدد ، يقال رمح لهزم ويسنان لهزم : حاد . وأثم أوفى : امرأة
كانت لزهير فطلقها . وله في ذلك خبر يُذكر بعد هذا .

الشعر لزهير بن أبي سلمى . والغناء للغريض ، ثاني ثقليل بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات . وفيها لبذل الكبيرة ثقل أول
بالبنصر . ولعلويه في الثالث والرابع ثقل أول . ولإبراهيم ثاني ثقليل بالوسطى
في الخامس والسادس . وفيهما ثقل أول يقال إنه ليزيد حوراء :

(١) الآرام من الظباء : البيض الخالصة البياض ، كما قال ذلك الأصمعي وأبو زيد . وفي اللسان
أنها تسكن الرمال .

نَسَبُ زُهَيْرٍ وَأَخْبَارُهُ

نَسَبُهُ
هو زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ^(١)، وَأَسْمُ أَبِي سُلَيْمٍ رَبِيعَةُ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنِ
ابْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ قُورِ بْنِ هَرْمَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ الْيَاسِ
ابْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ، وَمُزَيْنَةُ أُمُّ عَمْرِو بْنِ أَدَّ هِيَ بِنْتُ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةٍ .
وهو أحد الثلاثة المُقَدَّمِينَ على سائر الشعراء ، وإنما اختلف في تقديم أحد
الثلاثة على صاحبيه . فاما الثلاثة فلا اختلاف فيهم ، وهم أمروؤ القيس وزُهَيْرُ
والتَّائِبَةُ الدَّبْيَانِيُّ .

قال جرير هو شاعر الجاهلية
أخبرني أبو خَلِيقَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ عَنْ أَبِي قَيْسٍ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ حَرِيرٍ عَنْ
أبيه قال : شاعر أهل الجاهلية زُهَيْرٌ .

قال عمر لابن عباس إنه شاعر الشعراء
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا^(١٠) عمر بن شَبَّة قال حدثنا
هارون بن عمر قال حدثنا أيوب بن سُوَيْد قال حدثنا يحيى بن يزيد عن عمر
ابن عبد الله اللَّيْثِيِّ [عن ابن عباس] قال :
^(٤)

قال عمر بن الخطاب ليلة مسيره إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ فأُتِيَتْهُ ؛ فَشَكَا
تُخَلَّفَ عَلَىَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَقُلْتُ : أَوَلَمْ يَعْتَذِرْ إِلَيْكَ ؟ قَالَ بَلَى ،
^(٦)

(١) سلمى بضم السين ، وليس في العرب سلمى بضم السين غيره . (٢) في شرح التبريزي على المعلقات :
١٥ « ... ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن ؛ ثعلبة بن برد بن لاطم (وفي هامش نسخة مخطوطة -
للزوزني محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٧٤ ادب ٢ : « الأظم ») بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة
ابن الياس بن مضر . وفي طبقات الشعراء لابن سلام : « ... ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن
ابن ثعلبة بن قور بن هزيمة بن لام بن عثمان بن مزينة » . (٣) في ح : « بن عثمان وهو عمرو الخ » .
٢٠ (٤) تكملة في السند يقتضيها سياق الخبر . (٥) الجابية : قرية من أعمال دمشق ثم من عمل
البيدور من ناحية الحولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران . ويقال لها جابية الحولان أيضا .
(عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) كذا في ١ ، ٢ . وفي سائر الأصول : « فأتاه ... فقال ... » .

قلت : فهو ما اعتذر به . ثم قال : أول من ريشكم عن هذا الأمر أبو بكر . إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة — ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فتركها أنا — ثم قال : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو أن حمداً يُخلدُ الناسَ أُخلدوا * ولكنَّ حمدَ الناسِ ليس بمُخلدٍ —

قلت : ذلك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاقل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . قال الأصمعي : يعاقل بين الكلام : يداخل فيه . ويقال : يتبع حوشي الكلام ، ووحشي الكلام ، والمعنى واحد .

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمحي عن أخيه قدامة بن موسى — وكان من أهل العلم — : أنه كان يقدم زهيراً . قلت : فأى سى كان اعجب إليه ؟ قال : الذي يقول فيه :

قد جعل المبتغون الخير من هيرم * والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري — ولم أربوياً يني به — عن عكرمة ابن جرير قال :

قلت لأبي : يا أبت من أشعر الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردت إلا الإسلام . فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها . قال : زهير أشعر أهلها . قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نبعة الشعر .

(١) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ق ١ ص ٢٧٦٨ — ٢٧٧١ فراجع .

(٢) يعاقل الكلام : يحمل بعضه على بعض ويتكلم بالرجوع من القول ويكرر اللفظ والمعنى . أو يعقده ويوالى بعضه على بعض . وكل شيء ركب شيئاً فقد ماظله . (السان في مادة عاقل) .

قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد مدح الملوك ويُصيب وصف الخمر . قلت :
فما تركت لنفسك ؟ قال : تحرت الشعر تحراً .

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عيسى
ابن زيد قال : قال عنه الأحنف
ابن قيس هو أشعر
الشعراء

٥ سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ؟
قال : ألقى بن "دحين فضول الكلام . قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :
فما يك من خير أتوه فإئما * توارثه آباء آبائهم قبل

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن
عمرو القيسيّ قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن
عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس ، قال : وحدثني غيره وهو أتم من
حديثه ، قال قال ابن عباس :
مدح عمر بن
الخطاب شعره
وروى منه

خرجت مع عمر في أول غزاة غزاه . فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس
أنشدني لشاعر الشعراء . قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سلمى .
قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاقل من المنطق ،
ولا يقول إلّا ما يعرف ، ولا يمتدح الرجل إلّا بما يكون فيه . أليس الذي يقول :
١٥ إذا ابتدرت قيس بن عيلان غايه * من المجيد من يسبق إليها يسود^(٢)

(١) الذي تقدّم في الصفحة السابقة : « يعاقل في الكلام » . والذي في اللسان وشرح القاموس

في استعمالات هذه المادة أنه يمدى بنفسه ، يقال عاقل الكلام كما يقال عاقل فيه و بينه .

(٢) يقول : إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غايه من المجيد تسود من سبق إليها كنت السابق

إليها . وقيس بن عيلان : قبيلة . (راجع الجزء السادس من الأغاني حاشية رقم ١ ص ١ من هذه الطبعة) .

..مَقَّتْ إِلَيْهَا كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ * سُبُوقٍ إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرِ مُزْنَدٍ
كَفَعَلَ جَوَادٍ يَسْبِقُ الْخَيْلَ عَفْوُهُ أَلْ * سَرَّاعٌ وَإِنْ يَجْهَدُ وَيَجْهَدُنْ يَبْعُدُ
وَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُحْمَدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ * لَكِنْ حَمْدُ النَّاسِ لَيْسَ بِمُحْمَدٍ
أَنَشِدْنِي لَهُ، فَأَنشِدْتُهُ حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ. قَالَ : حَسْبُكَ الْآنَ، اقْرَأِ الْقُرْآنَ، قُلْتُ :
وَمَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : اقْرَأِ الْوَاقِعَةَ، فَقَرَأْتُهَا وَزَلَّ فَأَذَّنَ وَصَلَّى .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ
أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ عِيسَى بْنِ يَزِيدَ بْنِ بَكْرٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ : نَحَرَجْتَ مَعَ عَمْرٍ،
ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ نَحْوَ هَذَا .

١٤٨
٩
١٠
وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْبٍ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ عَنْ حُمَيْدِ
ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الرَّهَرِيِّ عَنْ أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ يَرْفَعُهُ :
اسْتَعَاذَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَا قَالَ شِعْرًا حَتَّى
مَاتَ

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ وَلَهُ مِائَةُ مَنَّةٍ
فَقَالَ : «اللَّهُمَّ أَعِذْنِي مِنْ شَيْطَانِهِ» فَمَا لَكَ يَتَا حَتَّى مَاتَ .

١٥
قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَأَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ :
كَانَ مِنْ حَدِيثِ زُهَيْرٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ مُزْنِنَةٍ، وَكَانَ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَطْفَانَ جِيرَانَهُمْ، وَقَدْ مَاتُوا وَلَدَتْهُمْ بَنُو مُرَّةٍ . وَكَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي سُلَيْمٍ أَنَّهُ خَرَجَ
وَبِخَالِهِ أَسْعَدُ بْنُ الْغَدِيرِ بْنِ مُرَّةٍ بْنِ عَوْفٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضٍ وَأَبْنَهُ كَعْبَ
خَرَجَ أَبُوهُ أَبُو سُلَيْمٍ
مَعَ خَالِهِ وَابْنِ خَالِهِ
لَفَزَ طِيْلًا فَنَعَاهُ
حَمْدُهُ فِي الْمَنَمِ،
وَشِعْرُهُ فِي ذَلِكَ

(١) يقال : رجل طلق الدين إذا كان معطاء . وظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض بوجود بما
عنده من المدو . والمبرز : الذي سبق الناس إلى الكرم والخير . والتزند هنا : البخل أو اللئيم . ويروى :
« غير مجلد » أي يلقى إلى الغايات من غير أن يجلد ويضرب . (٢) في الأصول : « فيسر » .
والتصويب عن الديوان بشرح الأعلام ، ورواية البيت فيه :
٢ .

كَفَعَلَ جَوَادٍ يَسْبِقُ الْخَيْلَ عَفْوُهُ أَلْ * سَرَّاعٌ وَإِنْ يَجْهَدُنْ يَجْهَدُ وَيَبْعُدُ

ابن أسعد في ناس من بني مُرة يُغيرون على طي، فأصابوا نَعَمًا كثيرة وأموالاً فَرَجَعُوا
 حتى أَتَوْهُا إِلَى أَرْضِهِمْ . فقال أبو سُلمى لخاله أسعد وأبن خاله كعب : أَفَرِدا لى
 سَهْمى، فأبى عليه ومنعه حقه، فكفَّ عَنْهُمَا؛ حتى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَتَى أُمُّهُ فَقَالَ :
 وَالَّذِى أَحْلَفَ بِهِ لَتَقُومَنَّ إِلَى بَعِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْإِبِلِ فَلَتَقْعُدَنَّ عَلَيْهِ أَوْ لَأُضْرَبَنَّ بِسِيفِى
 تَحْتَ قُرْطَيْكِ، فقامت أُمُّهُ إِلَى بَعِيرٍ مِنْهَا فَأَعْتَقَتْ سَنَامَهُ، وساق بها أبو سُلمى وهو
 يرتجز ويقول :

وَيْلٌ لِّأَجْمَالِ الْعَجُوزِ مَنَّى * إِذَا دَنُوتُ وَدَنُوتَ مَنَّى

* كَأَنِّى سَمِعْتُ مِنْ جَنِّ *

— سَمِعْتُ : لَطِيفُ الْجِسْمِ قَلِيلُ اللَّحْمِ — وَسَاقَ الْإِبِلَ وَأُمُّهُ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى قَوْمِهِ مُزِينَةً .

فذلك حيث يقول :

وَلَتَعْدُونَ إِبِلَ مَجْنُونَةٍ * مِنْ عِنْدِ أَسْعَدَ وَأَبْنِ كَعْبِ

— مَجْنُونَةٍ : مَجْنُوبَةٍ —

الْآكِلِينَ مَسِيرِجَ قَوْمِهِمَا * أَكَلَ الْحَبَارَى بِرَعْمِ الرُّطْبِ^(١)

— الْبَرَعَمُ : شَجَرَةٌ وَلَهَا نَوْرٌ — قَالَ : فَلَبِثَ فِيهِمْ حِينًا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِمُزِينَةٍ مُغَيَّرًا عَلَى بَنَى دُبْيَانَ .

حتى إِذَا مُزِينَةٌ أَسْهَلَتْ وَخَلَّفَتْ بِلَادَهَا وَنَظَرُوا إِلَى أَرْضِ غَطَفَانَ، تَطَايَرُوا عَنْهُ

رَاجِعِينَ، وَتَرَكُوهُ وَحْدَهُ . فذلك حيث يقول :

مَنْ يَشْتَرِ فَرَسًا لَخِيرٍ غَزَوْهَا * وَأَبَتْ عَشِيرَةُ رَبِّهَا أَنْ تُسْهِلَا

(١) الحبارى : طائر يضرب به المثل في البلاهة والحق، وهو طائر صحراوي يبيض في الرمال النائية .

(٢) الرطب : الرعى الأخضر من البقل والشجر، وقيل جماعة العشب الأخضر .

(٣) الذى فى اللسان : أن البرعم كم ثمر الشجر والنور، وقيل هو زهرة الشجر ونور النبات قبل أن
 يفتح، وقد استشهد بهذا البيت .

يعنى أن: نَزَلَ السَّهْلَ . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مَرْيئة حتى دخل فى أخواله
بنى مُرَّة . فلم يزل هو وولده فى بنى عبد الله بن عَظْفَان إلى اليوم .

وقصيدة زهير هذه أَعْنَى :

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

قالها زهير فى قَتْل وَرْد بن حَابِسِ الْعَبْسِيِّ هِرَمَ بن صَمْضَمِ المُرِّيِّ الذى يقول فيه
عَتْرَةٌ وفى أخيه :

ولقد خَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَدْرُ * لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى أَبْنَى صَمْضَمِ

و يمدح بها هِرَمَ بن سِنَانٍ والحَارِثَ بن عَوْفٍ بن سَعْدِ بن ذُبْيَانَ المُرِّيِّينَ لَأَنَّهُمَا
أَحْتَمَلَا دِيَتَهُ فى مَالِهِمَا ؛ وذلك قول زهير :

سَعَى سَاعِيَا غِيْظَ بن مُرَّةَ بَعْدَمَا * تَنْبَزَلُ مَا بَيْنَ الْعِشِيرَةِ بِالدِّمِّ^(١)

يعنى بنى غِيْظَ بن مُرَّةَ بن عَوْفٍ بن سَعْدِ بن ذُبْيَانَ .

قال الأَثَرِيُّ أبو الحسن حَدَّثَنِى أَبُو عِيْنَةَ قال :

كَانَ وَرْدُ بن حَابِسِ الْعَبْسِيِّ قَتَلَ هِرَمَ بن صَمْضَمِ المُرِّيِّ ، فَتَشَاجَرَ عَبْسٌ وَذُبْيَانٌ
قَبْلَ الصَّلْحِ ، وَحَلَفَ حُصَيْنُ بن صَمْضَمِ أَلَّا يَغْسِلَ رَأْسَهُ حَتَّى يَقْتُلَ وَرْدَ بن حَابِسِ
أَوْ رَجُلًا مِنْ بَنَى عَبْسٍ ثُمَّ مِنْ بَنَى غَالِبٍ ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا ، وَقَدْ حَلَّ الْحِمَالَةَ^(٢)
الحَارِثُ بن عَوْفٍ بنُ أَبِي حَارِثَةَ ، وَقِيلَ بَلْ أَخُوهُ حَارِثَةُ بن سِنَانٍ . فَأَقْبَلَ رَجُلٌ^(٣)
وَقِيلَ بَلْ أَخُوهُ حَارِثَةُ بن سِنَانٍ . فَأَقْبَلَ رَجُلٌ^(٤)

(١) ما والفعل بتأويل المصدر . وتبزل : تشقق ، وبالدِّمِّ : يريد بسفك الدِّمِّ . يقول : سعى
هذان السيدان (هرم بن سنان والحارث بن عوف) فى إحكام المهاد بين عبس وذبيان بعد تشقق الألفة
والمودة بين القبيلة بسبب سفك الدِّمِّ بين عبس وذبيان . (انظر شرح ديوان زهير للأعلام الشنمري) .
(٢) الحِمَالَةُ : الدِّية . (٣) فى شرح التبريزى وابن الأثير على المملقات والأعلام الشنمري وشرح
تعلب لديوان زهير : « وقد حمل الحِمَالَةَ الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهرم بن سنان بن أبي حارثة » .
(٤) فى الأصول : « فأقبل على رجل الخ » والتصويب عن المصادر المتقدمة :

قال معلقته فى مدح
هرم بن سنان
والحارث بن عوف
وقد حملا دية هرم
ابن صمضم فى مالهما

من بني عيس ثم أحد بني مخزوم، حتى نزل بمحصين بن ضَمَضَم. فقال له حصين: مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟ قال: عَيْسَى. قال: مَنْ أَيْ عَيْس؟ فلم يزل يَنْتَسِبُ حتى أَنْتَسَبَ إلى بني غالب، فقتله حصين. وبلغ ذلك الحارث بن عَوْف وهَرَم بن سِنَان فَأَشْتَدَّ عليهما، وبلغ بني عيس فركبوا نحو الحارث. فلما بلغه ركوهم إليه وما قد أشْتَدَّ عليهم من قَتْلِ صاحبهم وأنهم يريدون قَتْلَ الحارث، بعث إليهم بمائة من الإبل معها أبنته، وقال للرسول: قل لهم: الإبل أحب إليكم أم أنفسكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الربيع بن زياد: يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم: «الإبل أحب إليكم أم أبني تقتلونه مكان قَتِيلِكُمْ». فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا، ونُتِمُّ الصُّلَحَ. فذلك حين يقول زهير يمدح الحارث وهَرَمًا:

١٠ * أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *

وهي أوَّل قصيدة مدح بها هَرَمًا، ثم تابع ذلك بعد.

وقد أخبرني الحسن بن علي بهذه القصة، وروايتها أتم من هذه، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

قصة زواج الحارث
ابن عوف بهيسة
بنت أوس ومحملة
الدية في ماله بين
عيس وذبيان

١٥

قال الحارث بن عوف بن أبي حلثة: أُرْأِنِي أُخْطَبُ إِلَى أَحَدٍ فِيرُدُّنِي؟ قال نعم. قال: وَمَنْ ذَاكَ؟ قال: أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمِ الطَّائِي. فقال الحارث لغلامه: أَرْحَلْ بِنَا، ففعل. فركبا حتى أتيا أَوْسَ بْنَ حَارِثَةَ فِي بِلَادِهِ فوجداه في منزله. فلما رأى الحارث بن عَوْف قال: مرحبًا بك يا حَارِ. قال:

٢٠ (١) هكذا في الأصول، ولم يذكر الخطاب الذي كان يحدثه. وباقي القصة يعين أنه خارجة بن سنان.

وبك . قال : ما جاء بك يا حار ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال : لست هناك . فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوس على امرأته مغضباً وكانت من عبس فقالت : من رجل وقف عليك فلم يُطَل ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي . قالت : فما لك لم تستنزل^(١) ؟ قال : إنه استحقق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً . قالت : أقربد أن تزوج بناتك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فندارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقه فترده . قال : وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه ؟ قالت تقول له : إنك ليقينتي مغضباً بأمر لم تقدم فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيفل . فركب في أثرهما . قال خارجة بن سنان : فوالله إني لأسير إذ حانت مني التفاتة فرأيتُهُ ، فأقبلت على الحارث وما يكلمني غماً فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا . قال : وما نصنع به ! امضي ! فلما رأنا لا تقف عليه صاح : يا حار اربع على ساعة . فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً . فبلغ أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة (لا كبر بناته) فأتته ، فقال : يا بنية ، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردت أن أزوجه منك فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة في وجهي ردة ، وفي خلقي بعض العهدة^(٢) ، ولست بأبنة عمه فيرعى رجلي ، وليس بمبارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما فيه . قال : قومي بارك الله عليك . ادعي لي فلانة (لا بنية الوسطى) ، فدعها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل

(١) في ب ، م : « لاستنزله » . (٢) كذا في ج . وفي سائر الأصول : « لم تقدم مني

فيه قولاً » . (٣) الردة : القبح مع شيء من الجمال . (٤) العهدة : الضعف .

- جوابها وقالت : إني نَحْرَاءُ وليست بيدي صِنَاعَةٌ ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطْلَقَنِي فيكونَ عليّ في ذلك ما تَعْلَمُ ، وليس بابنِ عمّي فيرعى حقّي ، ولا جارك في بلدك فيسْتَحْيِيكَ . قال : قومي بارك الله عليك . أدعى لي بهيْسةَ (يعني الصغرى) ، فأثي بها فقال لها كما قال لها . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إني قد عرضت ذلك على أَخِيكَ فَأَبْتَاهُ . فقالت — ولم يذكر لها مقاتليهما — لكنّي والله الجميلةُ وجهاً ، الصَّنَاعُ يداً ، الرِّفْعَةُ خُلُقاً ، الحَسِيَّةُ أبا ، فإن طَلَّقَنِي فلا أَخْلَفَ الله عليه بخير . فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلينا فقال : قد زوّجْتُك يا حارثُ بهيْسةَ بنتِ أَوْسَ . قال . قد قِيلْتُ . فأمر أمّها أن تُهيّئَها وتُصْبِحَ من شأنها ، ثم أمر بيتَ فُضْرَبَ له ، وأنزله إياها . فلما هَيَّئْتُ بعث بها إليه . فلما أَدْخَلْتُ إليه لَيْثَ هُنَيْمَةَ ثم خرج إلى .
- فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : ١٠ لما مَدَدْتُ يدي إليها قالت : مه ! أعند أبي وإخوتي ! ! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسيرنا ما شاء الله . ثم قال لي : فتقدّم فتقدمتُ ، وعدل بها عن الطريق ، فما لَيْثَ أن لَحِقَ بي . فقلت : أفرغت ؟ قال لا والله . قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أَيْكَا يُفْعَلُ بِالْأَمَةِ الْجَاهِلِيَّةِ أَوِ السَّيِّئَةِ الْأَخِيذَةِ ! لا والله حتى تنحَرَ الجُرُزَ ، وتذبح الغنمَ ، وتدعو العربَ ، وتعمل ما يعمل ١٥ لمثلي . قلت : والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجِبَةً إِنْ شَاءَ الله . فرحلنا حتى جئنا بلادَنَا ، فَأَحْضَرَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ، ثم دخل عليها ونحرج إلى . فقلت : أفرغت ؟ قال لا . قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها أريدها ، وقلتُ لها قد أَحْضَرْنَا مِنَ الْمَالِ مَا قَدْ تَرَيْنَ ، فقالت : والله لقد ذَكَرْتَ لي مِنَ الشَّرَفِ مالا أراه فيكَ . قلت : وكيف ؟ قالت : أَتَفْرُغُ لِنِكَاحِ النِّسَاءِ وَالْعَرَبِ تُقْتَلُ ٢٠ بَعْضُهَا ! (وذلك في أيام حرب عَبَسَ وَذُبْيَانِ) . قلت : فيكون ما ذا ؟ قالت : انحرج

إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إني لأرى همة وعقلاً ، ولقد قالت قولاً . قال : فأخرج بنا . فخرجنا حتى أتينا القوم فسينا فيما بينهم بالصلح ، فاصطالحوا على أن يحتسبوا القتلى ، فيؤخذ الفضل من هو عليه ، فحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجمل الذكركم . قال محمد بن عبد العزيز : فمدحوا بذلك ، وقال فيه زهير بن أبي سلمى قصيدته :

* أَمِنْ أُمَّ أَوْ قِي دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

فذكرهما فيها فقال :

تداركتما عبساً وذُبيانَ بعدما * تقانوا ودقوا بينهم عطرَ منشم^(١)
فأصبح يحمرى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال المزنم^(٢)
يتجمها قوم لقوم غرامة^(٣) * ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

وذكر قيامهم في ذلك فقال :

« صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو^(٤) »

(١) منشم زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة ، فتعالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقا تلوا حتى يموتوا ، فضرب زهير بها المثل ، أى صار هؤلاء في شدة الأمر بمنزلة أولئك . وقيل : هى امرأة من خزاعة كانت تبيع عطرا فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم فتشاءموا بها ، وكانت تسكن مكة . وفيه أقوال أخرى كثيرة واجمعها في لسان العرب (في مادة نثم) ومثال الميداني في «أشأم من منشم» وفي شرح الأعلام الشنرى لديوان زهير . (٢) الإفال : جمع أفيل وهو الصفيير من الإبل ، والمزنم : اسم لخل معروف . والتلاد : المال القديم الموروث . وإنما خص الإفال لأنهم كانوا يغمرون في الدية صغار الإبل . (عن الأعلام) . ويروى هذا البيت في شرح القاموس (في مادة «زئم») هكذا :

فأصبح يحمدى فيهم من تلادكم * مغانم شتى من إفال مزنم

(٣) يتجمها قوم : أى تجعل نجوما أى أقساطا على غارمها . يريد أن هذين الساعين حولا دماء من قتل وغرم فيها قوم من رططهما على أنهم لم يصبوا ملء محجم من دم ، أى أعطوا فيها ولم يقتلوا . (عن الأعلام) . (٤) فى ١ ، ٢ : « كان » .

١٥١
٩

وهي قصيدة يقول فيها :

تداركُنا الأحلافُ ^(١) قد نُثِّلَ عرشُها * وذُبيانَ قد زَلَّتْ بأقدامِها النُّعْلُ
وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجع فدخل بها ، فولدت له بنين وبنات .
وبما مدح به هيرمًا وأباه وإخوته وغنى فيه قوله :

مدح بقصيدته
القافية هيرما وأباه
وإخوته

صوت:

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْيَبْنَ فَأَنْفَرَا * وَعَلَقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءِ مَا عَلَقَا
وَأَخْلَفْتُكَ ابْنَةَ الْبَكْرِى مَا وَعَدْتُ * فَأَصْبَحَ الْحَبْلُ مِنْهَا وَاهِنًا ^(٢) خَلَقَا
قَامَتْ تَبْدَى بَدَى ضَالٍ لِيَحْزُنَنِي * وَلَا حَالَةَ أَنْ يَشْتَاقَ مَنْ عَشِقَا
يَجِيدُ مُغْزِلَةَ أَدْمَاءِ خَاذِلَةٍ * مِنْ الطَّبَاءِ تُرَاعَى شَادِنًا خَرِقَا

انفرك : انفعل ، من الفرقة . وأجدد وجدد بمعنى واحد ، من الحدد خلاف اللعب .
والواهن والواهى واحد ، والحبل : السبب ^(٣) في المودة . والضال : السدور الصغار ، واحدتها
ضالة . والحيد : العتق . والمغزلة : الظبية التى لها غزال . والأدماء : البيضاء .
والخاذلة : المقيمة على ولدها ولا تتبع الطباء . والشادين : الذى قد شذن أى تحرك
ولم يقو بعد . والخرق : الدهش .

١٥ غنى مالك فى الأول والثانى من الأبيات خفيف رمل بالوسطى ، وقيل إنه
لابن جامع ، وقيل بل لحن ابن جامع بالنصر . وفى الثالث والرابع لابن المكى رمل
صحيح من روايتي بذي الهشامى .

(١) الأحلاف : أسد وغطقان وطبي . وثل عرشها : أى أصابها ما كسرهما وهدمها . وذبيان :
قبيلة المدوحين وهم من غطفان . وإنما فصلهم منهم لأن حصين بن ضمضم المزي جنى عليهم الحرب وهو منهم
لأن مرة من ذبيان . ويقال « زلت بأقدامها النعل » إذا وقعت القبيلة فى حيرة وضلال . (عن الأعمى) .
٢٠ (٢) الخليط : المخالط ، ويقال للجمع أيضا خليط . (٣) فى ٢٠١ : « واهيا » بالياء المثناة .
(٤) فى ٢٠١ : « المحبة »

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هيرماً :

قد جعل المبتغون الخير من هيرم * والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً
من يَلْقَى يوماً على عِلَّاته هيرماً * يَلْقَى السَّاحَةَ منه والتَّدَى خُلُقاً
لَيْثٌ بَعَثَ بِصُطَادِ اللَّيْثِ إِذَا * مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقاً^(١)
يُطْعِمُهُمْ مَا أَرْتَمُوا حَتَّى إِذَا أَطْعَمُوا * ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا أَعْتَقَا^(٢)

ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هيرم سنان بن أبي جارثة . وذكر ابن الكلبي أنه
هو ي امرأة فاستقيم بها ، وتفاقم به ذلك حتى فُقِدَ فلم يُعرف له خبره . فترعم
بنو مرة أن الحنَّ استنطارته فادخلته بلادها ، وأواسعجلته لكرمه . وذكر
أبو عبيدة أنه قد كان هيرم حتى بلغ مائة وخمسين سنة ، فهام على وجهه خرقاً
ففقِد . قال : فرعم لي شيخ من علماء بني مرة أنه خرج لحاجته بالليل فأبعد ،
فلما رجع ضل فهم طول ليلته حتى سقط فمات ، ونسج قومه أثره فوجدوه ميتاً .
فرثاه زهير بقوله :

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا * مَا تَبْنَى غَطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتْ^(٣)

(١) عشر : (تشديد الناء) اسم موضع باليمن ، وقيل : هي أرض نأسدة بناحية تبالة .

(٢) في حد والديوان : « الرجال » . (٣) كذب : أي لم يصدق الجملة . يقال : كذب

الرجل عن كذا إذا رجع عنه . يقول : إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الجملة عليه فهذا المندوح

يصدقها . (عن الأعلام) . (٤) اعتنق : ابرم قرنه . يقول : إذا ارتعى الناس في الحرب بالنبل

دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم ، فاذا تقاعنوا ضارب بالسيف ، فاذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قرنه

والتزمه ، أي أنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب . (عن الأعلام) . (٥) الأبيات الآتية

في الرثاء . والرثاء ضرب من المدح . (٦) في الأصول : « مثل » وهو تحريف .

(٧) في الأعلام : « وقيل إنما رثى بالآيات حصن بن حذيفة » . (٨) في ٢٠ ، ٢١ :

« بعدها » . (٩) يقال : ضل فلان الطريق وأضل بغيره يقال الأول للثابت والثاني لغيره .

خرف سنان بن
أبي جارثة ثم مات
فرثاه

إِنَّ الرَّكَّابَ لَتَبَتَنِي ذَا مِرَّةٍ * بِجَنُوبٍ نَجْدٍ إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتْ
يَتَعَيْنَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ شَدِيدَةٍ * عَظُمَتْ مَصِيبَتُهُ هُنَاكَ وَجَلَّتْ
وَمُدْفَعُ ذَاقِ الْهَوَانِ مَلْعِنٌ * رَاخِيَتْ عُقْدَةُ حَبْلِهِ فَأَنْحَلَّتْ^(٣)
وَلِنِعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ كَانَ إِذَا سَطَا^(٤) * نَهَلَتْ مِنَ الْعَلَقِ الرِّمَاحُ وَعَلَّتْ
وَالَّذِي فِيهِ غِنَاءٌ مِنْ مَدَائِحِ زُهَيْرٍ قَوْلُهُ :

١٥٢

أشعاره غنى فيها

صوت

أَمِنْ أُمِّ سَامِي عَرَفَتِ الطُّلُولَا * بِذِي حُرُصٍ مَائِلَاتٍ مَثُلَا
يَلِينَ وَتَحَسَّبُ آيَاتِهِنَّ * عَلَى فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقًّا مَجِيلَا^(٥)
المبائل هاهنا: اللاطم بالارض، وفي موضع آخر: المتصصب القائم. وذو حُرُصٍ:
موضع. والحُرُصُ: الأشنان. وآيَاتُهُنَّ: علامَاتُهُنَّ. وفَرْطُ حَوْلَيْنِ: تَقَدُّمُ
حَوْلَيْنِ، والفَارِطُ: المتقدم.
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِسْحَاقُ، وَلَهُ فِيهِمَا لَحْنَانٌ: أَحَدُهُمَا ثَانِي ثَقِيلٌ بِإِطْلَاقِ
الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ، مِنْ كِتَابِهِ. وَالْآخَرُ مَاخُورِيٌّ مِنْ مَجْمُوعِ غِنَائِهِ، وَرَوَايَتُهُ عَنْ
الْحِشَامِيِّ. وَفِيهِمَا لِلزُّبَيْرِ بْنِ دَحْمَانَ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو. يَقُولُ فِيهَا:
إِلَيْكَ سِنَانُ الْغَدَاةِ الرَّحِيبِ * لُ أَعْصَى النُّهَاءَ وَأَمْضَى الْفُرُولَا
جَمْعُ قَالَ، أَيْ لَا أَنْطِيرُ.

- (١) الركاب: الإبل، والمراد راجبها. وذات مرة أي ذاعقل ورأى مبرم. وقوله «إذا
الشهور أحلت» أي إذا دخلت الشهور التي يحل فيها الغزو. (٢) في ديوان زهير بشرح الأعلام
النحوي: «بجنوب نخل». (٣) في ١، ٢، ٣: «بكله» والكجل: القيد.
(٤) في شرح الأعلام: «ولعم حشو الدرع أنت لنا إذا». (٥) العلق: الدم.
(٦) في شرح الأعلام: «أمن آل ليلى الخ». (٧) في شرح الأعلام: «عن». (٨)
المجبل: الذي أتى عليه حول. شبه رسوم الدار برق مكتوب قد أتى عليه حول بحيث يتغير ويدرس.

(١) فلا تَأْمَنِي غَزْوَ أَفْرَاسِهِ * بَنِي وَائِلٍ وَأَحْذَرِيهِ جَدِيلًا
وكيف آتَقَاءُ أَمْرِي لَا يَأْوُو * بَ بالقوم في الْفَزْوِ حَتَّى يُطِيلَا^(٢)
ومن الْغِنَاءِ فِي مَدَائِحِ هَرِيمِ قَوْلُهُ .

صوت

قِفْ بِالْذِّيارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ * بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ
كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِ^(٣) * وَعِبْرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَّ
غَرِبٌ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلَوْ قَلِقُ * فِي السَّلَكِ خَانَ بِهِ رَبَّاتُهُ النَّظْمُ
الدِّيمُ : جَمْعُ دَيْمَةٍ وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يَدُومُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ مَعَ سَكُونٍ . سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ :
أَي سَارُوا فِيهِ سِيرًا سَرِيعًا ، وَالسَّلِيلُ : وَادٍ . وَقَوْلُهُ وَعِبْرَةٌ مَا هُمْ أَي هُمْ عِبْرَةٌ ، وَمَا هَاهُنَا
صِلَةٌ . لَوْ أَنَّهُمْ أَمَّ أَي قَصَدُوا كُنْتُ أَزْوَاجَهُمْ . وَالْأَمُّ : بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَالْقَلِقُ :
الَّذِي لَمْ يَسْتَقِرْ لِمَا أَنْقَطَعَ الْخَيْطُ ، وَالنَّظْمُ : جَمْعٌ وَاحِدُهَا نِظَامٌ ، شَبَّ دُمُوعَهُ بِلَوْلَوْ
أَنْقَطَعَ سِلْكُهُ ، وَبِمَاءِ سَالَ مِنَ الْغَرَبِ .

الْغِنَاءُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ رَمْلٌ لِابْنِ الْمَكِيِّ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَذَكَرَ عَمْرٍو أَنَّ
لِإِسْحَاقَ فِيهَا لَحْنًا أَيْضًا . وَذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ فِيهَا لَحْنًا لِمَالِكٍ .

صوت

لِمَبِّ الدِّيارِ بَقْنَةُ الْحَجْرِ * أَقْوِينَ مُذْجِجٍ وَمُذْذَهَرٍ^(٤)

- (١) يريد : يابني وائِل لا تأمني غزوه فرسانه ، وياجديلة احذريه . وياجديلة أمهم وعدوان ، وكان
سنان يجاورهم . (عن الأعمى) . (٢) أي هو مطيل للفرز لأنه يتبع أقصى أعدائه فلا يؤوب بالقوم
من غزوه إلا بعد مدة طويلة . فاتقاء مثل هذا أشد اتقاء . (عن الأعمى) . (٣) روى في لسان
العرب مادة أم : « وجيرة » وكذلك روى في مادة سلال مردفا بقوله : « ويروي : وعبرة » .
(٤) أي هم سبب بكائي وحناني . (٥) الحجر : موضع بعينه وهو حجر الجمامة .
(٦) في ج وديوانه : « من حجج ومن شهر » .

لَعَبَ الرِّيحُ بِهَا وَغَيْرَهَا * بَعْدَى سَوَافِي الرِّيحِ وَالْقَطْرِ^(١)
دَعَا ذَا وَعْدَ الْقَوْلِ فِي هَيْرِم * خَيْرَ الْكُھُولِ وَسَيِّدَ الْحَضِيرِ
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشِيرٍ * كُنْتُ الْمُنَوَّرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

الْقِنَّةُ : الحبل الذي ليس بمنتشر . أَقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . وَالسَّوَافِي : مَا تَمَسَّى الرِّيحُ^(٢) .
قَالَ : وَالْقَطْرُ مَخْفُوضَةٌ بِنَسْقِهِ عَلَى الرِّيحِ^(٣) ، وَالْقَطْرُ لَا سَوَافِي لَهُ^(٤) . وَهَذَا تَفَعُّلُهُ الْعَرَبُ
فِي الْمَجَاوِرَةِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ : مُجْرَضِبٌ نَحْرِبُ .

١٥٣
٩

غَنَّى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ سَائِبُ خَاثِرٍ مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَجْنَسْ . وَفِيهِ ثَقِيلٌ
أَوَّلُ بِالْيَنْصَرِ تَسْبِيهِ عَمْرُو بْنِ بَابَتَةَ إِلَى مَعْبَدٍ ، وَنَسَبَهُ غَيْرُهُ إِلَى سَائِبٍ ، وَإِلَى الْأَوْسِيَّةِ
مِمَّا ذَكَرَ حَبَشٌ . قَالَ : وَهِيَ مِنْ قِيَانِ الْحِجَازِ الْقِدَائِمِ مَوْلَاةٌ لِلْأَوْسِ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ يَمْدَحُ سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ :

صوت

صَحَّ الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو^(٥) * وَأَقْفَرَ مِنْ سَلَمَى التَّعَانِيْقُ فَالْتَقَلُ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلَمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا * عَلَى صَيْرِ أَمْرِ مَا يُمَرُّ وَمَا يَحْلُو
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ * مَضَّتْ وَأَجَمْتُ حَاجَةُ الْغَدِ مَا تَحْلُو
وَكُلُّ مَحَبٍّ أَحَدَتِ النَّأْيُ عِنْدَهُ * سُلُوفُؤَادٍ غَيْرَ حِكِّ مَا يَسْلُو
تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ الْأَحِبَّةِ بَعْدَ مَا * هَجَعْتُ وَدَوْنِي قُلَّةُ الْحَزَنِ فَالْرَمْلُ

- (١) فِي شَرْحِ الْأَعْلَمِ : « الْمَوْدُ » وَهُوَ التَّرَابُ .
(٢) هَذَا عَلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَسِّسُ . وَعَلَى رِوَايَةِ الْأَعْلَمِ يَرَادُ بِالسَّوَافِي الرِّيحَ ، يَعْنِي أَنَّ الرِّيحَ
وَالْأَمْطَارَ تَرَدَّدَتْ عَلَى هَذِهِ الدِّيَارِ حَتَّى عَفَتْ رَسُومَهَا وَغَيَّرَتْ آثَارَهَا بِمَا سَفَتِ الرِّيحُ عَلَيْهَا مِنَ التَّرَابِ وَمَحَتِ
الْأَمْطَارُ مِنَ الْآثَارِ . (٣) فِي الْأَصُولِ : « عَلَى الرِّيحِ » . (٤) إِذَا فَسَرَتِ السَّوَافِي
بِالرِّيحِ نَبِيضُهَا أَنَّ يَكُونُ الْقَطْرُ مِمَّا تَسْفِيهِ الرِّيحُ . (٥) فِي ٢ ، ٤ : « كَانَ » .

فَأَسْمَتْ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى * وَمَا تُحِفَّتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ^(١)
لَا رَتِيلًا بِالْفَجْرِ ثُمَّ لَدَا بَنَتْ * إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعْرِجَنِي طِفْلُ^(٢)
وَهَلْ يُنِيتُ الْخَطَى إِلَّا وَشِيجُهُ * وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(٣)

التَّعَانِيْقُ وَالثَّقْلُ : موضعان . وَيُرَوَّى : فَالْتَّخَلُّ : وقوله على صير أمر : أى على
شرف أمر . وَأَجَمْتُ : دَنَنْتُ . وَتَأَوَّنَى : أَتَانَى لَيْلًا . وَالتَّأَوِيْبُ : سِيرُ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ .
تُحِفَّتْ : حُلِقَتْ ، يُقَالُ سَحَفَ رَأْسَهُ وَسَهَنَهُ وَجَلَطَهُ : حَلَقَهُ . وَقَوْلُهُ "يُعْرِجَنِي طِفْلُ" قَالَ
يُقَالُ الطَّفْلُ : اللَّيْلِ ، وَيُقَالُ الطَّفْلُ : مَغِيبُ الشَّمْسِ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الطِّفْلُ :
الْحَزَنُ ، وَإِقَادَةُ نَارِ التَّحْيِيرِ . وَالْخَطَى : زِمَاحٌ نَسَبَهَا إِلَى الْخَطِّ وَهِيَ مِنْ جَزِيرَةٍ بِالْبَحْرَيْنِ
تُرْفَأُ إِلَيْهَا سُفُنُ الرِّمَاحِ . وَالْوَشِيجُ : الْقَنَا وَاحِدُهَا وَشِيجَةٌ . وَالْوَشُوجُ : دُخُولُ الشَّيْءِ
بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ .

غَنَى إِبْرَاهِيمُ الْمُوَصَّلَى فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثَقِيلًا أَوَّلَ الْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ
الْمُهْشَمِيِّ وَعَمْرُو . وَغَنَى إِبْرَاهِيمُ أَيْضًا فِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ .
وَفِي الثَّلَاثِ لِمَعْبُدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَأَمَلَوِيهِ فِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ خَفِيفٌ رَمَلٌ . وَذَكَرَ
حَبَشَ أَنْ لِيَبْرَاهِيمَ فِي الثَّامِنِ . لَحْنًا مَا خُورِيًّا .
وَمِنْ الْغِنَاءِ فِي مَدَائِحِهِ هَرَمًا قَوْلُهُ :

صوت

لَمِنْ طَلَّلَ بِرَامَةِ لَا يَرِيمُ^(٤) * عَفَا وَأَحَالَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ^(٥)

- (١) المقاديم : جمع مقدم الرأس ، وأراد بالقمل : الشعر الذى فيه القمل ، على تقدير مضاف ،
أى وشعر القمل . وقد يراد بالقمل على معناه فانه تابع ومسحوف مع المقاديم وشعرها .
(٢) هذا البيت وارد في ديوانه في القصيدة بعد أبيات عدة لم يذكرها أبو الفرج ، وقبله :
فأيك من خير أتوه فأنما * توارثه آباء آبائهم قبل
(٣) نار التحير : هى النار التى توقد لهداية الحائر . (٤) لا يريم : لا يرج .
(٥) رواية الديوان : * عفا وخلاله حقب قديم *

تَطَالَعْنِي خِيَالَاتٌ لَسَامِي * كَمَا يَتَطَالَعُ الدِّينَ الْغَرِيمُ

غَنَاهُ دَحْمَانٌ ثَانِي ثَقِيلُ الْبِنَصْرِ عَنْ عَمْرٍو . وَعَقَا : درس هاهنا ، وفي موضع آخر :
كثُرَ ، وهو من الإضداد . وخيالاتٌ : جمع خيال .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى قالوا حدثنا
عمر بن شبة ، وقال المهلبى في خبر له عن الأصم : قال :

أنشد عمر رضي الله
عنه شعرا له في هريم
ابن سنان فانه

أَنَشِدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَوْلَ زُهَيْرٍ فِي هَرِيمِ بْنِ سِنَانٍ يَمْدَحُهُ :

دَعَا ذَا وَعْدَ الْقَوْلِ فِي هَرِيمِ * خَيْرَ الْكُهُولِ وَسَيِّدَ الْخَضِيرِ
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشِيرِ * كُنْتُ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
وَلَأَنْتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ * إِشْوَابِكَ الْأَرْحَامِ وَالصَّهْرِ
وَلَيْنَمَ حَشَوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا * دُعِيَتْ نَزَالٍ وَجَلَّ فِي الدُّعْرِ
وَأَرَاكَ تَقْرِى مَا خَلَقْتَ وَبَدَ * ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِى
أُنِّي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَمَا * أَسْلَفَتْ فِي النَّجْدَاتِ مِنْ ذِكْرِ
وَالسُّرُودِ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

فقال عمر : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال وقال عمر لبعض ولد هريم : أنشدني بعض مدح زهير أباك ، فأنشده .
فقال عمر : إن كان ليحسن فيكم القول . قال : ونحن والله إن كنا لنحسب له العطاء .
فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

قال عمر لبعض
ولد هريم قد خلد
ذكره لكم

(١) في ٢٠٤ : « لز » بالزاي .

(٢) تقرى : تقطع . وخلقته أى قدرت الأديم وهياته للقطع والخرز . والمعنى : أنك إذا
تهيات لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يقدر الأمر ويتهيا له ثم لا يقدم عليه ولا يعضيه
عجزاً وضعف همة . (عن شرح الأعمى) .

قال : وبلغني أن هيرمًا كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه : عبداً أو وليدة أو فرساً . فاستجيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملاء قال : عموا صباحاً غير هيرم ، وخيركم أستثيت . وروى المهلبي : وخيركم تركت .

حلف هيرم أن يعطيه كلما لقيه

سأل عمر ابنه عن
الحلل التي كساه
أياها هيرم فأجابته

أخبرني الحوهرى والمهلبى قالوا حدثنا عمر بن شبة قال : قال عمر لابن زهير : ما فعلت الحلل التي كساه هيرم أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحلل التي كساه أبوك هيرم لم يبلها الدهر . وقد ذكر الهنيم ابن عدي أن عائشة خاطبت بهذه المقالة بعض بنات رميم

شعر له مدح يا
هرما ولم يسبقه
إليه أحد

وقال أبو زيد عمر بن شبة : ونما سبق فيه زهير في مدح هيرم ولم يسبقه إليه أحد قوله :

قد جعل المبتغون الخير من هيرم * والسائلون إلى أبوابه طرُفاً
من يأتى يوماً على مآلاته هرواً * يلقى السباحة منه والندى حُلُفاً
يطلب شأواً أمرأين قدما حسناً * بدأ الملوك وبدأ هذه السوفاً
هو الجواد فإت يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثلُه لحفاً
أو يسبقاه على ما كان من مهيل * فمثل ما قدما من صالح سببقا

(١) رواية هذا البيت في شرح الأعلام للديوان .

يطلب شأواً أمرأين قدما حسناً * نالا الملوك وبدأ هذه السوفاً

وأراد بالمرأين : أباه وجده . يقول : تساوى أبواب الملوك وسبقاً أوساط الناس وهو يطلب سبقهما ، وذلك شديد لأتهما لا يجازيان في فعل . (عن شرح الأعلام) . (٢) المهمل : التقدّم . يقال أخذ فلان المهلة والمهمل على فلان إذا تقدمه . يقول : إن المدح معذور إذا سبقه أبواب وأخذنا عليه المهلة في الشرف ؛ لأن مثل فعلهما وما قدما من صالح سعيهما سبق من جاراها . (عن شرح الأعلام) .

أخبرني الجوهري والمهلي قالاً حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني:
قال عبد الملك بن مروان: ما يضُرُّ من مدح بما مدح به زهير آل أبي حارثة
من قوله:

مدح عبد الملك
ابن مروان شعره
في مدح آل أبي
حارثة

على مُكثِرِهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ * وعند المقلين السَّامَةِ والبَندُلِ
أَلَا يَمْلِكُ أُمُورَ النَّاسِ (يعني الخلافة) . قال ثم قال: ما ترك منهم زهير غنياً
ولا فقيراً إلا وعده ومدحه .

وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي: أنشد عثمان بن عفان قول زهير:
ومهما تكن عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ * وإن خالها تخفى على الناس تُعَلِّمُ
فقال: أحسن زهير وصدق، لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس .
قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تعمل عملاً تَكْرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ عَنْكَ بِهِ » .

مدح عثمان بن
عفان شعرا له

قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جعدويه:
أن عروة بن الزبير لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله بن
الزبير فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه، وإذا دخل عليه وغنذه أهل الشام
استخف به . فقال له يوماً: يا أمير المؤمنين، بئس المزور أنت؛ تُكْرِمُ ضيفك
في الخلاء، وتُهَيِّنُهُ في المَلَأِ، وقال: لله دَرُّ زهيرٍ حيث يقول:

تمثل عروة بن الزبير
بيت له وقد
استخف به عبد
الملك بن مروان

فَقَرَّيْ فِي بِلَادِكَ إِنَّا قَوْمًا * مَتَى يَدْعُوا بِلَادَهُمْ يَهْوُوا
ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة، فقضى حوائجه وأذن له . وهذا البيت من قصيدة
لزهير قالها في بني تميم، وقد بلغه أنها حشدت لغزو غطفان؛ أولها:

١٥٥
٩

(١) يعتريهم: يقصدهم ويطلب ما عندهم .

(٢) في أكثر النسخ: «فقال» وفي ج: «قال»

ألا أبلغُ لديك بني تميم * وقد يأتيك بالخبر الظنون
الظنون : الذي لست منه على ثقة ، والظنين : المتهم .

وقال ابن الأعرابي :

شعره في الحارث

ابن ورقاء وقوله

أخذ إبله وغلّاه

كان الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد أثار على بني عبد الله بن غطفان

فغنم فاستاق إبل زهير وراعيه يساراً . فقال زهير :

٥ بان الخليط ولم يأنوا لمن تركوا . وزودوك أشتياقاً أي به أسكوا

وهي طويلة يقول فيها :

١٠ لئن حللت يحمو في بني أسد * في دين عمرو وحالت بيننا فذلك

ليأتينك مني منطلق قدع * باقي كما دس القبطية (٥) الودك

فأردد يساراً ولا تعنف عليه ولا * تمعك بعرضك إن الغادر الملعك

ولا تكونن كأقوام عليهم * يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا

٢٠ طابت نفوسهم عن حق خصمهم * خافة الشر وأرتدوا لما تركوا

(١) كذا في ب ، س . وفي سائر النسخ : « فاستخف » . (٢) كذا في الديوان .

وفي الأصول : « إن الخليط » . والخليط : الأصحاب المخالطون في الدار . ولم يأنوا : أي لم يرجعوا

١٥ ولم يرجعوا . (٣) جو : واد . (٤) كذا في ج والديوان وياقوت في كلامه على فذلك .

والمراد بدين عمرو : طاعته وسلطانه . وعمرو هو عمرو بن هند الملك . وفي سائر النسخ وياقوت في كلامه

على دير عمرو : « دير عمرو » . وقال : « دير عمرو : جبال في طي قرب قرية لهم يقال لها جو » .

ثم ذكر هذا البيت والذي بعده . وفذلك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة . (٥) كذا

في الديوان . والقبطية (بضم القاف) : ثياب تكان بيض رفاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكسر القاف)

٢٠ على غير قياس . وفي الأصول « القبطية » وهو تحريف . والودك : الدسم . يقول : لئن حللت بحيث

لا أدركك ليردن عليك هجوى ولأدسن به عرضك كما يدنس الودك القبطية . (٦) الملعك : المطلق

وزنا ومعنى . والملعك (بكسر العين) : المطول . يقول : لا تمطلي يسار فطلاك غدر . وكلها مطلتي لحق ذلك

بعرضك . (٧) يلوون ما عندهم أي يملطون بما عليهم من الدين . ونهكوا : شتوا وبولغ في هيجانهم .

(عن شرح الأعم) . (٨) أي لما أودوا بالهيباء دفعوا لحق إلى صاحبه وأرتدوا إلى إعطاء ما يكافؤوا

٢٥ تركوه ومنعوه من الحق خافة من الشر وإبقاء على أعراضهم . (عن شرح الأعم) .

وفي هذه القصيدة مما يغني فيه :

صوت

أَهْوَى لها أَسْفَعُ الخَدَيْنِ مُطَرِّقٌ * رِيَشَ القَوَادِمِ لَمْ يُنْصَبْ لَهُ شَرَكُ^(١)
وَقَدْ أَكُونُ أَمَامَ الْإِثْمِ تَحْمِلُنِي * جَرْدَاءُ لَا فَحْجَ فِيهَا وَلَا صَكَكُ^(٢)

- أَهْوَى لها — يعني القطة تقدم وصفه إياها — صَقَرٌ . ورواه الأصمعي : "هوى لها"
وقال : هوى : آتَقَضَّ ، وأهوى : أوفى . ومُطَرِّقٌ : ريشه بعضه على بعض ليس بمنتشر ،
وهو أَعْتَقُ له . وقوله لَمْ يُنْصَبْ لَهُ شَرَكُ : أي لَمْ يُصْطَدْ وَلَمْ يُدَلَّلْ . والتوادم : العشر
المتقدّمات . والفحج : تباعد ما بين الفخذين . والصكك : أصطكاك العرقوين
في الدواب ، وفي الناس الركبتين . قال : فلما أُنْشِدَ الحارثُ هذا الشعر بعث بالغلام
إلى زهير . وشيل : بل أنشد قول زهير :

تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ * يُنَادِي فِي شَعَارِهِمْ يَسَارُ^(٣)
وَلَوْلَا عَسْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ * وَشَرِّ مَنِجَّةٍ أَيْرَ مَعَارُ^(٤)
إِذَا جَمَحَتْ نَسَاؤُكُمْ إِلَيْهِ * أَشْطَ كَأَنَّهُ مَسْدٌ مَغَارُ^(٥)

- (١) رواية الديوان بشرح الأعراس : « لم ينصب له انتبك » . ونصب ريش القوادم على التشبيه
بالمفعول به ، كما تقول : زيد حسن الوجه ، ينصب الوجه . (راجع شرح الأعراس) . (٢) هكذا غنى
في هذا البيت . وأصله كرواية الديوان :

وَقَدْ أَرَوْحُ أَمَامَ الْحَيِّ مُقْتَنِصًا * مُقَرَّرًا مَرَاتِعَهَا الْقِيَعَانُ وَالْبَبَكُ
وَصَاحِبِي وَرْدَةٍ نَهْدٌ مَرَاكِلُهَا * جَرْدَاءُ لَا فَحْجَ فِيهَا وَلَا صَكَكُ

- (٣) الشعار : علامة القوم في سفرهم : اسم رجل أو شيء قد عرفوه فيما بينهم إذا دعوا به عرفوه .
وإنما أراد أن يسارا صارعبا عليهم يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم . (عن شرح الديوان لثعلب) .
(٤) العسب : الضراب والنكاح أو هو ماء الفحل . (٥) المنجعة : العارية . (٦) في شرح
الأعراس : « عسب » . (٧) رواية اللسان في مادة شظط : « جنحت » . (٨) كذا في
الديوان . وأشط : أنعط واشتد . وفي الأصول : « أشد » . والمسد : الحبل . والمغار : الشديد القتل .

(١) (٢)

يبربر حين يعدو من بعيد * إليها وهو قَبْقَابٌ قَطَارٌ

فَرَدَّه عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرْسِلْ به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير
عند ذلك :

أبلغ لذيب بنى الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمْ * أَتْ يَسَارًا أَمَّا غَيْرَهُمْ فَمُلُولٌ

ولا مُهَانٍ ولكن عند ذى كَرِيم * وفى جِبَالٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُولٌ^(٣)

وهى قصيدة . فقال الحارث لقومه : أَيُّهَا أَصْلَحُ : ما فعلتُ أو ما أريدُكم؟ قالوا :
بل ما فعلت .

كان يذكّر فى شعره
غطفان وأخواله
بنى مرة ويمدحهم

قال ابن الأعرابيّ وحديثي أبو زياد الكلّابيّ :

١٥٦
٩

أَنَّ زُهَيْرًا وَأَبَاهُ وَوَلَدَهُ كَانُوا فِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ ، وَمِنْهُمْ الْيَوْمَ بِالْحَاجِرِ ،
وَكَانُوا فِيهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَكَانَ أَبُو سَلَمَى تَزَوَّجَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي فُهَيْرِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ
عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ دُبْيَانَ يُقَالُ لَهُ الْغَدِيرُ — وَالْغَدِيرُ هُوَ أَبُو بَشَّامَةَ الشَّاعِرُ — فَوَلَدَتْ لَهُ
زُهَيْرًا وَأَوْسًا ، وَوُلِدَ لَزُهَيْرٍ مِنْ أَمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سُحَيْمٍ . وَكَانَ زُهَيْرٌ يَذْكُرُ فِي شِعْرِهِ بَنِي مُرَّةَ
وِغَطَفَانَ وَيَمْدَحُهُمْ . وَكَانَ زُهَيْرٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَيِّدًا كَثِيرَ الْمَالِ حَلِيمًا مَعْرُوفًا بِالْوَرَعِ .

(١) يبربر : يصوت . والقَبْقَابُ : من القَبْقَبَةِ وهى هدير الفحل . والقطار (بضم أوله) : وصف

من القطر أى يسيل ، وقيل عن أبي محمد : المتصب الرافع رأسه . (عن شرح ثعلب) .

١٥

(٢) كذا فى حدّ الديوان بشرح الأعم . وفى الديوان بشرح ثعلب : « يندو » بالغين المعجمة .

وفى سائر الأصول : « يندو » . (٣) ورد هذا الشطر فى شرح الديوان فلا علم الشنمريّ هكذا :

« وفى حبال وفى غير مجهول » . والحبال : العهود والذمم .

(٤) فى الأصول : « بالحاجز » بإزاي وهو تصحيف . (٥) كذا فى شرح ثعلب ، وقد

صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى كذلك فى نسخه ، ويرجح ما ساقى فى ص ٣١٢ من هذه الترجمة .

٢٠

وفى الأصول هنا : « الغابر » . (٦) كذا فى شرح الديوان لثعلب فى الدخول على قصيدته

الهمزية . وفى الأصول : « هو أبو يسار هذا » وهو محريف .

شكا اليه رجل من
غطفان بنى عليهم
ابن جناب فهجاهم

قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد :

أنه بلغه أن زهيراً هجا آل بيت من كلب من بنى عليهم بن جناب^(١)، وكان بلغه عنهم
شيء من وراء وراء، وكان رجل من بنى عبد الله بن غطفان أتى بنى عليهم^(٢)، وأكرموه
لما نزل بهم وأحسنوا جواره، وكان رجلاً مولعاً بالقمار فهو عنه، فأبى
إلا المقامرة . فمر مرة فردوا عليه، ثم قرأ آخرى فردوا عليه، ثم قرأ الثالثة فلم يردوا
عليه، فترحل عنهم وشكا ما صنعه به إلى زهير، والعرب حينئذ يتقون الشعراء آتقاءً
شديداً . فقال : ما نرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله بعقوبة لهجائي
قوماً ظلمتهم . قال : والذي هجاهم به قوله :

عقا من آل فاطمة الجواء * قيمن بالقوادم فالحساء^(٣)
فدوتناش فميث عربتنا^(٤) * عفتها الریح بعدك والسماء^(٥)
بحرت سنا فقلت لها أجزى * نوى مشمولة فتى اللقاء
كان أوابد الثيران فيها * هجانن في مغاينها الطلاء
لقد طالبتها ولكل شيء * وإن طالت لجأته آتباء
وقد أغدو على شرب كرام^(٦) * دشأوى واجدين لما نشأ
لهم طاس وراووق ومسك^(٧) * تعل به جلودهم وماء

الجواء : أرض . ويمن والقوادم : في بلاد غطفان . والميث : جمع ميثاء . قال
أبو عمرو : إذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادى أو ثلثيه فهي ميثاء . والسماء هاهنا :

(١) كذا في شرح ثعلب والمعارف لابن فتيحة . وفي الأصول : « حبان » وهو تحريف .

(٢) في الأصول : « غلب » وهو تحريف . (٣) الحساء : في بلاد غطفان .

(٤) ذر هاش : وضع في بلاد غطفان . (٥) عربتنا : اسم واد . (٦) رواية الديوان :

* وقد أغدو على ثبة كرام *

والثبة : الجماعة من الناس . (٧) رواية الديوان : « لهم راح » .

المطر، والبسائح : ما أقبل من شمالك يريد يمينك . والبارح : ضده . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل روبة عن السائح والبارح فقال : السائح : ما ولّاك ميامنه . والبارح : ما ولّاك مبشائه . وأجيزي : انقضى . قال الأصمعي : يقال أجزت الوادي إذ قطعتَه وخلفته، وجرته : إذا سرت فيه فتجاوزته . والأوايد : الوحشية . والهجائن : لبيل بيض . والمغابن : الأرفاغ، واحدها مغين . ومشمولة^(١) : سريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة، فأجرى ذلك مجرى الذم، فهذه السنح .

غنى في الأول والثاني والسابع معبدًا ثقیلاً أول بالسيابة في نبري الوسطى عن إسحاق . وذكر علي بن يحيى أن للغريض فيها خفيف ثقيل . وذكر حبش أن فيه للهدلي ثانی ثقیل بالوسطى . وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو :

بنفسى من تذكره سؤام * أعالجه ومطلبه عنا

في هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها، ذكر إسحاق أنه للغريض، وغيره ينسبه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة . وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يشك فيه من غنائه .

١٥٧
٩

طلب من خاله
بشامة وهو يحضر
أن يقسم له من
ماله فقال له
أورثك الشعر

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زياد، وذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال :

(١) في الأصول : « لم تلبث أن تذهب » . وعبارة لسان العرب : « ... وقال ابن السكيت : مشمولة سريعة الانكشاف، أخذه من أن الريح الشمال إذا هبت بالسحاب لم يلبث أن يخسر ويذهب » .
(٢) في الأصول : « وفي » .

١٠

١٥

٢٠

- وكان بشامة بن الغدير خال [زهير بن] أبي سلمى^(١)، وكان زهير منقطعاً إليه وكان مبعجاً بشعره . وكان بشامة رجلاً مقعداً ولم يكن له ولد ، وكان مكثراً من المال ، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غطفان : لئولتهم . وكان بشامة أحزم الناس رأياً ، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزوا أتوه فاستشاروه وصدروا عن رأيه ، فإذا رجعوا قسموا له مثل ما يقسمون لأفضلهم ، فمن أجل ذلك كثرت ماله . وكان أسعد غطفان في زمانه . فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته وبين بني إخوانه . فأتاه زهير فقال : يا خالاه لو قسمت لي من مالك !! فقال : والله يا بن أختي لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله . قال : وما هو ؟ قال : شعري ورثتيه . وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر ، وقد كان أول ما قال . فقال له زهير : الشعر شيء ما قلته فكيف تعتد به علي ؟ فقال له بشامة : ومن أين جئت بهذا الشعر ! لعلك ترى أنك جئت به من مريضة ، وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحى من غطفان ثم لي منهم ، وقد رويته عني^(٢) . وأخذاه نصيباً من ماله ومات^(٣) .

وبشامة شاعر مجيد وهو الذي يقول :

بشامة خاله شاعر
مجيد وشيء من
شعره

صوت

- ١٥ ألا ترين وقد قطعتني قطعاً * ماذا من القوت بين البخل والجلود^(٤)
إلا يكن ورق يوماً أراح به * للخاططين فإني لئن العود^(٥)
الغناء لإسحاق ثقیلاً أول بالنصر ، وقيل : إنه لإبراهيم .

(١) وضمت هذه التكلة لما تقدم في ص ٣٠٩

(٢) يحتمل أن يكون : « وقد ورثته عني » . (٣) أخذاه : أعطاه . (٤) كذا في ب ، س . وفي سائر الأصول : « قطعني » بالنون . ويظهر أن الخطاب لزوجه أو لأمته تلومها في الكرم . (٥) يقال : راحت الريح الشيء إذا أصابته . ويقال : خبط الشجرة إذا شدها ثم تقض ورقها .

طلق زوجته أم
أوفى ثم ندم فقال
شعرا

قال ابن الأعرابي :

أم أوفى التي ذكرها زهير في شعره كانت امرأة أمه ، فولدت منه أولاداً ماتوا ،
ثم تزوج بعد ذلك امرأة أخرى ، وهي أم أبيه كعب ويحيى ، فغارت من ذلك
وأذنته ، فطلقها ثم ندم فقال فيها :

لَعَمْرُكَ وَالْخَطُوبُ مُغَيَّاتٌ * وفي طول المعاشرة التَّقَالِي
لقد باليت مظعن أم أوفى * ولكن أم أوفى ما يُبَيِّلُ^(١)
فأما إذ نأيت فلا تقولي * لذي صهر أذلت ولم تَدَالِي^(٢)
أصبتُ بَنِيَّ مِنْكِ وَنِلْتُ مَتًى * من اللذات والحلل الغوالي

عانت امرأة ابنه
سالمات فرثاه

وقال ابن الأعرابي :

كان لزهير ابن يُقال له سالم ، جميل الوجه حسن الشعر ، فأهدى رجلٌ إلى زهير^(١)
بردين ، فليسهما الفتى وركب فرساً له ، فرباً امرأة من العرب بماء يقال له التَّاءُ^(٢) ،
فقال : ما رأيتُ كالיום قط رجلاً ولا بردين ولا فرساً . فعثر به الفرس فأندقت^(٣)
عنقه وعنى الفرس وأنشق البردان ، فقال زهير يرثيه :^(٤)

رأت رجلاً لاقى من العيش غبطة * وأخطاه فيها الأمور العظامُ
وشبَّ له فيها بنون وتويعت * سلامة أعوام له وغنائمُ

(١) في ١ ، م : « لا تبالي » . (٢) أذال المرأة : هنأها وأهانها . وفي المثل : « أخيل
من مذالة » وهي الأمة لأنها تهان وهي تخبثر من حقها . (٣) في الأصول : « بردين ...
البردتان » قال ابن سيده : البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي . والبردة : كساء يلتحف به ،
وقيل غير ذلك . (راجع اللسان في مادة برد) . (٤) التَّاء : ماء لبنى عميلة أو هو ماء لغنى . وقال
الحفصى : التَّاء : نجيلات لبنى عطار . ويوم التَّاء من أيام العرب . (معجم البلدان لياقوت)

فأصبح محبوباً يُنظر حوله * يغبطنه لو أت ذلك دائم^(٢)
وعندي من الأيام ما ليس عنده * فقلت تعلم أنما أنت حالم^(٣)
لعلك يوماً أن تراعى بفاجع . كما راعى يوم الشتاء سالم

١٥٨
٩

قال ابن الأعرابي :

هو وقومه شعراء . كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، وكان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سلمى شاعرة ، وأبناء كعب ويحيى شاعر بن ، وأبنته الخنساء شاعرة ، وهي القائلة ترثيه :

وما يُغني توقي الموت شيئاً * ولا عقْدُ التيم ولا الغضار^(٤)

— والغضار : كان أحدهم إذا خشي على نفسه يعلق في عنقه خرقة أخضر —

إذا لاني منيته فأمسي * يسأى به وقد حق الحذار

ولافاه من الأيام يوم * كما من قبل لم يتحلد قدار^(٥)

وإبن أبنه المضرب بن كعب بن زهير شاعر ، وهو القائل :

إني لأحس نفسي وهي صادية * عن مضعب ولقد بانت لي الطرُق

(١) المحبور : المنعم . ومنه قوله تعالى : (في روضة يجرون) أي ينعمون . وينظر حوله أي ينظر

حوله يمينا وشمالا . (٢) كذا في معجم البلدان في الكلام على التاء . وفي الأصول : « تغبطه » .

وفي الديوان بشرح تلعب : « بغيطة » . ولم ترد هذه الأبيات في شرح الأعم . (٣) يخاطب ابنه .

يقول : ما أنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم . (٤) في اللسان (في مادة غضر) : « توقي المراء » .

(٥) قدار : هو قدار بن سالف عاقر الناقة . (٦) في شرح القاموس (في مادة ضرب) :

« وكحدث (بكسر الدال المشددة) ومعظم (بفتح الظاء المشددة) لقب عقبة بن كعب بن زهير . وبالوجهين

ضبط في نسخة الصحاح » . وفي كتاب الشعر والشعراء أنه شبيب بامرأة من بني أسد فقال :

ولا عيب فيها غير أنك واحد * ملاقيها قد دبت بركوب

٢٠

فترثه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية ، فسمى المضرب .

رُعوى عليه ^(١) كما أَرعى على هيريم * جَسَدِي زهيرٌ وفينا ذلك الخلقُ
مَدْحُ الملوكِ وسَعَى في مَسَرَّتِهِمْ * ثم الغنى ويسد المدوح تنطلق

ما امتاز به شعره
وكان سبب تقديمه

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال :

مَنْ قَدَّمَ زُهَيْرًا أَحْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَهُمْ شِعْرًا ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ سُخْفٍ ، وَأَجْمَعَهُمْ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ ، وَأَشَدَّهُمْ مِبَالِغَةً فِي الْمَدْحِ ، وَأَكْثَرَهُمْ أَمْثَالًا
فِي شِعْرِهِ .

مرثية ابنه سالم

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال :

كَانَ لَزُهَيْرِ بْنِ يَحْيَى قَوْلٌ لَهُ سَالِمٌ ، هِيَ كَانَتْ مِنْ أُمَّ كَعْبٍ بِنِ زُهَيْرٍ ؛ فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ ،
بِغَزَعٍ عَلَيْهِ كَعْبٌ جَزَعًا شَدِيدًا ، فَلَامَتْهُ أُمُّهَا وَقَالَتْ : كَأَنَّهُ لَمْ يُصَبِّ غَيْرُكَ
مِنَ النَّاسِ ! فَقَالَ :

رَأَيْتُ رَجُلًا لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ غِبْطَةً * وَأَخْطَاهُ فِيهَا الْأُمُورُ الْعِظَامُ
وَسَبَّ لَهُ فِيهَا بَنُونَ وَتُوبَعَتْ * سَلَامَةٌ أَعْوَامٍ لَهُ وَغَنَائِمُ
فَأَصْبَحَ مَحْبُورًا يَنْظُرُ حَوْلَهُ * بَغِطْنَهُ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ دَائِمُ
وَعِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَيْسَ حِنْدُهُ * فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا فَإِنَّكَ حَالِمُ
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنَّ تُرَاعِيَ بِفَاجِعٍ * كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ التَّسَاءَةِ سَالِمُ

١٥

صوت

عَزَفْتَ وَلَمْ تَصِرْ وَأَنْتَ صَرُومُ * وَكَيْفَ تَصَابِي مَنْ يَقَالُ حَلِيمُ
صَدَدْتَ فَأَطَوَلَتِ الصَّدُودُ وَلَا أَرَى * وَصَالًا عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

(١) رُعوى عليه : أى بقيا عليه ؛ يقال : أَرعى فلان على فلان إذا أبى عليه .

(٢) تقدم في ص ٣١٣ أن هذا الشعر قاله زهير في ابنه سالم .

عَرَوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، عَزَفَتْ عَنِ الشَّيْءِ : إِذَا تَرَكْتَهُ وَأَبْتَشَهُ نَفْسُكَ . قَالَ ابْنُ
 الْأَعْرَابِيِّ : يَقُولُ لَمْ تَهْصِرْ صُرْمَ بَتَاتٍ ؛ وَلَكِنْ صَرَمْتَ صُرْمَ دَلَالٍ . وَأَطَوَلْتَ
 الصَّدُودَ أَيْ أَطْنَهُ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا ذَرْوَرَةُ^(١) . الشَّعْرُ لِلْمَزَارِ بْنِ سَعِيدٍ الْفَقَّعِيِّ .
 وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقَ رَمَلَ .

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ طَوَّلَ) : « وَأَطَلْتُ الثَّمِيَّ وَأَطَوَلْتُ عَلَى النِّقْصَانِ وَالْتِمَامِ بِمَعْنَى .
 الْحَكْمِ : وَأَطَالُ الشَّيْءَ وَطَوَّلَهُ وَأَطَوَّلَهُ : جَعَلَهُ طَوِيلًا . وَكَانَ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَنْهَوْا عَلَى
 أَصْلِ الْبَابِ . قَالَ : فَلَا يُقَاسُ هَذَا إِنَّمَا يَأْتِي لِلتَّنْيِيزِ عَلَى الْأَصْلِ » .

ذكر المَرَّار وخبره ونسبه

هو المَرَّارُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ خَالِدِ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ الْأَشَمِ بْنِ جَحْوَانَ بْنِ قُقَعَسَ^(١)
ابن طَرِيفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ حُرَيْمَةَ^(٢)
ابن مُدْرِكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرِّ بْنِ رَارٍ . وَأُمُّ الْمَرَّارِ بِنْتُ مَرْوَانَ بْنِ مُنْقِذِ الَّذِي أَغَارَ^(٣)
عَلَى بَنِي عَامِرٍ بَثْلَانَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مِائَةَ بِحَبِيبِ بْنِ مُنْقِذِ عَمِّهِ ، وَكَانُوا قَتَلُوهُ .^(٤)
وكان المَرَّارُ قَصِيْرًا مُفْرِطَ الْفِصْرِ ضَبِيلَ الْجِسْمِ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :
عَدُوِّي الثَّعْلَبُ عِنْدَ الْعَدَدِ * حَتَّى اسْتَنَارُوا لِي إِحْدَى الْإِحْدِ^(٥)
لَيْشًا هَزَنًّا ذَا سِلَاحٍ مُعْتَدِي * يَرْنِي بِطَرْفٍ كَالْحَرِيقِ الْمُوقَدِ^(٦)

نسبه وكان قصيرا
ضبيل الجسم

١٥٩
٩

- (١) كذا في ج وهو الصحيح كما في شرح القاموس (في مادة جحو) . وفي سائر الأصول : « هوازن » وهو تحريف .
(٢) كذا في ح . وفي سائر الأصول : « معين » بالميم وهو تحريف .
(٣) في جميع الأصول : « ثعلب » . والتصويب عن شرح القاموس : « في مادتي قعن وجحو » .
(٤) كذا في أ ، م ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للفاششي وقد أورده في باب الدال المعجمة مع الوار . وفي سائر الأصول : « دودان » بالدال المهملة . (٥) كذا في ح .
وفي أ ، م : « منقذ » بالدال المهملة . ويظهر أنه مصحف عن منقذ بالدال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم .
وفي ب ، س : « منقر » بالراء المهملة . (٦) ثهلان : جبل ضخم بالعالية عن أبي عبيدة .
وقال نصر : ثهلان جبل لبني نمر بن عامر بن صعصعة بناحية الشريفة به ماء ونخيل . (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٧) يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون منقذ جد مروان وسقط اسم أبيه .
(٨) إحدى الإحد : الأمر المنكر الكبير . قال الشاعر : * بمكاذ فعلوا إحدى الإحد * وإحدى الإحد الداهية . يقول : حسبوني من عداد الثعاليم عند لقاء الأبطال أروغ عنهم ولا أكلخهم حتى استناروا مني داهية .
(٩) المعتدي : وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيعة في تسكين المنصوب .
وفي الأصول : « معتد » بالنون وبدون ياء . ويحتمل أن يكون مصحفا عن « معتد » وصف من أعتد الشيء إذا هيأه وأعداه ، وعلى هذا يكون وصفا للسلح . ويرى بطرف كالحريق الموقد : أراد أن يهيبه غضبه .
هراء كالنار الموقدة الملتبة . (راجع لسان العرب في مادة أحد ، ونزاة الأدب للبندادي ج ٣ ص ٢٩٣ و ٢٩٤) .

وكان يهاجى المَسَاوِرَ بنَ هند بن قيس بن زهير بن جَذِيمَةَ العَبْسِيِّ . وفيه يقول المَرَّارُ :
 شَقِيتُ بَنُو سَعْدٍ بِشَعْرِ مَسَاوِرٍ * إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حِيلٍ يُحْتَقُّ
 وَالْمَسَاوِرُ الْقَائِلُ فِيهِ :

كان يهاجى
المساوِر بن هند

مَا سَرَّنِي أَنْ أُمِّي مِنْ بَنَى أَسَدٍ * وَأَنْتَ رَبِّي يُنَجِّنِي مِنَ النَّارِ
 أَوْ أَنَّهُمْ زَوَّجُونِي مِنْ بَنَاتِهِمْ * وَأَنْ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ
 وَالْمَرَّارُ مِنْ مُحَضَّرِي الدَّوْلَتَيْنِ . وقد قيل : إِنَّهُ لَمْ يُدْرِكِ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ .

من مخضري
الدولتين
أغار هوراً أخوه
بدر على بن عبس
ونها إلىهم فبسما
الوالى

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حبيب عن أبيه الأعرابي
 عَنْ الْمُقْصِّلِ وَالْكُوفِيِّينَ :

- أَنَّ الْمَرَّارَ بْنَ سَعِيدٍ كَانَ أَتَى حُصَيْنَ بْنَ بَرْقٍ مِنْ بَنَى عَبْسٍ ، فَوَقَفَ عَلَى بَيْوتِهِمْ
 ١٠ فَبَعَلَ يَحْدِثُ نِسَاءَهُمْ وَيُنْشِدُهُنَّ الشُّعْرَ . فَنَظَرُوا إِلَيْهِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ عَلَى الْمَاءِ فَظَنُّوا
 أَنَّهُ يَعْطُهُنَّ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ النِّسَاءِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الرِّجَالِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ :
 أَنْتَ يَا مَرَّارُ تَقِفُ عَلَى آيَاتِنَا وَتُنْشِدُ النِّسَاءَ الشُّعْرَ ! فَقَالَ : إِنَّمَا كُنْتُ أَسْأَلُهُنَّ . فَبَغَى
 بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كَلَامٌ غَلِيظٌ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَضَرَبُوهُ رَعَقَرُوا بِعَصِيهِ ، فَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِمْ
 إِلَى بَنَى فَعَقَسَ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، فَرَكِبُوا مَعَهُ حَتَّى أَتَوْا بَنَى عَبْسٍ فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ ،
 ١٥ وَفَقَاتَ بَنُو فَعَقَسَ مِنْ بَنَى عَبْسٍ عَيْنًا وَقَتَلُوا رَجُلًا ثُمَّ أَنْصَرَفُوا . فَحَمَلَ أَبُو شَدَادٍ
 النَّصْرِيُّ ابْنُ عَبْسٍ مَاتِي بَعِيرٍ وَغَلَطُوا عَلَيْهِمْ فِي الدِّيَةِ . ثُمَّ إِنَّ بَدْرَ بْنَ سَعِيدٍ أَخَا
 الْمَرَّارِ قَالَ : قَدْ اسْتَوْفَتْ عَبْسٌ حَقَّهَا ، فَعَلَّامٌ أَتَرَكَ ضَرْبَ أَخِي وَعَقَرَ جَمَلِهِ ! فَخَرَجَ
 حَتَّى أَتَى جَمَالًا ابْنَ عَبْسٍ فِي الْمَرْءِ ، فَرَمَى بَعْضَهَا فَعَقَرَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَ . فَقَالَ لِلْمَرَّارِ :
 إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْنَعُ بِهَذَا وَلَكِنْ أَخْرُجْ بِنَا . فَخَرَجَا حَتَّى أَغَارَا عَلَى إِبِلِ ابْنِ عَبْسٍ
 ٢٠ فَطَرَدَاهَا وَتَوَجَّهَا بِهَا نَحْوَ تَيْمَاءَ^(١) . فَلَمَّا كَانَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَنْقَطَعَ بِطَانُ رَاحِلَةِ بَدْرٍ

(١) تيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

(١) فَنَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَرَّارُ : يَا أَخِي أَطْعَمَنِي وَأَنْصِرِفْ وَدَعْ هَذِهِ الْإِبِلَ فِي النَّارِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ . ثُمَّ سَارَا ، فَلَمَّا كَانَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَرَّضَ لَهَا ظَبْيٌ^(٢) أَعْضَبَ أَحَدَ الْقَرْيَنِينَ . فَقَالَ الْمَرَّارُ لِبَدْرِ : قَدْ تَطَيَّرْتُ مِنْ هَذَا السَّفَرِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرْجِعُ مِنْ هَذَا السَّفَرِ أَبَدًا ، فَأَبَى عَلَيْهِ بَدْرٌ . فَتَفَرَّقَتْ عَيْنَا الْقَرْيَنَيْنِ فِي طَلَبِ الْإِبِلِ ، فَصَدَّتْ فِرْقَةٌ إِلَى وَادِي الْقَرْيِ^(٣) ، وَفِرْقَةٌ إِلَى تَبْمَاءَ ، فَصَادَفُوا الْإِبِلَ بِتَبْمَاءَ ، فَأَخَذُوا الْمَرَّارَ وَبَدْرًا فَرَفَعُوهُمَا إِلَى الْوَالِي . وَعُصِرَتْ سِهَامَاتُ عَيْنَيْهِ عَلَى الْإِبِلِ فَدُفِعَتْ إِلَيْهِمْ ، وَرُفِعَ الْمَرَّارُ وَأُخْرِجَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَضَرِبَ بِهَا وَحُيِّسَ ، فَمَاتَ بَدْرٌ فِي الْحَبْسِ . فَكَلَّمْتُ عِدَّةً مِنْ قُرَيْشٍ زِيَادَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ النَّصْرِيَّ فِي الْمَرَّارِ نَحْلَاهُ . وَقَالَ فِي حَبْسِهِ :

* صَرَفْتُ وَلَمْ تَصِرْ وَأَنْتَ صَرُومٌ *

١٠ . وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

وَقَالَ يَرِي أَخَاهُ بَدْرًا :

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ * وَلِلْقَدْرِ السَّارَى إِلَيْكَ وَمَا تَذَرِي
وَلِلشَّيْءِ تَنْسَاهُ وَتَذَكُّرُ غَيْرَهُ * وَلِلشَّيْءِ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ
وَمَا لَكَ بِالْغَيْبِ عِلْمٌ فَتُخَرَّأَ * وَمَا لَكَ فِي أَمْرِ عَثْمَانَ مِنْ أَمْرِ

١٥ . وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، يَقُولُ فِيهَا :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمَقَادِيرَ وَالْمُنَى * وَطَيَّرًا بَحْرَتْ بَيْنَ السُّعَافَاتِ وَالْحَبْرِ^(٤)
وَقَاتِلَ تَكْذِيبِي الْعِيَاةَ بَعْدَ مَا * زَجَرْتُ فَمَا أَغْنَى أَعْتِيَافِي وَلَا زَجَرِي^(٥)

(١) نَدَرَ عَنْ رَحْلِهِ : سَقَطَ . (٢) الْأَعْضَبُ : الْمَكْسُورُ . (٣) وَادِي الْقَرْيِ :
وَادِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ كَثِيرِ الْقَرْيِ . (٤) فِي مَعْنَى الْبِلْدَانِ : « السُّعَافَاتُ بِضَمِّ
أَوَّلِهِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ فَاءُ ، وَآخِرُهُ تاءُ مُثَنَّاةٌ مِنْ فَوْقِ مَوْضِعٍ فِي قَوْلِ الْمَرَّارِ » . وَاسْتَشْهَدَ بِهَذَا الْبَيْتِ
(٥) الْحَبْرُ (بِالْكَسْرِ ثُمَّ السُّكُونِ) : اسْمُ وَادٍ ، كَذَا ذَكَرَهُ يَاقُوتُ فِي مَعْنَى الْبِلْدَانِ وَاسْتَشْهَدَ بِأَيَّاتٍ مِنْ
هَذِهِ الْقَصِيدَةِ . وَفِي الْأَصُولِ : « الْحَجَرُ » بِالْجِيمِ . (٦) فِي يَاقُوتَ : « وَقَاتِلَ تَكْذِيبِ
الْعِيَاةِ » .

مات أخوه بدر
في الحبس فرثاه

١٦٠
٩

تَرَوَّحَ فَقَدْ طَالَ الثَّوَاءُ وَقُضِّيتْ * مَشَارِيطُ كَانَتْ نَحْوَ غَايَتِهَا تَجْرُزُ

— المشاريط : العلامات والأمارات —

وَمَا لَقُفُولٍ بَعْدَ بَدْرِ بِشَاشَةٍ^(١) * وَلَا الْحَى آتِيهِمْ وَلَا أُوْبَةَ السَّفْرِ

تَذَكَّرْنِي بَدْرًا زَعَاذُ^(٢) حَجْرَةٍ * إِذَا عَصَفَتْ إِحْدَى عَشِيَّاتِهَا الْغُبْرِ

— الزعازع : الشديدة الهبوب . والحجرة : السينة الشديدة —

إِذَا شَوَّلْنَا^(٣) لَمْ نُؤْتَ مِنْهَا مَحْلِبٌ * قَرَى الصَّيْفُ مِنْهَا بِالْمَهْدِ ذَى الْأَثْرِ

وَأَضْيَانَا إِنْ نَبْهَوْنَا ذِكْرَتَهُ * فَكَفَ إِذَا أَنْسَاهُ غَايَةَ الدَّهْرِ

إِذَا سَلَّمَ السَّارَى تَهَلَّلَ وَجْهُهُ * عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ يَسَارٍ وَمِنْ عُسْرِ

تَذَكَّرْتُ بَدْرًا بَعْدَ مَا قِيلَ عَارِفٌ^(٤) * لَأَنَابَهُ يَا هَفَفَ نَفْسِي عَلَى بَدْرِ

إِذَا خَطَرْتُ مِنْهُ عَلَى النَّفْسِ خَظْرَةً * مَرَّتْ دَمْعَ عَيْنِي فَاسْتَهَلَّ عَلَى تَحْوِي

وَمَا كُنْتُ بَكَاءً وَلَكِنْ يَبِيجُ لِي^(٥) * عَلَى ذِكْرِهِ طِيبُ الْخَلَائِقِ وَالْخُبْرِ

أَعْيَنِي لَمْ أَوْ شَاكِرًا فَعَلْتُمَا * وَحَقَّ لِمَا أَبْلَيْتُمَانِي بِالشُّكْرِ

سَأَلْتُكُمْ أَنْ تُسْعِدَانِي بِخُدَّتُمَا * تَوَانِينِ^(٦) بِالتَّسْجَامِ بَاقِيَتِي قَطْرِ^(٧)

(١) في - : « وما لقفول » . (٢) في الأصو : « حجرة » بتقديم الحاء المهملة

على الجيم وهو تصحيف . وفي ياقوت : « لزبة » وسنة لزبة : سديدة .

(٣) الشول : جمع شائلة ، وهي من الإبل ما أتى عليها من رضعها أو حملها سبعة أشهر فارتفع ضرعها

ونحف لبنها . والمحلب : إناء يحلب فيه . والأثر (بالفتح وبالكسر وبضمين) : فرند السيف وروثه .

ورواية هذا البيت في كتاب الشعر والشعراء ص ٤١٤ طبع أوربا : « إذا شولنا لم نفع فيها بمرفد... الخ » .

(٤) عرف للامر : صبر . . . (٥) مررت دمع عيني : أرسلته وأسلته . واستهل : سال .

(٦) في ب ، س : « يبيجى » . (٧) العوان : النصف في سنأ من كل شيء . والحرب

العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والحرب العوان هي أشد الحروب .

قلعه يريد أن عينيه يجيمتا الدمع أى أسالته مرة بعد أخرى . (٨) كذا في كتاب الشعر والشعراء .

ووردت هذه الكلمة في الأصول مصحفة ، ففي بعضها : « يا قننى » وفي بعضها الآخر : « يا قننى » .

فَلَمَّا شَفَانِي الْيَأْسُ عَنْهُ بَسْلُوَةٌ * وَأَعَذَرْتُمَا لَا بِلَ أَجَلٍ مِنَ الْعَذْرِ
نَهَيْتُكَمَا أَنْ تُسْهِرَانِي فَكُنْتُمَا * صَبُورَيْنِ بَعْدَ الْيَأْسِ طَاوِيَتَيِ ذُبُرٍ
يقول : طويتمَا أَعْبَارَ دَمْعِكَا . والأَعْبَارُ . البقايا كأعبار الأبن .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن وإميل بن
زكريا بن المزار أن المزار قال :

نَحْرَجْتُ حَاجًّا فَأَتَيْتُ بِنَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ ، بَخَاءُ قَوْمٍ فَتَحَوْنِي عَنْ مَرْضَعِي وَضَرَبُوا
فِيهِ قُبَّةً لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ . فَلَمَّا جَاءَ وَجَلَسَ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ :

هَذَا قَعُودِي بَارِكًا بِالْأَبْطَحِ * عَلَيْهِ عَيْكَا أَكْثَرُ^(٢) لَمْ تُفْتَحِ^(٣)

فَقَالَ : وَمَا قِصَّتُكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَفْتَحُ مِنْهُمَا شَيْئًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ، فَأَقِمْ
مَعَنَا ، يَدُكَ مَعَ أَيْدِينَا ، وَقَعُودُكَ مَعَ آبَائِنَا ، فَوَاللَّهِ مَا فَتَحْتُ الْعِدْلِينَ حَتَّى أَنْصَرِفْتُ
بِهِمَا إِلَى أَهْلِي . فَمَا هَجَانِي أَحَدٌ قَطُّ هِجَاءَهُ .

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال حدثنا أبو غسان دَمَاز عن أبي عبيدة قال
أخبرني أبو موهب رَتِيلُ الزُّبَيْرِيِّ أَحَدَ بَنِي زُبَيْرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنٍ قَالَ :

كَانَ الْمَسْرَارُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَخُوهُ بَدْرُ لَصِينٍ ، وَكَانَ بَدْرٌ أَشْهَرَ مِنْهُ بِالسَّرْقَةِ وَأَكْثَرَ
غَارَاتٍ عَلَى النَّاسِ . فَأَغَارَ بَدْرٌ عَلَى ذُوْدٍ لِبَعْضِ بَنِي غَنَمٍ بْنِ ذُوْدَانَ فَطَرَدَهَا ، فَأَخَذَ^(٥)
^(٦)

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « أن تشمتا في » .

(٢) العكم : العدل وهو القنطرة . (٣) أكبر : جمع كمر (بكسر الكاف وسكون الميم) نحو
ذئب وأذؤب . وهذا الجمع مما عي في مثل هذا الوزن . والكبر من البسر : ما لم يربط على نخله ولكنه
سقط فأرطب على الأرض . (٤) كذا في أ ، م . وفي سائر الأصول : « أفاعنا » وهذا الجمع
لم يرد في كتب اللغة في جمع قعود . (٥) الذود : ثلاثة أبعرة إلى التسعة ، وقيل إلى العشرة ، وقيل
غير ذلك . ولا يكون إلا من الإناث . وهو واحد وجمع كالفلك . (٦) راجع الحاشية رقم ٤
ص ٣١٧ وغنم هو أخو ثعلبة المذكور في تلك الصفحة . (راجع كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل
العرب للسويدي ص ٥٨ طبع بغداد سنة ١٢٧٠ هجرية) .

أَنَارُ بَدَتْ مِنْ نُورِهِ السَّجَنُ ضَوْءُهَا * عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ بِالْجُرْعِ الْعَفْرِ (٣)
عَشِيَّةَ حَلِّ الْحَيِّ أَرْضًا خَصِيبَةً * يَطِيبُ بِهَا مَسَّ الْجَنَائِبِ وَالْقَطْرِ (٤)
فَيَاوِلَتَا سَجَنَ الْيَمَامَةِ أَطْلِقَا * أَسِيرَكُمَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَرْقِ مَا يَقْرِى (٥)
فَإِنْ تَفْعَلَا أَحْمَدُكُمْ لَدَا أَرَى * بَأْسَكُمْ لَا يَنْبَغِي لَكُمْ شُكْرَى
وَلَوْ فَارَقْتُ رَجُلِي الْقَبُودُ وَجَدْتُنِي * رَجُلٌ بَخَسَ الْعَيْسُ فِي الْبَلَدِ الْفَقْرِ (٦)
جَدِيدًا إِذَا أُمْسَى بِأَرْضٍ مُضَلَّةٍ * بِتَقْوِيئِهَا حَتَّى يَرَى وَضْعَ الْفَجْرِ (٧)
(٨)

وقال أبو عمرو الشَّيبَانِيّ :

خاصم رجلا من
قومه ومسا به ، وقال
في ذلك شعرا

كان بين المرّار بن سعيد وبين رجل من قومه لحاءً، فتقاذفا وتسابّأ، ثم صارا إلى الضرب بالعصا؛ فقال في ذلك :

(١) برمة (بكسر أوله) : عرض من أعراض المدينة بين خيبر ووادي القرى . (٢) كذا في الأصول
بأنث الفعل لإضافة الفاعل الى ضمير المؤنث . (٣) كذا في ح - بالراء المهملة - والجرج بالتحريك :
جمع جرة بالتحريك أيضا وهى هنا الرملة العذاة الطيبة التى لا وعوة فيها . وفى سائر الأصول : الجرج بالزاي
المعجمة وهو تصحيف . (٤) الجنائب : جمع جنوب وهى الرياح التى تقابل الشمال . ومنه اذا جاءت
الجنوب جاء معها خير وتلقيح . (٥) هكذا فى جميع الأصول : ويا ويلتا بمعنى يا فضيحتنا .
وقد أشكل علينا مرجع الضمير المثنى فى قوله «أطلقا أسيركما» . ولهذا يحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة
عن مثل قوله «فيا حارسى سجين اليمامة» أو نحو ذلك . (٦) يفرى : يشق ؛ والبرق يشق الظلام .
(٧) نص العيس : استحاثها واستقصاء آخر ما عندها من السير . (٨) أرض مضلة (بفتح
الضاد وتكسر) : يضل فيها الطريق .

صوت

ألم تَرَبَّعَ فُتُخِرَكَ الْمَغَانِي * فكيف وهنَّ سُذُجَجَ ثَمَانٍ
بَرَّتْ مِنْ الْمَنَازِلِ بِعَرَشَوْقٍ * إِلَى الدَّارِ الَّتِي يَلُوحُ أَبَانٌ^(١)
لِاسْحَاقَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ هَزَجٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَرْبَعٍ الْبَنْصَرِ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْمَكِّيِّ .
وكان بدر بن سعيد أخو المأر شاعراً وهو الذي يقول :^(٢)

كان أخوه بدر
شاعراً، وشي
شعره

صوت

يَا حَبْنَذَا حِينَ تُمَسِّي الرِّيحُ بَارِدَةً * وَادِي أَشْيٍ وَفَيَانٌ بِهِ هَضْمٌ^(٤)
مُحْدَمُونَ كَرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ * وَفِي الرَّحَانِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خَيْدَمٌ^(٣)
وَمَا أَصَابِحُ مِنْ قَوْمٍ فَالْكَرْمُ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ^(٥)
الغناء لابن محرز ثاني ثقبيل بالخنصر والبصر عن ابن المكي . وفيه لمتيم خفيف رمل .
وذكر حبش ، أن الثقبيل للهذلي . وفيه لمحمد بن الحارث بن بسخر ثقبيل أول
عن الهشامي .

(١) أبان : يطلق على موضعين هما أبان الأبيض وأبان الأسود . فالأبيض شرقي الحاجر
فيه نخل وماء وهو لبني فزارة وغبس . والأسود : جبل لبني فزارة خاصة ، وبينه وبين الأبيض
ميلان . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) في لسان العرب (في مادة هضم) ومعجم البلدان
في الكلام على أشي وشعوب ونقم أن قائله زياد بن منقذ . وفي شرح الحماسة للبريزي طبع أوربا
ص ٨٠ أن قائله زياد بن حمل بن سعد بن عبيدة بن حريث ويقال زياد بن منقذ . ومثله في لسان
العرب (في مادة أشي) غير أنه ورد فيه : « زياد بن حمد » بالبدال محرفاً . (٣) أشي : موضع
بالوشم . والوشم : واد بالجمامة ؛ ذكر ذلك ياقوت واستشهد بالأبيات . (٤) هضم : جمع هضوم .
وفتيان هضم : يهضمون المسال أي يكسرونه وينفقونه . (٥) ارتفع « هم » الأخير يزيد .
وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل ؛ لأنه كان الوجه أن يقول إلا يزيدونهم حباً إلى ؛ ومثله لطرفة :
أصرمت جبل الحى إذ صرموا * يا صاح بل صرم الوصال هم
(عن شرح ديوان الحماسة للبريزي) .



صوت

صوت ابن صاحب
الوضوء في شمر
النايفة

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ * تَمُدُّهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
فَإِنْ كُنْتَ لَإِذَا الضَّغْنِ عَنِّي مَكْذَبًا * وَلَا حَلْفِي عِنْدَ الْبَرَاءَةِ نَافِعُ
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ جَلْتُ أَنْ الْمُتَنَّى عَنْكَ وَاسِعُ

عروضه من الطويل . يقول : أنا في قبضتك متى شئت قدرت على كآني
في خطاطيف تجذبني إليك ولا أقدر على الهرب منك . ويروى "وإن جلت أن
المتنوى" أي الموضع الذي تنوي قصده . والمتنأى : المفتعل من النأى .
والحجن : المعوجة . والنوازع : الجواذب . والضمغن : الحقد .

الشعر للنايفة الدباني . والغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق وعمرو
ماخوري بالبصرة .



اتتهى الجزء العاشر من كتاب الأغاني

ويليه الجزء الحادي عشر

وأوله أخار النايفة ونسبه



بيان

بحمد الله وحسن توفيقه ، وفي عهد مليكتنا المعظم نصير العلم ورافع مناره ، وحامل لواء الأدب وحامى ذماره ، حضرة صاحب الجلالة "فاروق الأول" أدام الله على البلاد ظله ، وأعلى بعنايته العلم وأهله ، تمّ هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة والمطبوعة ، وبعد تصحيح ما وفّقنا له ، وضبط ما ينبغي ضبطه من لغة وأسماء ، وتحري وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح وتعليقات .

والأصول التي اعتمدنا عليها في المراجعة هي الأصول التي اعتمدنا عليها في مراجعة الأجزاء السابقة ، وقد تقدّم وصف هذه الأصول جميعا في تصدير الجزء الأول . وتقدّم في هذا التصدير أن النسخة التي اصطللحنا على أن نرمز لها بحرف « ١ » مكتوبة بخطوط مختلفة .

والمجلد الذي راجعنا عليه في هذا الموضع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربي ، كتبه — كما هو وارد في آخر صفحة منه — بنغر الجزائر محمد بن محمد المدعو السلاوى الحسنى الفاسى المنشأ والدار فى أواخر جمادى الثانية من سنة ست وتسعين ومائة وألف هجرية . وهو أكبر حجما من سائر مجلدات هذه النسخة ، إذ يبلغ طول صحفه ٣١ سنتيمترا ، وعرضها ٢٠ وطول ما رسم من الكتابة فى الصحف ٢٢ بعرض ١٣ وفى كل صفحة ٢٩ سطرا . أما سائر الأجزاء فهى دونة فى الحجم وفى عدد السطور . وأول هذا المجلد على ومجدول بالذهب ، ويقع فى ٣٠٣ ورقة وباقى الصحف مجدول بالمداد الأحمر .

ويتبدى هذا المجلد بأخبار عنترة بن شداد العيسى التى تقع فى أول صفحة ٢٣٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، وينتهى بأخبار أبى زبيد وتقع فى الجزء الثانى عشر من هذه الطبعة .

بيان

وهذا الاختلاف بين هذا المجلد وسائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار
النسخة التي في دار الكتب المصرية والمرقومة برقم ١٣١٨ أدب، وإنما جمع معها
وسلك في رقمها . وفي آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه : « تم السفر
الثالث من كتاب الأغاني ... » وهذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب
مع أن هذه النسخة تقع في أربعة عشر مجلدا كما قلنا في وصفها في تصدير الكتاب .
وواضح من هذا أن هذا المجلد لا بد أن يكون جزءا من نسخة أخرى لا تعدو
أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر .

وقد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على سائر مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير
شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمد العطار من مجلة العلماء والأدباء في القرن
الثالث عشر الهجري .

وقد وضعت لهذا الجزء فهرس كاملة كالأجزاء السابقة ، غير أننا توسعنا
في فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند؛ إذ لم نكتف بذكر رقم أو رقمين
لكل رجل بل أئبنا كل أرقام الراوى إذا اختلف من روى عنهم أو من روى عنه،
ليكون ذلك مرجعا للرجال الذين روى عنهم أبو الفرج أخباره التي ذكرها في كتابه .
ولما نتذر إلى القراء من التأخر في صدور الأجزاء؛ فإن العمل شاق، والأصول
التي بين أيدينا، على قلتها، كثيرة التحريف، والأمانة ثقيلة .

وفي هذا المقام نرى اعترافا بالجميل وتقديرا لجهود العاملين أن نسدى جميل
الثناء والمجد لحضرة الأستاذ الكبير الدكتور "منصور فهمى بك" المدير العام
لدار الكتب المصرية على ما كان، ولا يزال، يوالينا به من حسن التوجيه والإرشاد .
والله أسأل أن يوفقنا للخير والسداد في القول والعمل .

أحمد زكى العروى

رئيس القسم الأدبي بدار الكتب المصرية